

منظومة الحروف العربية

مباحث لغوية ٣٤

تحرير:

د. زكي البغدادي

المشاركون:

د. سوسن السكاف
د. شعبان عبد التواب
أ. د. مختار عبد الخالق
د. بسمة الدجاني
د. عبد العاطي الهواري
د. زكي البغدادي
د. نصر عبد ربه

مباحث لغوية ٣٤

منظومة الحروف العربية

تحرير

د. زكي البغدادي

المشاركون

د. سوسن السكاف — د. بسمة الدجاني

د. شعبان عبد التواب — د. عبد العاطي الهواري

أ. د. مختار عبد الخالق — د. زكي البغدادي

د. نصر عبد ربه



هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً



منظومة

الحروف العربية

الطبعة الأولى
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧م

المملكة العربية السعودية - الرياض
ص.ب ١٢٥٠٠ الرياض ١١٤٧٣
هاتف:٠٠٩٦٦١١٢٥٨٧٢٦٨ - ٠٠٩٦٦١١٢٥٨١٠٨٢
البريد الإلكتروني: nashr@kaica.org.sa

ح/ مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي
لخدمة اللغة العربية، ١٤٣٨هـ.
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
البغدادي، زكي
منظومة الحروف العربية./ زكي البغدادي. - الرياض،
١٤٣٨هـ
..ص؛ .. سم
ردمك: ٨-٩-٩٠٩٦٤-٦٠٣-٩٧٨
١- الابجدية العربية أ. العنوان
ديوي ١, ٤١١ ٨٩٦٩/ ١٤٣٨
رقم الإيداع: ٨٩٦٩/ ١٤٣٨
ردمك: ٨-٩-٩٠٩٦٤-٦٠٣-٩٧٨

التصميم والإخراج
دار وجوه للنشر والتوزيع
Wojooh Publishing & Distribution House
www.wojoooh.com
المملكة العربية السعودية - الرياض
الهاتف:4562410 الفاكس:4561675
للتواصل والنشر:
info@wojoooh.com



هذا المشروع:

مشروع (نظام الكتاب العربية) يهدف إلى بناء تراكمي كاشفٍ لنظام الكتاب العربية، ويعدّ هذا الكتاب هو (الجزء الثاني) من هذا المشروع.

يصدر هذا المشروع ضمن سلسلة (مباحث لغوية) التي يشرف المركز على اختيار عنواناتها، وتكليف المحررين والمؤلفين، ومتابعة التأليف، حتى إصدار الكتب، وهي سلسلة يجتهد المركز أن تكون سداداً لحاجات بحثية وعلمية تحتاج إلى تنبيه الباحثين عليها، أو تكثيف البحث فيها.

مدير مشروع (نظام الكتابة العربية)

د.هشام بن صالح القاضي

المشرف العام على سلسلة (مباحث لغوية)

د.عبدالله بن صالح الوشمي

التعريف بالباحثين:

د. زكي البغدادي: محرر الكتاب وأستاذ اللغويات التطبيقية المشارك بمعهد اللغويات العربية-جامعة الملك سعود.

د. سوسن السكاف: أستاذ مساعد بجامعة زايد -أبو ظبي بالإمارات العربية المتحدة.

د. شعبان قرني عبد التواب: أستاذ مساعد-معهد اللغويات العربية-جامعة الملك سعود.

أ.د. مختار عبد الخالق: أستاذ مناهج وطرق تدريس اللغة العربية بمعهد اللغويات العربية-جامعة الملك سعود.

د. بسمة أحمد صدقي الدجاني: أستاذ مشارك بمركز اللغات بالجامعة الأردنيّة.

د. عبد العاطي هواري: أستاذ مساعد بجامعة جورج واشنطن، واشنطن دي سي، الولايات المتحدة الأمريكية.

د. زكي البغدادي: أستاذ اللغويات التطبيقية المشارك بمعهد اللغويات العربية-جامعة الملك سعود.

د. نصر عبد ربه: أستاذ مشارك بمعهد الدفاع للُّغات - كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية.

فهرس الكتاب



مقدمة الكتاب

يأتي هذا الكتاب «**منظومة الحروف العربية**» ضمن سلسلة مباحث في نظام الكتابة العربية، ويتكون من مقدمة وسبعة موضوعات لغوية، تتضافر معا محاوِلةً البحث في قضايا متنوعة ذات صلة بالحروف العربية باعتبارها الخلية الأولى لأية لغة تبنى عليها منظومتها اللغوية؛ فالحروف العربيّة بأصواتها ورُموزها الكتابيّة تمثّل مفتاح الولوج لعالمٍ واسعٍ ينطلقُ فيه المُتعلّم باستيعاب الكلمة. كما أن الكتابة تعتبر أبرز مراحل تحول الإنسان الحضاري، وأولى النقلات النوعية التي منحته صفته الإنسانية عبر التواصل الذي حققه مع سائر الموجودات من جهة، ومع البعد الزمني والتاريخي لأسلافه وأحفاده من جهة أخرى. والكتابة كلمة متعددة المعاني وهي في تعبيرنا الحديث تعني «نقل أصوات اللغة المنطوقة إلى حروف وكلمات مكتوبة». يُختَتَمُ الكتابُ بخاتمة تتضمن أهم النتائج والتوصيات الواردة في موضوعاته.

يهدف هذا الكتاب إلى مناقشة عدة موضوعات تتصل بمنظومة الحروف العربية ألا وهي:

الموضوع الأول: «أشكال الحروف العربية وإشكالاتها» ؛ وقد تناولت فيه الباحثة عدة عناصر وهي:

١-ظاهرة الكتابة العربية، نشأتها وتطورها.

٢-خصائص الحروف العربية قبل الرسم العثماني وعناية المسلمين الأوائل بإصلاحها.

٣-إشكالات الحروف العربية وصيحات الإصلاح في العصر الحديث.

٤-الدعوة إلى تيسير الكتابة العربية بين السلب والإيجاب.

٥-جهود المحدثين في مجال إصلاح الكتابة العربية تجديدا وتيسرا.

الموضوع الثاني: «القيمة الصوتية للحروف العربية وتطوراتها»

تناول فيه الباحث «المستوى الصوتي» باعتباره أحد الجوانب الأساسية المعروفة في الدراسة العلمية للغة، وقد أكد على أن العرب كانوا من أوائل من درسوا الصوت اللغوي من جوانبه المتعددة دراسة علمية: فقدموا وصفًا علميًا للأصوات من حيث مواضع نطقها وصفاتها وتأثيراتها التركيبية وقيمها الدلالية والوظيفية، وجاءت دراساتهم لهذه الجوانب أصيلة في منهجها وطرائق دراستها، وكان ذلك كله ضمن اهتمامهم المعروف بالمحافظة على لغة القرآن الكريم وقراءاته. وقد ركز الباحث في دراسته على الجانب الدلالي للصوت، وعرض تطورات هذه القضية من خلال تناول علماء العربية؛ بداية من أقدم إشارة لها في كتب القدماء حتى العصر الحديث.

الموضوع الثالث: «خصائص الحروف العربية: الكتابية والإيمائية والإيحائية»

وقد تناوله الباحث من عدة زوايا وهي:

١-الخصائص الكتابية لكل حرف من الحروف العربية على حدة.

٢-الخصائص الكتابية للحروف العربية مجتمعة.

٣-الخصائص الإيمائية للحروف العربية، وأكد على أن لكل حرف من هذه الحروف مدلولا معينا.

٤-الخصائص الإيحائية للحروف العربية والتي تتعلق بالدلالات اللمسية والذوقية والبصرية والسمعية والشعورية والشمية.

الموضوع الرابع: «الحروف العربية بين الائتلاف والتنافر في اكتساب مهارات اللغة العربية»

أكدت الباحثة في هذا الموضوع على أنه في العِقد الثّاني مِن الألفيّة الميلاديّة الثّالثة يرسم المدّ والجزر أشكالاً في أساليب تعلّم اللغة العربيّة وتعليمها. ونظراً للمكانةِ الخاصّة لمهارتي القراءة والكتابة في اكتسابِ العربيّة لُغةً وثقافة، وفي استيعابِ مضمون الحضارة العربيّة الإسلاميّة قديماً وحديثاً، تُبذل الطاقات في البحثِ عن أنجع السُّبل لتعلّمهما، وفي الوصولِ إلى أفضلِ المسارات للبدءِ بتعليمهما. ولقد تم تسليط الضوء في هذا البحث على نُطق الصّوت مُفرداً مُستقلّاً، ومُركّباً مع غيرِهِ في كلمةٍ، وتغيُّر نُطق الصّوت الواحد بتغيّر مُجاوراته في الكلمة والجُملة من خلال أمثلة عمليّة وتطبيقيّة مِن مُمارسات الطلبة وأداءاتهم اللغوية مُعتمداً على أثرِ علم اللغة التّقابلي في تعليمِ أصواتِ العربيّة للناطقين بغيرها. وقد تناول البحثُ أيضا تعليمِ الكتابة والقراءة، وطرح المشكلات، ومناقشة الحُلول في ضوء دراسة تطبيقيّة على مجموعةٍ مِن طلبة العربيّة للناطقين بغيرِها في مركز اللغات في الجامعة الأردنيّة.

الموضوع الخامس: «تَرْتيبُ الحروفِ العربيةِ ومراتبُها: الأبجديّ والهجائيّ والصوتيّ»

وقد تناول الباحث فيه طرائق ترتيب الحروف العربية ومراتبها المتنوعة بتنوع السياق البحثي اللساني النظري والتطبيقي؛ فرصد الطرائق المختلفة لترتيب قائمة الحروف العربية، وتباين مراتبها وفقا لمنطلقات النظر إليها والغاية منها، وقد استعرض جوانب منظومة الكتابة العربية، ووحداتها المختلفة (graphemes)، حروفا أصلية، وحروفا/ رموزا مستحدثة، والرموز الصوتية التي تضبط النطق كرموز التشكيل ورموز الكتابة العثمانية. ثم تناول طرائق الترتيب المختلفة؛ الهجائية، والأبجدية، والصوتية المخرجية. وقد سعى لاستخلاص معايير الترتيب؛ الصوتية المخرجية، والشكلية، والإيتيمولوجية / التأثيلية. كما ناقش التفسيرات المفترضة لمحتوى كل نوع من أنواع الترتيب وغاياته؛ التعليمية والبحثية، واستخدماته وتوظيفه على المستويين؛ البحثي النظري، والتطبيقي. فعلى المستوى النظري يؤسس البحث لكل طريقة من طرق الترتيب؛ فيستخلص المعايير التي بنى عليها، وفلسفته، وجدواه. وعلى الجانب التطبيقي، يقدم فحصا لتوظيف

ترتيب منظومة الحروف العربية في المجالات التطبيقية مثل تعليم اللغة للمبتدئين، والصناعة المعجمية، والفهرسة(indexing)، ولأن النظام الهجائي / الأورثوجرافي (orthographic system) التمثيل البصري للنظام الفونولوجي؛ فقد تناول التقابلات المتنوعة بين الوحدات الفونولوجية (الفونيم)، والوحدات الهجائية / الأورثوجرافية (الجرافيم) لدى تمثيل الوحدات الفونولوجية بالحرف العربي، أو برموز من لغات أخرى. كما في الألفبائية الصوتية الدولية (IPA).

الموضوع السادس: «القيمة التعبيرية للحروف العربية»

أكد الباحث فيه على أن العلماء قد أدركوا مناسبة حروف العربية لمعانيها، وأن للحرف العربي قيمةً تعبيريةً موحيةً فلم يعنهم من كل حرف أنه صوت وإنما عناهم من صوت هذا الحرف أنه معبر عن غرض وأن الكلمة العربية مركبة من هذه المادة الصوتية التي يمكن حل أجزائها إلى مجموعة من الأحرف المعبرة، فكل حرف منها يستقل ببيان خاص مادام يستقل بإحداث صوت معين، وكل حرف له ظل وإشعاع وصدى وإيقاع. كما أن إثبات القيمة التعبيرية للصوت البسيط وهو حرف واحد لا أكثر، أو ثنائي ألحق به حرف أو أكثر، أو ثلاثي مجرد ومزيد أو رباعي منحوت، أو خماسي أو سداسي على طريقة العرب مشتق أو مقيس. وإن الإيقاع الموسيقى للحرف العربي يفجر لدى المتلقي طاقته الكامنة ويسبر أغواره ليخرج الدرر من أعماقه فيبعث السعادة والبهجة من خلال منظومة تفاعلية بين الطرفين المؤثر والمؤثر فيه، ينسجها التوافق والاتساق بين أطراف العنصر الجمالي حتى يجعل المتلقي عنصرا فاعلا في عالم الإبداع والتلاحم. وقد تناول البحث أيضا عدة نقاط منها:

- القيمة التعبيرية والوظيفة البيانية لحروف اللغة العربية.
- أهمية الصوت في تشكيل اللغة باعتباره اللبنة الرئيسية لها.
- علاقة الصوت بالمعنى من خلال الإيقاع والجرس الموسيقي.
- نماذج تحليلية عن التوافق الصوتي والتناسق الفني من: (القرآن الكريم-الشعر-النثر).

وختم البحث بالإشارة إلى ضرورة الاستفادة من خصوصية إيقاع الصوت العربي في تعليم العربية للناطقين بغيرها من خلال الإيقاع الموسيقى.

الموضوع السابع: «عالمية الأبجدية العربية وتأثيراتها الإيجابية على اللغات الأوروبية المعاصرة»

وقد تناوله الباحث في عدة نقاط ألا وهي:

- الأبجدية العربية باعتبارها الخلية الأولى لأية لغة تُبنى عليها منظومتها اللغوية.
- بزوغ نجم اللغة العربية على خريطة الأحداث العالمية في الآونة الأخيرة.
- إبراز القيمة اللغوية للأبجدية العربية وتأثيراتها الإيجابية على اللغات الأوروبية المعاصرة، انطلاقاً مما توصلت إليه بعض البحوث والدراسات الحديثة المتخصصة ذات المصداقية العالية، مضيفا إليها ما في جعبته من خبرات في حقل تدريس اللغة العربية للناطقين بالإنجليزية سواء في طُرق واستراتيجيات تدريس العربية لغة ثانية، المساهمة في وضع مناهج تدريسها، أو تقييم برامجها.

كما تناول الباحث عدة عناصر ذات صلة بالموضوع وهي:

- أولاً: التعريف المقارن بالأبجدية العربية.
- ثانياً: وصول اللغة العربية إلى أوروبا.
- ثالثاً: ظاهرة استعارة المفردات اللغوية.
- رابعاً: تأثير الأبجدية العربية على اللغة الإسبانية.
- خامساً: تأثير الأبجدية العربية على اللغة الإنجليزية.
- سادساً: استراتيجيات تدريس اللغة العربية للناطقين بالإنجليزية.

طريقة العمل ومنهجيته

رأى المحرر أن يكون هذا الإصدار «منظومة الحروف العربية» مكونا من سبعة مباحث، وقد راعَى في ذلك نقطتين محوريتين ألا وهما:

النقطة الأولى: أن يكون الباحث متخصصا، وقد سبق له نشر بحوث علمية في مجال الكتابة العربية.

النقطة الثانية: مراعاة التنوع من عدة أوجه:

- التنوع في الموضوعات بحيث تشمل النظري والتطبيقي.
- التنوع في الخبرات الأكاديمية.
- التنوع في المؤسسات الجامعية التي ينتمي إليها الباحثون لتشمل عدة خبرات علمية دولية؛ للاستفادة من خبراتهم ورؤاهم الأكاديمية والعلمية الثرية.

المشاركون في العمل

اشترك في هذا العمل سبعة باحثين، يعملون في التدريس الجامعي في جامعات مختلفة؛ ويتنوعون في رتبهم العلمية؛ من أستاذ مساعد، إلى أستاذ مشارك، إلى أستاذ. وهم على التوالي:

د. زكي البغدادي: أستاذ اللغويات التطبيقية المشارك-معهد اللغويات العربية بجامعة الملك سعود.

د. سوسن السكاف: أستاذ مساعد-جامعة زايد -أبو ظبي -الإمارات العربية المتحدة.

د. شعبان قرني عبد التواب: أستاذ مساعد-معهد اللغويات العربية بجامعة الملك سعود.

أ.د. مختار عبد الخالق: أستاذ مناهج وطرق تدريس اللغة العربية بمعهد اللغويات العربية -جامعة الملك سعود.

د. بسمة أحمد صدقي الدجاني: أستاذ مشارك بمركز اللغات بالجامعة الأردنيّة بالمملكة الأردنية.

د. عبد العاطي هواري: أستاذ مساعد بجامعة جورج واشنطن، واشنطن دي سي، الولايات المتحدة الأمريكية.

د. نصر عبد ربه: أستاذ مشارك بمعهد الدفاع للغات-كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية.

وفي الختام؛ فإن هذا العمل لا يعدو إلا أن يكون مجرد إطلالة على الطريق، وبداية لكثير من الأعمال البحثية في منظومة الكتابة العربية، وتوظيف كافة الطاقات المادية والبشرية لتتبوأ العربية مكانتها اللائقة بين لغات العالم أجمع.

وأخيرا فما كان في هذا العمل من توفيق فمن الله، وما كان فيه من القصور فحسبنا أننا حاولنا، والخير أردنا، وبذلنا فيه كل ما في وسعنا، وما زال المرء يتعلم؛ فإن ظن أنه علم فقد جهل. «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم».

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المحرر

د. زكي أبو النصر البغدادي

أستاذ اللغويات التطبيقية المشارك بمعهد اللغويات العربية

الرياض-المملكة العربية السعودية

٢٦ شعبان ١٤٣٨هـ

٢٢-٥-٢٠١٧م

أشكال الحروف العربية وإشكالاتها

د. سوسن عبد الصمد السكاف

أستاذ مساعد-جامعة زايد -أبو ظبي -الإمارات العربية المتحدة.

المقدمة:

تعدّ الكتابة أبرز مراحل تحول الإنسان الحضاري، وأولى النقلات النوعية التي منحته صفته الإنسانية عبر التواصل الذي حققه مع سائر الموجودات من جهة، ومع البعد الزمني والتاريخي لأسلافه وأحفاده من جهة أخرى. والكتابة كلمة متعددة المعاني وهي في تعبيرنا الحديث تعني نقل أصوات اللغة المنطوقة إلى حروف وكلمات مكتوبة، أو كما قال الكفوي في الكليات:» جمع الحروف المنظومة وتأليفها بالقلم، ومنه الكتاب لجمعه أبوابه وفصوله ومسائله... قد تطلق على الإملاء وقد تطلق على الإنشاء» [1].

ولقد عاشت الكتابة العربية قرونا من الازدهار والرقي، فحملت بين حروفها فيضا من الفكر يزخر بأنواع العلوم والفنون والآداب، وانتشرت في مشارق الأرض ومغاربها، فكانت الوعاء الذي جمع في داخله أرقى القيم وأعمق الأفكار.

ولا يخفى على أحد الواقع اللغوي لعالمنا العربي اليوم، الذي يوغل في رحلة اغتراب تتسم بطابع العمق والشمول، هذا الواقع الذي انعكس على جوانب اللغة العربية عامة والكتابة خاصة، فتعالت الأصوات تشكو من ضعفها، وتئن من كثرة أخطاء أقلام مستخدميها. ومن هنا فقد استشعرت ضرورة الوقوف مع هذه الظاهرة، وقد أجد لنفسي

أكثر من مسوغ لدراستها، من أهمها أننا نعيش مرحلة تحول خطيرة في واقع أمتنا العربية، ولغة الشعوب هويتهم ومخزون فكرهم وتراثهم وثقافتهم، ونحن نلحظ ما يعتري لغتنا اليوم من هجمات مريرة أثرت في حضورها داخل المجتمع ، فتراجعت لتحل العاميات المحكية بدل اللغة الفصيحة، ولتتلاشى الكتابة الصحيحة من صفحات ودفاتر معظم الطلبة والمتعلمين في جميع المراحل التعليمية، ولنجد اللافتات والإعلانات إما كتبت باللغة الأجنبية، أو كتبت بعربية ممسوخة تعج بالأخطاء والهنات.

وتسعى الباحثة جاهدة من خلال هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على:

١-ظاهرة الكتابة العربية، نشأتها وتطورها.

٢-خصائص الحروف العربية قبل الرسم العثماني وعناية المسلمين الأوائل بإصلاحها.

٣-إشكالات الحروف العربية وصيحات الإصلاح في العصر الحديث.

٤-الدعوة إلى تيسير الكتابة العربية بين السلب والإيجاب.

٥-جهود المحدثين في مجال إصلاح الكتابة العربية تجديدا وتيسرا.

ثم تنهي دراستها بحزمة من المقترحات لمعالجة مشكلات الكتابة العربية، مدعمة برؤية عدد من الدارسين لهذه الظاهرة، وذلك بما يضمن الحرص على الربط بين أنماط الكتابة العربية التي دُوِّن بها نتاج أمتنا الفكري الإبداعي، وبين نمط الكتابة الذي ينادي به المصلحون المتخصصون. وقد اختارت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، لتوضيح ما يحيط بهذه الظاهرة، ومن ثم ربطها بواقعنا الحالي، وصولا إلى رؤية قد تساهم في دفع عجلة التغيير الإيجابي الذي يخدم اللغة ويحافظ على خصوصيتها.

وكي نفهم أشكال الحرف العربي، كان من المستحسن أن نبدأ بنشأته وأصوله، ونستعرض ما دار حوله من رؤى مختلفة توضح نسبه وولادته.

نظريات في نشأة الكتابة العربية:

نشأة الكتابة العربية بحد ذاتها وأصل الحروف العربية مشكلة مستعصية، تتعدد حولها الآراء، وقد تتضارب أحيانا ولا تكاد تستقر. فمن المتعذر الوقوف بصورة يقينية

قاطعة على نشأة الكتابة العربية وبدايتها، بل قد يكون البت في الأمر مستحيلا -بحسب معظم آراء الباحثين والدارسين-فبعدنا عن تلك العصور المغرقة في القدم، يجعلنا غير قادرين على التحقق من الأمر، والوصول إلى استنتاجات مؤكدة مدعمة بالأدلة والبراهين المقنعة.

وكما اختلف الباحثون قديما وحديثا في موضوع نشأة الكتابة الإنسانية الأولى بشكل عام، فقد اختلفوا في رؤيتهم لنشأة الكتابة العربية، وتعددت آراؤهم في مدى نجاعة دراسة هذا الموضوع بين معارضين للبحث فيه باعتباره موضوعا لا يمكن التحقق من صحة وقائعه وأدلته، ومؤيدين بل ومصرّين على مثل هذه البحوث اللغوية التي تنبع من التراث المعرفي.

والباحث في أصل ومنشأ الكتابة العربية يجد نفسه يتنقل عبر تاريخ منطقة الشرق الأوسط، من بلاد الشام شمالا إلى اليمن جنوبا، ومن أطراف الخليج العربي والعراق شرقا إلى أرض سيناء ومصر غربا، ليكتشف أن تلك الكتابة قد استغرقت عصورا طويلة، ومرت بمراحل تاريخية متعددة، وتنقلت عبر حضارات تعاقبت على تلك المناطق تباع[٢]. ومن هنا كان تنوع الرؤى، وتضارب الآراء، وتعدد نظريات نشأة الكتابة العربية، واختلاف أدلتها.

ولا بأس أن نستعرض بإيجاز قدر الإمكان بعض الآراء والفرضيات المتعلقة بنشأة الكتابة العربية، والتي تحاول كل منها تفسير نشأتها بأدلة وقرائن عدة للتدليل على صحتها، ومن أبرزها:

أ- النظرية التوقيفية:

تعد النظرية التوقيفية من أقدم النظريات العربية، ويرى أصحابها أن الكتابة العربية توقيفية من عند الله تعالى، وأنها ليست من صنع البشر، ويستدلون على صحة نظريتهم بقوله تعالى:» اقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم علّم الإنسان مالم يعلم[٣].

ويورد القلقشندي في كتابه صبح الأعشى ما يشير إلى توقيفية الكتابة فيقول: «قيل بأن أول من وضع الخطوط والكتب كلها آدم عليه السلام، كتبها في طين وطبخه، وذلك قبل موته بحوالي ٣٠٠ سنة، فلما أظل الأرض الغرق أصاب كل قوم كتابتهم.

وقيل أخنوخ وهو إدريس عليه السلام، وقيل إنها أنزلت على آدم عليه السلام في إحدى وعشرين صحيفة. وقضية هذه المقالة أنها توقيفية علّمها الله بالوحي»[٤].

ويرى البعض أن أصل الكتابة العربية يرجع إلى سيدنا إسماعيل عليه السلام، فقد حكى ابن عباس إن أول من كتب بالعربية ووضعها إسماعيل بن إبراهيم، ويتفق مع هذه الرواية جملة من المصادر الأدبية والتاريخية[٥].

والدارس للنصوص التي وردت في الكتب العربية القديمة، يجد أن النظرية التوقيفية هذه قد وردت عند الحديث عن معظم الكتابات القديمة، ولم تستأثر بها الكتابة العربية وحدها، مما يدل على أن هذه الرؤية كانت تراثا شائعا في ذلك الوقت، وأشهر من قال بهذه النظرية (هيروقليطس) وأبو الحسن أحمد بن فارس القزويني الرازي[٦].والواقع أن الدارس والباحث في نشأة الكتابة العربية، لا يجد في هذا الرأي دليلا قطعيا يركن إليه، فالقرائن العقلية لا تؤيده وإن صح النقل. وجدير بالقول إن هناك من رفض هذه النظرية من الأقدمين، رغم شيوعها منذ القرون الأولى للهجرة، من أمثال ابن خلدون الذي ذكر أن الخط من جملة الصنائع المدنية وقال: «...وأنه يعد ضرورة اجتماعية اصطنعها الإنسان، ورمز بها للكلمات المسموعة... وشأنها في ذلك شأن الصناعات المعيشية في التقدم والرقي، ولهذا فإن الكتابة تنعدم مع البداوة وتكتسب بالحضر »[٧].

ب-النظرية التوفيقية:

ويقول أصحاب هذه النظرية بالتوفيق ما بين التوقيف والاصطلاح والمواضعة، بمعنى أن الله هو الذي أوحى للإنسان وزوّده بقدرة اصطلاح الكلمات تعبيرا عن معانيها. ومن أصحاب هذه النظرية من علماء العرب أبو علي الفارسي[٨]. لكن هذه النظرية كسابقتها تعرضت لكثير من النقد ولم تصمد أمامه نتيجة لافتقارها إلى الأدلة العقلية التي تؤيدها.

ج-النظرية الاصطلاحية الوضعية:

نادى مؤيدو هذه النظرية بالاصطلاح والتواضع، ويرى أصحابها أن الكتابة اختراع وإبداع إنساني، احتاج إليه الإنسان كمتطلب من متطلبات تطور حياته، وهم يرون أن الكتابة متطلب حضاري بالدرجة الأولى - كما مر معنا في قول ابن خلدون -.

وقد تبنى هذه النظرية عدد من الباحثين واللغويين القدماء من العرب، أمثال الغزالي وابن خلدون وعبد القادر الجرجاني وأبو هلال العسكري، كما تبناها عدد من اللغويين المعاصرين من العرب أمثال محمد المبارك في كتابه (فقه اللغة) وفايز الداية في كتابه (علم الدلالة العربي)، كما كان لها أنصارها ومؤيدوها من الغرب من القدماء والمحدثين، أمثال أرسطو وديكارت وروسو وسوسير(٩).

وقد تعددت الروايات القائلة باختراع الكتابة حسب نسبتها إلى مخترعيها، وذكر الدكتور جواد علي أكثر من عشرين احتمالا لأول من كتب بالحرف العربي (١٠). ويمكن الإشارة باختصار إلى بعضها كما ذكره يوسف ذنون في مقال له، حيث أشار إلى ست روايات مختلفة في ذكر أول من وضع الكتابة، فهناك رواية تقول إن ملوك اليمن هم أول من وضع الحروف العربية على أسمائهم (أبجد-هوز-حطي-كلمن-صعفص-قريشت) ثم أضافوا لها حروفا ليست في أسمائهم. وتقول الرواية الثانية إن أبناء النبي إسماعيل عليه السلام هم أول من وضع الكتاب العربي مفصلا، وقد ورد هذا في تاريخ الرسل والملوك للطبري. ورواية ثالثة تقول إن نفرا من أهل الأنبار القديمة وضعوا الحروف (أ-ب-ت-ث) وعنهم أخذته العرب، وهذا ما ذكره ابن النديم في كتابه الفهرست، وابن خلدون في مقدمته، والألوسي في بلوغ الأرب. أما الرواية الرابعة فتذكر إن عبد ضخم بن آرم بن سام بن نوح ومن تبعه من أولاده من الذين نزلوا الطائف، هم أول من كتب بالعربية ووضعوا حروف المعجم، وقد جاء ذكر هذه الرواية في مروج الذهب للمسعودي. وفي الرواية الخامسة يذكر ابن الكلبي والمسعودي رأياً يقول إن بني المحصن بن جندل بن يصعصب بن مدين هم الذين نشروا الكتابة وهم ملوك كأصحاب الرواية الأولى. وأخيرا الرواية السادسة التي تقول إن أول من كتب العربية هم ثلاثة رجال من بولان، وهي قبيلة من طيء سكنت الأنبار، حيث وضع الأول الصور، ووضع الثاني الفصل والوصل، والثالث وضع الإعجام، وإن أهل الحيرة أخذوا الكتابة عنهم (١١).

والمتتبع لمعظم الروايات التي تناولت هذا الموضوع يلاحظ أن الكتابة العربية قد وضعت في واحدة من المناطق التالية: اليمن وتقع جنوب غرب السعودية، ومدين وتقع شمال غرب السعودية، ومنطقة الطائف وتقع في منطقة مكة المكرمة غرب السعودية،

والأنبار وهي غرب العراق وتقع شمال السعودية، ومنطقة فلسطين التي هاجر إليها أولاد سيدنا إسماعيل متجهين إليها من مكة.

وخلاصة القول فإن الروايات السابقة كلها تشير إلى أن الكتابة صناعة بشرية، احتاج إليها الإنسان كمتطلب ضروري لقيام الحياة الإنسانية وتطورها. ورغم ما تقوم عليه هذه الروايات من المنطق الذي يمكن قبوله نوعا ما، إلا أنها قد تكون أقرب إلى الأساطير والقصص التاريخية، إضافة إلى أنها تفتقر إلى الأدلة والبراهين الملموسة، مما عرضها لنقد واسع ورفض من قِبل عدد كبير من الدارسين (١٢).

وبذلك يمكنني أن أقول بما يراه الكثيرون من الدارسين من أنه لا يمكن البت أو إثبات أي نظرية من النظريات الثلاثة السابقة، لافتقارها جميعها إلى الأدلة العلمية التي يمكن أن يبنى عليها حكم قاطع. ومن هنا أصل إلى النظرية الرابعة التي وجدت الكثير من القبول من قبل الباحثين والدارسين في هذا العصر. وهي نظرية الاشتقاق والتطور.

د. نظرية الاشتقاق والتطور

تؤكد هذه النظرية أن الكتابة العربية ليست توقيفا أو ابتكارا أو اصطلاحا، بل هي اشتقاق وتطوير لكتابات أخرى سبقتها في الزمان، بحيث اختفت تلك الكتابات وبقيت الكتابة العربية قائمة بذاتها (١٣). ويُدلل على صحة هذه النظرية من خلال النقوش الكتابية القديمة التي عُثر عليها في مواطن متفرقة من بلاد العرب (١٤). ووجود تلك النقوش جعل معظم الباحثين يقطعون بصحة هذه النظرية استنادا إلى القرائن المادية الملموسة التي يقبلها العقل، دون الاكتفاء بالقرائن النقلية التي وصلتنا من خلال تواتر الروايات والأخبار. هذا وإن ظلت الاختلافات قائمة حول المصدر الذي اشتقت منه الكتابة العربية، فقد تناولت الكثير من الدراسات تفصيل ذلك بتتبع أشكال الحروف العربية ومقارنتها بأشكال الكتابات القديمة(١٥). فهناك من يرى أنها اشتقت من الخط الآرامي كما يذكر بعض المستشرقين(١٦). وآخرون يرون أن الكتابة العربية إنما اشتقت من خط الجزم الذي كان عبارة عن كتابة متحضرة من الكتابات السائدة في شمال الجزيرة العربية ذات الأصل الآرامي (١٧). وهناك من يؤكد اشتقاق الكتابة العربية من الخط النبطي، وهذا ما يرجحه معظم الباحثين. يقول الدكتور ناصر الدين الأسد في حديثه عن الخط

العربي: «...وأن يكون مشتقا من الخط الآرامي كما كان يذهب بعض المستشرقين، أو مشتقا من الخط النبطي كما يذهب المستشرقون اليوم، وهو أرجح الآراء عند الباحثين في هذا الموضوع»(١٨).

وبشكل عام، ترى كثير من الدراسات بعدما وضحته ثورة المكتشفات الأثرية، وعلم مقارنات اللغة، أن الخط الفينيقي مصدر الخطوط السامية، وأن الآرامي والمسند (الحميري) بأنواعه مشتقان منه، ومن الآرامي اشتق الخط النبطي، فهذه هي المصادر المباشرة التي يمكن أن ينسب لها الخط العربي في العصر الجاهلي.

والجدير بالذكر هنا، أن معظم الدراسات العربية والغربية قد أيدت هذا الاتجاه، على اعتبار أن الكتابة بشكل عام عمل إنساني، دعت إليه الظروف الحياتية، وأخذ يتطور بفعل القدرات والفكر البشري كي يتلاءم مع تغيرات الحياة ومتطلباتها. وأن الكتابة العربية نشأت على بقايا كتابات سبقتها، حسب قانون الحياة الطبيعي الذي يعتمد – في معظم اتجاهاته–تطوير كل جديد بالبناء على ما سبقه.

خصائص الحروف العربية قبل الرسم العثماني وعناية المسلمين بإصلاحها:

تبعا للنقوش والآثار التي عثر عليها وتمت دراستها، وتبعا للبحث العلمي القائم على الدليل المادي المحسوس، تأكدت معرفة أبناء العصر الجاهلي بالكتابة معرفة قديمة سابقة للإسلام بعدة قرون. يقول ابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥ للهجرة (فأما من حكي عنه من الأعراب الذين لم يعرفوا الهمز والجر والكاف والدال، فإنا لا نزعم أن العرب كلها مدرا ووبرا قد عرفوا الكتابة كلها والحروف أجمعها، وما العرب في قديم الزمان إلا كما نحن الآن، فما كل يعرف الكتابة والخط والقراءة)، ويقول علم الدين السخاوي المتوفى سنة ٦٤٣ للهجرة «فإياك وما تراه من قول من يقول : «لم تكن العرب أهل كتاب ولا أقلام» (١٩). وفي هذا تقرير بمعرفة بعض العرب بالكتابة في العصر الجاهلي».

ومع إثبات الأدلة والقرائن لمعرفة أهل الجاهلية بالكتابة، فإنه يذكر أنه كان في الجاهلية معلمون يعلمون الناس القراءة والكتابة، وقد خصصت بعض المصادر العربية فصلا خاصا أثبتت فيه جريدة بأسماء المعلمين في الجاهلية والإسلام. كما تؤكد المصادر وجود مدارس خاصة في الجاهلية اهتمت بتعليم الكتابة. وذكر البلاذري نقلا عن

الواقدي قوله: «كان الكتّاب في الأوس والخزرج قليلا، وكان بعض اليهود قد علم كتابة العربية، وكان يعلّمه الصبيان في المدينة في الزمن الأول، فجاء الإسلام وفي الأوس والخزرج عدة يكتبون» (٢٠). لكن الكتابة تبقى محدودة الانتشار في ذلك العصر لعدم حاجة أهله لاستخدامها بشكل واسع. وفي ضوء هذا يمكننا أن نفهم فداء الأسرى في بدر حين أذن الرسول صلى الله عليه وسلم لمن كان كاتبا من الأسرى، أن يفدي نفسه بتعليم عشرة من صبيان المسلمين الكتابة والقراءة.

ومع ظهور الإسلام نقل الدين الجديد الناس مما يسمى بالعصر الجاهلي إلى عصر صدر الإسلام، ومعهم ثقافتهم الخاصة وفكرهم ومعارف ذلك العصر، وكانت الكتابة واحدة من المعارف التي أثبتت الأدلة والقرائن وجودها في حياة العرب قبل الإسلام بقرون عدة، وإن كنّا مازلنا نجهل الكثير عن ذلك العصر. يقول الدكتور ناصر الدين الأسد «ولكن لا بد لنا من أن نعترف، اعترافا واضحا لا لبس فيه، أن كل دراسة لموضوع الكتابة في العصر الجاهلي، ستبقى دراسة مبتورة ناقصة مادامت رمال الجزيرة العربية تضنّ بهذه الكنوز التي ترقد في بطونها، عن أن تجلوها الأبصار للدارسين، حتى يسائلوها أخبار هؤلاء الأسلاف الذين شاء لهم جحود التاريخ أن يوصموا بالجهل والبدائية» (٢١).

والحديث عن الكتابة في العصر الجاهلي، يجعلنا نتساءل عن شكل الحرف العربي الذي عرف آنذاك. ونجد العديد من الدراسات قد تحدثت عن تطور رسم الحرف العربي، مبينة علاقته بالكتابات التي سبقته والتي اشتق منها، فذكرت أن الكتابة العربية قد حملت خصائص ومميزات الكتابات السامية عامة والنبطية خاصة، فهي تستعمل رمزا واحدا لعدة أصوات مختلفة، وقد استطاعت قبل الرسم العثماني، أن تتبنى نظاما منطقيا لتمثيل الحركات الطويلة الثلاث، باستخدام رموز الصوامت الثلاثة: الألف (الهمزة) والواو والياء، لكن بينما استقر نظام الإشارة على الضمة والكسرة الطويلتين، نجد أن الفتحة الطويلة كانت لاتزال غير كاملة، ففي نقش حران والقاهرة ورد استخدم رمز الفتحة الطويلة في آخر الكلمات دون وسطها، كذلك فإن الكتابة العربية في هذه المرحلة لم تبد أية محاولة للإشارة إلى الحركات القصيرة، ولم يكن قد استقر أيضا نظام الإشارة إلى الفتحة الطويلة (الألف) في وسط الكلمات إلا بعد فترة طويلة (٢٢).

ومع بزوغ الإسلام وانتشار الدعوة للدين الجديد، بدأت الكتابة تلعب دورا كبيرا في حياة هذه الأمة الحديثة، وأصبحت الحاجة ملحّة لاستخدامها، وقد حرص المسلمون على تعلمها وتجويد الخط وتطويره ليس من منطلق حرصهم على قراءة القرآن الكريم والعناية بكتابته ونشره وتداوله فقط، بل من منطلق حاجة تلك الدولة الناشئة إلى تدوين نظامها وعلاقاتها مع من حولها من الشعوب، من مراسلات إدارية، ومكاتبات بين الخلفاء والولاة وقادة الجيوش وغيره. ويشهد نسخ القرآن الكريم في مصاحف عدة في عهد الخليفة عثمان بن عفان وتوزيعها على الأمصار على أهمية الكتابة لتلك الدولة الناشئة.

وأول ما يمكن أن يستوقفنا من مظاهر اهتمام المسلمين وعنايتهم بالكتابة، قضية نَقط الشكل[٢٣] ونَقط الإعجام[٢٤]، فالنقوش التي اعتُمدت كدليل قاطع على معرفة أهل العصر الجاهلي بالكتابة كانت خالية من الشكل والإعجام، وقد تعددت الأقوال في ذلك، فذكرت كثير من المصادر أن الخط الذي وصل إلى العرب في جاهليتهم كان خلوا من التنقيط، وتعليل ذلك أن الكتابة العربية اشتقت من كتابة نبطية لا إعجام فيها. والشائع أن نصرا بن عاصم (ت ٨٩ هـ) ويحيى بن يعمر الليثي (ت ١٢٩هـ) تلميذي أبي الأسود الدؤلي هما من وضع النقط والإعجام، بطلب من الحجاج بن يوسف الثقفي في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (حكمه من ٦٥-٨٦ ه)، وذلك لكثرة التصحيف في القراءة، خصوصا في العراق لكثرة الأعاجم فيه (٢٥). لكن نقولا كثيرة وأقوالا عدة تشير إلى أن التنقيط كان معروفا قبل نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر بزمن طويل، ويستشهد أصحابها على ذلك بإحدى البرديات التي عثر عليها والمؤرخة سنة ٢٢ هـ والتي تحتوي حروفا منقوطة (خ-ذ-ز-ش ن)، وهذا يشير إلى أن الإعجام كان معروفا قبل كتابة مصحف عثمان، وتقول الأخبار إن هذا المصحف جُرّد من النقط تجريدا متعمدا، فقد ورد عن ابن الجزري قوله «إن الصحابة رضي الله عنهم لما كتبوا تلك المصاحف، جرّدوها من النَقط والشكل ليحتمله ما لم يكن في العرضة الأخيرة مما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم. وإنما أخلوا المصاحف من النَقط والشكل لتكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المتلوين شبيهة بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المعقولين المفهومين»[٢٦]. وبهذا يمكن القول إن نصرا بن عاصم ويحيى بن معمر ليسا من ابتكر الإعجام، وإنما هما من أثبتاه على المصحف العثماني.

أما النَقط فيرجّح أن المقصود به هنا (الشكل) أي نَقط أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ)، وهو بيان حركات أواخر الكلمات بوضع نُقطة فوق الحرف للدلالة على الفتحة، ونُقطة تحت الحرف للدلالة على الكسرة، ونُقطة بين يدي الحرف للدلالة على الضمة، بحبر يخالف لونه لون حبر الكتابة نفسها. ويذكر أن أبا الأسود الدؤلي كان من أوسع الناس معرفة وعلما باللغة العربية، ويقال إن طريقته في شكل أواخر الكلمات، كانت بأن استحضر كاتبا وأمره أن يتناول المصحف، وأن يأخذ صبغا يخالف لون المداد، فإذا رأى الكاتب أبا الأسود قد فتح شفتيه على آخر حرف، نقّط نُقطة واحدة تحت الحرف بالصبغ المخالف، فيكون هذا هو الكسر، فإذا ضم شفتيه جعل الكاتب النُقطة بين يدي الحرف فيكون هذا هو الضم، فإن تبع الحرف غنة، نقّط الكاتب نقطتين إحداهما فوق الأخرى، وهذا هو التنوين [٢٧].

وقد تفنّن الناس بعد أبي الأسود الدؤلي في شكل التنقيط، فمنهم من جعل النُّقط مربعة ومنهم من جعلها مدورة مسدودة الوسط أو خالية الوسط. ويرى البعض أن نَقط أبي الأسود الدؤلي في ظاهره ضبط صوتي، لكنه يشكل في مضمونه بداية الدرس النحوي عند العرب، فما النُّقط التي اقترحها للحركات إلا علامات لخصائص صوتية، أثرت تأثيرا مباشرا على نمو الخط العربي وتطوره ليأخذ صورته الأخيرة. ويمكن القول إن ما قام به أبو الأسود الدؤلي يعد الإصلاح الأول في الحرف العربي، ويعد عمل نصر ويحيى الإصلاح الثاني للحرف العربي. وقد نجد من يرفض اعتبار ما تم نوعا من الإصلاح، لأنهم يرون أنه عمل هدف إلى ضبط النطق وضبط الإعراب، وتحسين لفظ القارئ وأمن اللحن والتصحيف، فالخط لم يتحسن ولم تذهب بعض عيوب تركيبه التي ورثها عن الخط النبطي، بل تحسن لفظ القارئ [٢٨]. وإن كانت أغلب الدراسات ترى فيها إصلاحا للحرف العربي، وهو أقرب إلى الصواب.

اتبع الناس في زمن بني أمية الإصلاح الذي أدخله أبو الأسود الدؤلي وتلميذاه على الكتابة، وجاءت الإضافة الأخيرة لكتابة الحرف العربي في العصر العباسي الأول على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ) حين ارتأى الناس أن يجعلوا الشكل بنفس لون الكتابة، وقد تحدث القدامى عن اجتهاد الفراهيدي حين وضع الشكل بالحروف، إذ قال أبو الحسن بن كيسان، قال محمد بن يزيد : (الشكل الذي في الكتب من عمل

الخليل، وهو مأخوذ من صور الحرف) فقد وضع الخليل للفتحة ألفا صغيرة مضطجعة فوق الحرف (ـَ) وللكسرة رأس ياء صغيرة تحته (ـِ) وللضمة واوا صغيرة فوقه (ـُ) فإذا كان الحرف المحرك منونا كرر الحرف الصغير مَرتين (ـً ـٍ ـٌ) ووضع للسكون الشديد رأس حرف الشين- الشدة - (ـّ) ووضع للسكون الخفَيف رأس حرف الخاء (حـ) بلا نقطة ووضع للهمزة رأس حرف العين (عـ) ولألف الوصل رأس (صـ) وللمدّ الواجب ميما صغيرة مع جزء من الدال. وهي الحركات التي مازلنا نستخدمها حتى يومنا هذا. والخليل بذلك يثبت حسه المرهف وقدراته الصوتية، حيث شعر بالرابط الصوتي بين إنتاجنا صوت واو المد وإنتاج حركة الضم، وتلمس بدقّة الفارق الزمني في إنتاج كل منهما، فالواو تختلف عن الضمة في كونها أطول منها زمنا [٢٩]. وهكذا فقد وضع الخليل بن أحمد الفراهيدي علامات ثمان: الفتحة والكسرة والضمة والسكون والشّدة والمدة وعلامات الصلة والهمزة. وبذلك اختلط نَقط الشكل ونَقط الإعجام معا وأصبح كل منهما يوضع بلون المداد نفسه.

ويمكن القول: إن الرسم العثماني للمصحف الكريم، قدم لنا نموذجا لما كانت عليه الكتابة في النصف الأول من القرن الهجري الأول، حيث التزم أكثر الصحابة والتابعين بهذا الرسم حتى ولو كان ما يكتبونه ليس قرآنا ولا حديثا نبويا. ومع انتشار الإسلام وتوسع رقعة الدولة، اتسع انتشار الكتابة، ونشأت الدراسات العربية بفروعها المختلفة، التي قامت أساسا لخدمة الدين ولغرض فهم القرآن الكريم، ثم توسعت لتشمل علوما متنوعة دينية ودنيوية، واستمرت الكتابة على هذا الحال إلى أن ظهر علماء البصرة والكوفة وأسسوا لفن الكتابة ضوابط وروابط بنوها على أقيستهم النحوية والصرفية، وسموها علم الخط القياسي أو الاصطلاحي. وقد وجّه هذا الاهتمام علماء اللغة العربية لكتابة مؤلفات وضّحوا فيها قواعد الخط والهجاء العربي، وبينوها بالشرح والتفصيل.

وتذكر كتب طبقات اللغويين والنحاة، بضعة مؤلفات في موضوع الخط والهجاء (الرسم، الخطّ، الكتابة، الهجاء، تقويم اليد، إقامة الهجاء) وهي المصطلحات التي كانت تطلق على ما يسمى بالإملاء اليوم. فهناك عدد من الكتب تضمنت فصولا في الهجاء، أقدمها (أدب الكاتب) لابن قتيبة ت٢٧٦هـ، وكتاب (المقصور والممدود) لابن ولاد ت ٣٣٢هـ والذي تضمن بابين في موضوع الهجاء، ويوجد كذلك باب

عن أصول الهجاء في (الشافية) لابن الحاجب ت ٦٤٦ هـ وفي (صبح الأعشى) للقلقشندي ت ٨٢١ هـ، وورد في كتاب جلال الدين السيوطي (همع الهوامع في شرح جمع الجوامع) بابا واسعا عن الهجاء والخط. إضافة إلى إشارات أخرى تناولت أسس الكتابة وقواعدها في مصادر عديدة. وهناك من أفرد للخط والهجاء كتبا خاصة مثل أبي بكر الصولي ٣٣٦هـ في (أدب الكتّاب) وأبي جعفر النحاس ٣٣٨هـ في (عُمدة الكُتّاب) وابن درستويه ٣٤٧هـ في (كتاب الكتّاب). ولم يصل إلينا من هذه الكتب – في غالب الظن – إلا كتاب ابن درستويه، وقد قال ابن درستويه في مقدمة الكتاب «وقد سميناه كتاب الكتاب، إذ كان قصدنا فيه لما يكتب من نهج وقراءة دون غيره»[٣٠].

والدّارس للكتابة العربية وتطور الحرف العربي، يرى يقينا العلاقة الواضحة بين نظام ما نكتب به الآن وبين الرسم العثماني، وحقيقة العلاقة بين نظامي الكتابة هذين، هو أن الكتابة العربية ظلت فترة من الدهر تكتب بطريقة الرسم العثماني، إلا أن اتساع استخدام الكتابة وتعدد أغراضها، أظهر الحاجة إلى ضبط معاييرها وتحديد قواعدها، فاتجه الناس منذ القرن الأول إلى تكميل ما يبدو فيها من نقص، وإلى توحيد ما يظهر فيها من تعدد القواعد، فأسهم علماء العربية في هذه الحركة، وألفوا الكتب والرسائل كما أسلفنا. لكن هذه الحركة التكميلية والتقعيدية لم تبتعد بها عما هي عليه في الرسم العثماني. وتحصر الدراسات والمراجع الاختلاف بين الإملاء العربي حتى يومنا هذا والرسم العثماني في خمسة فروق لا غير، وهي:

- الحذف: (ملك الملك: مالك الملك –داود: داوود – إلفهم رحلة الشتاء والصيف: إيلافهم – نجي: ننجي – اليل: الليل)
- الزيادة: (وجأي: وجيء – سأوريكم: سأريكم – بأييد: بأيد)
- البدل أو قلب حرف إلى حرف: (الصلوة: الصلاة – تفتؤا: تفتا – ورآي: وراء – رحمت ربك: رحمة)
- القطع والوصل: (مال هذا: ما لهذا – يبنؤم: يا ابن أم –حيث ما: حيثما)
- الهمز: (القرءان: القرآن – لتنوأ: لتنوء ءايتي: آياتي)

وهكذا نصل إلى أن الكتابة العربية لاقت اهتماما كبيرا في العصر الإسلامي الأول،

حيث أصبحت الحاجة ماسة لها في نواح عدة تتعلق بداية بقراءة القرآن الكريم، ثم بنشر الدين، وإرساء قواعد الدولة الجديدة، فجرى عليها بعض الإصلاحات، وأُلفت فيها العديد من الرسائل والكتب، وصيغ لها أسس وقواعد تم توصيفها وتداولها في كتب ومؤلفات بهدف توحيد رسمها وتسهيل انتشارها. ويمكن القول إن الاجتهاد في تطوير الكتابة العربية وتيسير قواعدها توقف منذ القرن الهجري الثاني تقريبا، فظلت ثابتة على صورتها حتى يومنا هذا.

إشكالات الكتابة العربية وصيحات الإصلاح في العصر الحديث:

ووجهت اللغة العربية عامة والكتابة خاصة في هذا القرن بانتقادات كثيرة، واتُّهمت بالجمود وعدم قدرتها على مواكبة تقدم العصر والتعبير عن قضاياه. وكثرت الإشارة إلى مثالب عدة في الكتابة العربية ونواقص كثيرة تشير إلى عجزها وعدم ملاءمتها لواقع الحال. فقيل إن الكتابة العربية تفتقر إلى التطابق التام بين صورتي المنطوق والمكتوب، فضلا عن أنها تشتمل على تعدد لصور الحرف الواحد بحسب موضعه في السياق، وعلى أحكام خاصّة للفصل والوصل، والزيادة والحذف، وعلى التعدد في أنواع الهمزات وصورها، وعلى ارتباط بعض قواعد الإملاء بمعارف نحوية أو صرفية أو لغوية، وعلى حذف بعض الحروف في مواضع لدواعٍ تقتضيها، مثل التقاء الساكنين وعلى وجود لَبْسٍ بين الحروف المتقاربة في المخارج أو الصفات، وعلى فشوّ الأخطاء الشائعة في الإملاء وغيره. فتعالت الصيحات مطالبة بحل إشكالاتها، بغية تيسر استخدامها.

وكان من أخطر ما شهدته حملات الدعوة لإصلاح الحرف العربي وتطوير الكتابة العربية وتحديثها، ما جاء على يد عدد من المستشرقين الذين اهتموا بدراسة اللهجة العامية منذ القرن التاسع عشر، واتخذوا من صعوبة الفصيحة مولجا لهم للإقناع بضرورة هجر نظام الكتابة العربية، واستبدال حروفها بحروف لاتينية. ودوّن في هذا الموضوع العديد من الكتب والمؤلفات، كان من أبرزها الكتاب الذي قدمه المستشرق الألماني الدكتور (ولهلم سبيتا» Wilhelm Spitta) ١٨٨٠والذي كان مديرا لدار الكتب المصرية بعنوان (قواعد العربية العامية في مصر) وفيه اتهم اللغة العربية الفصيحة بالتعقيد الذي يجعلها صعبة التعلم، وادّعى أن هذا هو سبب هجر أهلها العرب لها، واتجاههم إلى العامية، ودعا إلى استبدال حروفها العربية بحروف لاتينية، واعتماد العامية المصرية لغة

للتأليف والكتابة والمعاملات. وسار على نهج دعوته للكتابة بالعامية الألماني الدكتور (كارل فولرس K.Vollers) ١٨٩٠م وكان يعمل أيضا في دار الكتب المصرية وأحد كتاب دائرة المعارف الإسلامية، حيث وضع كتابا بعنوان (اللهجة العربية الحديثة في مصر) دعا فيه أيضا إلى هجر الحروف العربية وتبني الحروف اللاتينية. وألقى (وليم ولكوكس Wiliam Willcoks) محاضرة عام ١٨٩٠ بعنوان (لِمَ لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن؟) زعم فيها أن أهم عائق يمنع المصريين من الاختراع هو أنهم يؤلفون ويكتبون باللغة العربية الفصيحة، وأنهم لو ألفوا بالعامية لساعد ذلك على قوة الابتكار. وأصدر (سلدن ولمور J. Seldon Willmore (١٩٠٩كتابا بعنوان (العربية المحكية في مصر) وسار على خطا سبيتا في دراسة العامية المصرية، ودعا إلى كتابتها بحروف لاتينية، واتخاذها لغة أدبية [٣١].

وكان من الغريب أن تجد دعوة سبيتا وأتباعه من الأجانب والمستشرقين صدى وقبولا عند طائفة من العرب، الذين تلقفوا آراء سبيتا وفتقوا القول فيها، وقد تركت هذه الدعوات صداها في نشر فكرة صعوبة اللغة العربية الفصيحة وتعقد قواعدها، وبالتالي ضرورة النظر في إشكالات حروفها ونظام كتابتها ومحاولة تحديثه، وانتشرت صيحات المطالبة بتيسير الكتابة العربية مدويّة، مما حدا بمجمع فؤاد الأول للغة العربية عام ١٩٣٩ إلى أن يؤلف لجنة من العرب والمستشرقين كي تدرس هذه المشكلة، وتعمل على إيجاد حل لها، يخلصها مما علق بها من شوائب، ويزيح عنها مواضع الخلل، وبعد ست سنوات من عمل اللجنة أعلنت عام ١٩٤٦ عن جائزة قدرها ألف جنيه لمن يتقدم بمشروع مبرأ من العيوب لإصلاح هذا الخط [٣٢] وكانت حصيلة ذلك أن انهالت المقترحات ووصل عددها إلى مئتي مقترح.

قدمت البحوث والدراسات مقترحات عدة، واختلفت رؤيتها لقضية إصلاح الحروف العربية، والملاحظ كثرة المؤلفات التي اتجهت نحو تبني الحروف اللاتينية في تلك الفترة، والغريب أنها كانت على يد عدد من العرب، نذكر منها على سبيل المثال اقتراح عبد العزيز فهمي[٣٣] الذي قدّمه لمجمع اللغة العربية في القاهرة عام ١٩٤٣، والذي اقترح فيه الإبقاء على خمسة حروف عربية، وخمسة عشر حرفا لاتينيا، وإضافة زوائد ووضع حروف للحركات. وقد رفض المجمع هذا المشروع لافتقاره للأساس

العلمي. وتبعه مشروع داوود الحلبي عام ١٩٤٥ الذي أُعلن في دمشق وبغداد، ومشروع ميشيل ملوك عام ١٩٤٦ في مصر، ومشروع الأب جان ستاركي في بيروت عام ١٩٤٧. وجميعها تبنت الدعوة لاستبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني. لكن هذه الدعوة تراجعت وخفت صوتها لما وُوجهت به من تصد شعبي حاد ورفض قاطع، فحملت عليها الصحف حملة شعواء منبهة إلى خطورتها. وفي اجتماع اللجنة الفنية في القاهرة لدراسة أحرف الطباعة عام (١٩٧١) قررت دون تحفظ أن تستبعد اتخاذ الحروف اللاتينية كبديل للحروف العربية استبعادا مطلقا، فخمدت نار تلك الدعوة ولم تعد تطرح بعد ذلك (٣٤).

وصدر عن المجمع بحوث ومقالات وتوصيات وقرارات تتعلق بقواعد الإملاء، لم تأخذ طريقها إلى التطبيق، إذ اقتصر بعضها على الإشارة إليها دون الأخذ بها والتزامها، ففي فبراير عام ١٩٤٤ عرض علي الجارم مشروعه الخاص بتيسير الكتابة الذي اقترح فيه إبقاء صور الحروف العربية على حالها، ومحاولة تصوير الكلمة كما تنطق، بإضافة زوائد تكتب في بنية الكلمة للدلالة على الحركات. وفي مؤتمر يناير عام ١٩٥١م، اقترح محمود تيمور تسهيل شكل الكتابة المطبعية بالاقتصار على صورة واحدة للحروف، هي التي تقبل الاتصال من أول الكلمة، وذلك في الحروف التي تتصل بغيرها، وقد أجاز مجمع اللغة العربية اقتراح محمود تيمور لكنه لم ينفذ (٣٥).

ومن خلال ما تم الاطلاع عليه من كتب ودراسات، وما ذكره محمود فهمي حجازي في قائمة حصرية لأهم المحاولات في مجال حلّ إشكالات الحروف العربية ضمّت ما قدم من مقترحات منذ عام ١٨٨٥ وحتى ١٩٧٧، يمكن تقسيم مقترحات ودعوات إصلاح الحروف العربية إلى:

- الدعوة إلى هجر الكتابة باللغة الفصيحة، واتخاذ اللهجات العامية أداة للكتابة.
- الدعوة إلى اتخاذ الحروف اللاتينية في الكتابة العربية، والاستغناء عن الحروف العربية.
- الدعوة إلى إيجاد وابتكار حروف جديدة أكثر تطورا عن الحروف العربية.
- الدعوة لتطوير الحروف العربية والكتابة بحروف منفصلة.

• الدعوة لوضع منظومات جديدة للحركات في الكتابة العربية.

• الدعوة لإيجاد حلول لإشكالات الحرف العربي بما لا يخرج الكتابة العربية عن نظامها المألوف.

ومن خلال ذلك نجد أن دعوات إصلاح الحرف العربي تشعبت في اتجاهات متناقضة، يمكننا أن نطلق على بعضها دعوات هدامة، لا يمكن لمخلص لأمته أن يقبل مناقشتها لأنها تهدف إلى الذوبان في بوتقة الغرب، بينما نجد بعضها الآخر يسعى بصدق إلى خدمة اللغة العربية، وحل مشكلاتها وتيسير استخدامها، مع الحرص على إبقاء الصلة قائمة بين الحاضر والماضي.

الدعوة إلى تيسير الكتابة العربية بين السلب والإيجاب:

إن اهتمام مجامع اللغة العربية والمنظمات والجامعات والهيئات العامة والخاصة بشؤون اللغة العربية وإصلاح الحرف العربي وتيسير نظام الكتابة به منذ القرن التاسع عشر، وتشجيعها على التفكير بمقترحات جادة في هذا الجانب، إنما هو اعتراف بوجود نواقص في شكل الحروف العربية وفي نظام كتابتها تستدعي المعالجة، ومقترحو التغيير من سابقين ولاحقين ومعاصرين يرون ضرورة السعي في هذا الاتجاه لقناعتهم أن العربية تنفرد بإشكالات قد لا توجد في الكتابات الأخرى، ويستشهدون على هذا بواقع حال الكتابة الذي نعايشه في عصرنا. وهنا أجد ثلاثة اتجاهات مختلفة في مواقف أصحاب الشأن من هذا الموضوع:

• فئة تتشدد للحرف العربي ونظام الكتابة الحالية، وترى أن أي تغيير يعد خطرا على اللغة ويهدد كيانها لذلك تجد أن الحل إنما يكون بالإبقاء على واقع الكتابة الحالية، والاهتمام بإتقان تعليمها واستيعاب خصوصيات حروفها.

• وفئة ترى أن اللغة العربية أصبحت جامدة في عصر التفجر المعرفي ولم تعد قادرة على مواكبة المعطيات الحديثة والتعبير عنها، وأنها بنظام كتابتها الحالي والمعقد تقف حائلا دون الابتكار والإبداع، لذلك كان لابد من استبدالها استبدالا كاملا بنظام آخر أكثر مرونة وتكيفا مع عصر التكنولوجيا والمخترعات.

• وفئة ثالثة ترى أن التجديد والتطوير هو سنة الحياة، وأنه من البديهي أن نسعى

لتكييف حروف لغتنا ونظامها الكتابي مع العصر الجديد، لا بهدف التجديد للتقليد وإنما بهدف التيسير، لكن ضمن شروط يُحافظ من خلالها على أصالتها، فتُغذى بروافد وتقنيات كتابية جديدة تساعد على تيسيرها وتسهيل تعلمها، وبالتالي تسهيل وتوسيع الإنتاج بها.

وكي نقدر حجم المشكلة، علينا أن ننظر بموضوعية إلى حقيقة ما يشكو منه الحرف العربي وينعكس بصعوبة على نظام الكتابة به، وأن نبين ما أجمعت عليه كثير من الآراء حول قضايا متعلقة بنظام الكتابة تحتاج المعالجة والحل، ثم أن ندرس الواقع الكتابي الذي نعايشه كمعلمين ومتعلمين.

وقد يكون من أبرز ما نسب للغة العربية وكتابتها من نواقص ومثالب قيل إن لغتنا العربية تنفرد بها عن غيرها من اللغات، واجتمعت عليها كثير من الآراء ما يلي:

أ – اختلاف المكتوب عن المنطوق: وهو ما يتجلّى في حذف بعض الحروف المنطوق بها من الكتابة مثل الكلمات (هذا، هذه، هؤلاء، الرحمن، السموات،) وفي زيادة بعض الحروف في الكتابة دون النطق بها مثل (مائة، عَمْرو، أولو، أولات، كتابًا، حفظوا).

ب–التعدّد في رسم صور بعض الحروف، مثل:

– الحروف القابلة للاتصال كحرف الباء على سبيل المثال: (بر–قبر–كتب – سحاب)

– الألف الليّنة (دعا، رمى، قال).

جـ–أحكام الوصل والفصل والحذف في بعض الكلمات أو التراكيب (مَنْ ، ما ، لا) مثل (مِمّا، مِمَّ ، عَمّا ، عَمَّ ، إمّا ، ألاّ ، أنْ لا ، إلاّ ، إلامَ ، علامَ ...).

د – التعدّد في رسم أنواع من الهمزات لدواعٍ مختلفة مثل :

ا–لهمزة (أ، إ، ؤ، ئ، ء، ـئـ).

– الهمزة في وسط الكلمة (مسْئُول –مسْؤُول) (قرَأُوا–قرَؤُوا –قرَءُوا –قرَؤُا).

– الهمزة في آخر الكلمة (لجوء–تباطؤ–شاطئ)

– الهمزة في بداية الكلمة (استغفر، أكرم، إحسان، آمَنَ).

هـ -اعتماد رسم أنواع من الكلمات على بعض معارف النحو والصرف (بعض الهمزات، والألف الليّنة المتطرفة، والتاء المربوطة) مثل (بناؤه، بناءه، بنائه) (دعا، سعى، قضى، أحيا، دنيا، استحيا، جبا، جبى) (رحمة، رحمات، قضاة، حكمة).

و -حذف حروف العلة لالتقاء الساكنين في كلمة واحدة، وذلك في مواقع من الكلمات مثل (سَعَتْ ، سَعَتا ، سَعَوا ، يَسْعَوْنَ ، تَسْعَوْنَ) (غَزَتْ ، غَزَتا ، غَزَوا ، يَغْزُوْنَ ، تَغْزُوْنَ) (رَضُوا، يَرْضَوْنَ ، تَرْضَوْنَ ، تَرْضَيْنَ) (مَشَتْ ، مَشَتا ، مَشَوا ، يَمْشُونَ ، تَمْشُونَ)[٣٦].

ز – نظام الحركات المنفصلة عن الحروف وكثرة تدوين الأحرف وهي خالية منها (الفتحة – الضمة–الكسرة) مما ينعكس سلبا على القراءة ويجعل البون شاسعا بين ما يقرأ وما يجب أن يقرأ.

ح–اعتماد التفرقة بين مجموعات من الحروف على أساس النقاط ومواضعها، مع تطابق شكل الحرف (ج – ح–خ).

وفي الواقع لو تأملنا هذه الإشكالات المنسوبة للغة العربية، لن نتمكن من إنكارها، وعلينا أن نعترف أنها تقف في كثير من الأحيان عائقا في وجه متعلمي اللغة العربية من أهلها ومن الناطقين بغيرها، فتجعلهم يخشون استخدامها بأريحية للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم، وهذا ما نلمسه من خلال الدراسات التي حاولت رصد أخطاء الطلاب الكتابية. وقد يكون ما قدمه إبراهيم عبد المطلب في كتابه (الهداية إلى ضوابط الكتابة) (٣٧) ١٩٥٨ من قوائم للأخطاء الشائعة في الصحف والمجلات حيث حصر عددها فبلغت ١٨٢ خطأ منها: الألف اللينة، وما يوصل بغيره من كلام، وما يفصل عن غيره منه، والحروف التي تحذف أو تزاد في بعض الكلمات، خير دليل على وجود مشكلة قديمة تبحث لها عن حل.

والحق أن مشكلة الكتابة واحدة من المشاكل التي يعاني منها المعلمون والمتعلمون على حد سواء، ومن خلال سؤال وجه لمعلمي اللغة العربية عن الصعوبات التي تواجههم في تعليمها في استفتاء أجرته المنظمة العربية عام ١٩٧٤، ظهر أن الكتابة تشكل صعوبة يعاني منها معلمو ومتعلمو اللغة العربية. ويؤكد الدكتور حسام الخطيب

أن العربية في شكل كتابتها الحالي تحتاج إلى جهد خاص في الكتابة، ودعا إلى إعادة النظر في نظامها دون التخلي عن حروفنا الأصلية(٣٨).

لكن في الوقت ذاته فإن تفحص هذه الإشكالات يظهر أنها غير شائكة، وليست كما أوحى بعض الدعاة بأن لغتنا العربية هي التي تنفرد بمثلها، وتنعدم في غيرها من اللغات ذات الحروف اللاتينية. ولست هنا في مقام الصد والرد وعقد المقارنات بين نظام لغتنا الكتابي وغيرها من اللغات لأظهر أنها أحسن حالا من كثير من اللغات الحديثة، لكن لا بأس أن أشير إشارة سريعة إلى أن معظم الإشكالات المذكورة ليست حصرا على لغتنا، وما تشكو منه بعض اللغات من الفارق بين المكتوب والمنطوق قد يكون أكبر مما تعانيه كتابتنا العربية، ولنا في الإنكليزية والفرنسية خير مثال. وهناك دراسات كثيرة وفصلت في هذا الموضوع (٣٩). وكون هذه الإشكالات موجودة في لغات أخرى لا يعني أن ننكر وجودها في نظام كتابتنا العربية، أو ننكر أنها تؤثر سلبا على عملية الكتابة نفسها. فيا حبذا لو تيسر إيجاد حلول تخفف من ذلك، وتقلل الوقوع في الخطأ.

• ومن هنا فإنني أعتقد أن الدعوة إلى تيسير الكتابة العربية كانت ذات وجهين: أحدهما سلبي والآخر إيجابي، أما الوجه السلبي فهو الدعوة إلى الاتجاه إلى العامية وهجر اللغة العربية الفصيحة، واستبدال الأحرف العربية بالأحرف اللاتينية، وتسويغ ذلك بأن الكتابة العربية خالية من حروف للحركات، وأنها معقدة يصعب تعلمها وتقف عائقا في وجه الكاتب للتعبير بأريحية عن أفكاره ومشاعره وبأنها جامدة عقيمة لا تساير متطلبات العصر، وأنها لا تحقق المطابقة بين النطق والكتابة، علما بأنه من المعترف به أن الكتابة لا تكاد تؤدي في أية لغة من اللغات المعروفة، أكثر من نصف الملفوظ. ومن العبث السعي للمطابقة بين المكتوب والمنطوق، فالكتابة ثابتة واللغة متغيرة.

• أما الوجه الإيجابي لقضية تيسير الكتابة العربية بهدف التخفيف من إشكالات حروفها وتسهيل نظام كتابتها، فهو التحدي الحقيقي بالسعي لإيجاد حلول مناسبة لبعض ما يعانيه الحرف العربي من خلل وعيوب، في وقت أضحت فيه اللغة العربية عالمية، وامتد تعليمها وتعلّمها إلى مشارق الأرض ومغاربها، مما يجعل الحاجة ملحّة لتيسر إيصالها إلى كل من يرغب فيها من أبناء جلدتها، أو من الشعوب الناطقة بغيرها.

جهود المحدثين في مجال إصلاح الحروف العربية تجديدا وتيسيرا:

حظي موضوعُ الحروف العربية وما يحيط بها من إشكالات باهتمام المجامع اللغوية والمؤسسات التعليمية والهيئات العلمية المختصّة بالعربية وقضاياها، فضلا عن أهل الاختصاص والمهتمين بقواعد الإملاء والكتابة، وقد صدر عن مجمع اللغة العربية في القاهرة عدة بحوث ومقالات وتوصيات وقرارات تتعلق بالحروف العربية ونظام الكتابة بها، لكن معظمها لم يأخذ طريقه للتنفيذ، إذ تم الاقتصار على الإشارة إليها دون الأخذ بها أو التزامها، مثل عباس حسن في كتابه (النحو الوافي) وعبد السلام هارون في كتابه (قواعد الإملاء) وعبد العليم إبراهيم في كتابه (الإملاء والترقيم في الكتابة العربية)، وغيرها.

وما فَتِئَت محاولاتُ الباحثين منذ مطلع القرن الماضي تتوالى في تقديم الاقتراحات على اختلاف أشكالها (كتب، بحوث، مقالات، مقترحات)، بهدف تيسيرها على الكاتبين وتوحيد صورها. وتنامى عددُ الكتب المعاصرة التي وقفها أصحابُها على قواعد الكتابة حتى وصلت لأعداد كبيرة بالمئات، على ما بينها من تفاوتٍ في: المنهج، والمادّة، والشرح، والتوثيق، والتفصيل، والحجم، وحظّها من الدقّة والصواب، والزيادة والنقص، والنقل والمتابعة والتكرار، ومبلغ عنايتها بالاختلافات، وتعدد الآراء والاتجاهات. وجدير بالذكر أن موضوع قواعد رسم الهمزات قد حظي بنصيب وافر من البحث والدراسة، وتجلّى بتقديم مقترحات متنوعة، وأمثلة ونماذج مختلفة، وإفراد كتب خاصة بموضوعها.

والمستعرض لما بذل من جهود من قبل الهيئات والمنظمات والأفراد يقف على حجم تلك الجهود الكبيرة المبذولة في مجال الكتابة، ولا بأس أن أشير في عجالة إلى بعض ما اطلعت عليه من مؤلفات في هذا الصدد، على سبيل المثال لا الحصر، لعلنا نستفيد من رؤية أصحابها ونتائجها، فعلى مستوى الهيئات صدر عن مجمع اللغة العربية في دمشق كتاب (قواعد الإملاء) عام ٢٠٠٤، ورد فيه ذكر لما يقع فيه الكاتبون من أخطاء إملائية، وتعدد طرق الكتابة واختلاف بعضها بين البلدان العربية، واستعرض الكتاب مقترحات الباحثين الحديثة في مجال تطوير الكتابة وخلص إلى أنه لا يوجد حتى الآن طريقة يقع عليها الإجماع وتصلح للتطبيق على مستوى البلدان العربية [٤٠] ،كما

صدر(دليل توحيد ضوابط الرسم الإملائي للكتابة العربية) عام ٢٠٠٤، عن المركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج العربي في الكويت، وقد اشتمل في طياته على اثنتي عشرة قضية إملائية كالهمزات والحذف والزيادة وغيرها [٤١]. وهي وثيقة أعدها فريق من خبراء المناهج في المملكة العربية السعودية.

ونتاج الأفراد على هذا الصعيد أيضا هو نتاج وفير تناول أصحابه قضايا إشكالات الكتابة العربية وفنّدوها واقترحوا حلولا عدة لها، منها على سبيل المثال: كتاب (دليل الإملاء وقواعد الكتابة العربية) [٤٢] لمؤلفه فتحي الخولي عام ١٩٧٣، تناول موضوعات الهمزة على اختلاف مواقعها وسبل تيسير رسمها. وقدم محمد علي سلطاني ١٩٨٩ كتابا بعنوان (القواعد الموحدة في الكتابة والإملاء) [٤٣]، وذكر صاحبه في مقدمته إن مقترحاته نالت الموافقة بالإجماع مع التوصية باعتماده أساسا لتوحيد قواعد الكتابة والإملاء من الوفود العربية المشتركة في ندوة مناهج اللغة العربية للتعليم ما قبل الجامعي التي انعقدت بالرياض في رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في شهر رجب من عام ١٤٠٥هـ. ونجد في كتاب رمضان عبد التواب ١٩٩٦: (مشكلة الهمزة العربية) [٤٤] حديثا عن تيسير كتابة الهمزة، وتفصيلا لنظام كتابتها عند القدماء والمحدثين، وقد أكد في كتابه على أن نظامه المقترح يحافظ على التراث الإملائي ولا ينفصل عن أساسيات الرسم الكتابي العربي.

ويشير الدكتور يحيى مير علم في دراسة له إلى الجهود المبذولة من قبل الهيئات والمنظمات العلمية والتعليمية، ومن قبل الأفراد، ويعرض الكثير من الآراء والاقتراحات المقدمة التي تضمنتها البحوث والكتب المهتمة بهذه القضية، ويشير إلى أن الكتب الحديثة المؤلفة في هذه القضية تقارب ١٥٠ كتابا [٤٥].أما أوراق المؤتمرات التي تتناول هذه القضية فلا أعلم تعدادها وإن كنت أخالها بالمئات أيضا، إذ لا يخلو مؤتمر يهتم باللغة العربية من أوراق تتناول موضوع إشكالات الحروف العربية وتقترح خطة لتيسرها، فعلى سبيل المثال مؤتمر اللغة العربية- صاحبة الجلالة- الذي يعقد سنويا في دبي نجد فيه الكثير من أوراق العمل التي تتناول موضوع الكتابة العربية وهي كثيرة، أكتفي بالإشارة إلى بحث بعنوان (دور أحرف اللغة العربية في الحفاظ على اللغة العربية)[٤٦]، حيث تحدث صاحبه عن سلبيات الكتابة العربية واقترح إجراء بعض التعديلات على الرموز الموجودة أصلا

في نظام الكتابة العربية، بما لا يغير من شكل وروح النظام العربي للكتابة.

زد على ذلك ما تنتجه الجامعات والوزارات من دراسات ميدانية تتعلق بالموضع نفسه. وهذا يوجهنا للقول: إن لدينا فيضا كبيرا من الفكر الإنساني الذي حاول أصحابه دراسة نظام الكتابة وإشكالات حروفها العربية، واقترحوا حلولا مناسبة تمت الإشادة بكثير منها.

هذا القدر الكبير من الاهتمام بقضايا الكتابة العربية، والكم الهائل من النتاج المتوفر بين أيدينا يجعلنا نتساءل عن سبب الجمود الذي يعتري واقع نظام الكتابة العربية رغم ما نشاهده ونعايشه من مشكلات الكتابة منذ عقود وحتى يومنا الحالي. وهذا يثير في ذهني أسئلة جمة: هل التجديد والتحديث يقتصر على زمان دون زمان؟ ألا يوجد في كل عصر وزمان ومكان فئة من الخُلّص أصحاب فكر وعلم وخبرة ودراية يمكنهم أخذ زمام المبادرة في الاجتهاد والتيسير؟ وأخيرا هل اللغة العربية مقدسة ينبغي ألا تمس بتغيير أو تطوير؟ أعتقد أن القارئ الكريم لن يختلف معي حين أقول إن التجديد والتحديث هو سنة الحياة على هذه الأرض، وهو حاجة ماسّة دائمة لتكييف الواقع مع المستجدات. ولا شك أن شعلة الفكر والعلم لا يمكن أن تنطفئ في زمن من الأزمان، وأن أصحابها موجودون دائما- وإن كنا نعترف أن طابع الزمن الذي يعيشه أهله قد يؤثر في دورهم ومكانتهم لكنه لا يلغيه - أما عن السؤال الأخير فأعتقد أنه لا يوجد لغة مقدسة من لغات العالم، فاللغة المكتوبة والمقروءة ما هي إلا وسيلة تعبير عن فكر قد يكون مقدسا بنظر من يؤمن به، وهذا هو حالنا كمسلمين، فنحن نقدّس الأفكار التي حملتها اللغة، لكن رغبتنا في المحافظة على خصوصيتها لا يعني أن نحكم عليها بالجمود، علينا أن نفصل بين قدسية الأفكار وصاحب هذه الأفكار وبين الوسيلة التي استخدمت للتعبير عنها.

وقد تكون حالة التمزق والتشتت التي يعيشها عالمنا العربي، وما يتوالى عليه من خطوب جليلة، سببا في الانشغال والبعد عن اتخاذ قرارات عربية موحدة حاسمة تنهض بواقع هذه اللغة لتعيد إليها بريقها، هذا طبعا مع ملاحظتنا لاهتمام معظم الدول العربية - بشكل فردي -في السنوات الأخيرة بالارتقاء باللغة والسعي للنهوض بها من جديد بعد شعورها بخطر مزاحمة اللهجات والعاميات، وسيطرة بعض اللغات الأجنبية

عليها. لكن تغيير واقع الحال – من وجهة نظري – لا يمكن أن يتم إلا بقرار سياسي عربي جامع وملزم، ينهي الأزمة التي تعيشها اللغة بين جدران أصحابها أنفسهم على اختلاف مهاراتها. فانتشار هذه اللغة والاهتمام العالمي بها يحتم علينا كأفراد ومؤسسات وأنظمة سياسية أن نعمل لخدمتها بالتيسير والتجديد. وأن نتذكر أن هذه القضية قضية تمس أمن أمتنا وأمانها.

المقترحات والتوصيات

لقد آن الأوان للبدء باتخاذ إجراءات تطبيقية لبعض الإشكالات التي تعتري حروف الكتابة العربية، وأقترح أن يلتزم هذا التجديد بأسس محددة كي يصبّ في صلب خدمة اللغة العربية وخدمة متعلميها، ومن أهمها:

– الانطلاق من الاستفادة من جميع المقترحات الصائبة في كل ما قدم من كتب وبحوث ودراسات وأوراق عمل قديمها وحديثها، مما لاقى قبولا واستحسانا.

– الاعتماد على الحروف العربية دون غيرها في أي تجديد يقترح، آخذين بعين الاعتبار جمالية الخط، ومساحة الكتابة به.

–الحرص على عدم ابتعاد النظام الجديد في الكتابة عن النظام الحالي، كيلا تنقطع صلة الأجيال بموروثها الفكري والثقافي.

–الاهتمام بالقضايا الإشكالية في الكتابة فقط، مع الاعتراف بعدم قدرة أي لغة لمطابقة المكتوب مع المنطوق.

–الابتعاد عن تعدد الأوجه باختيار وجه واحد وتعميمه، والاحتفاظ بما تبقى من وجوه وآراء وتفصيلات لأهل اللغة والمهتمين بشؤونها.

إن قِدم إشكالات الحروف العربية ونظام كتابتها، وعدم النجاح حتى الآن في محاولات إصلاحها، لا يعني أنها مشكلات عصية على الحل، وأعتقد أن توحيد الجهود للوصول إلى قواعد موحدة معيارية لنظام الكتابة العربية، هو غاية مهمة يجب أن تتحقق بطريقة جديدة مختلفة عما عرفناه من طرق قديمة، وجهود مبذولة من قبل الهيئات الرسمية أو الأفراد، وكي يتسنى لنا التحديث والتغيير الإيجابي المرغوب وتحويله إلى

تطبيق عملي ينفذ على أرض الواقع، فلا بدّ - كما سبق - من قرار سياسي عربي موحد، يسعى للنهوض بواقع اللغة العربية عامة والكتابة خاصة، ويعمل على توحيد نظامها في أرجاء الدول العربية، حرصا على التواصل والتبادل المعرفي فيما بينها، في وقت تعاني اللغة العربية في معظم بلداننا العربية من تهميش أهلها، ومزاحمة اللهجات العامية لها، وهيمنة اللغات الأجنبية على قطاع التعليم والإعلام.

وأخيرا يمكنني القول إن مهمة إصلاح الحرف العربي ونظام الكتابة رغم أهميتها ودورها الكبير في خدمة الكتابة العربية، إلا أنها كي تؤتي أكلها، وتنهض بعملية الكتابة شكلا ومضمونا، لا بد لها أن تترافق مع تكثيف الجهود لتيسير طرائق وأساليب تدريس اللغة العربية بمهاراتها المختلفة استماعا وتحدثا وقراءة وكتابة، فنحن بحاجة ماسة لا لتيسير كتابتها فقط، بل لتيسير إيصالها للمتعلمين بأفضل الطرائق والأساليب وأوضحها، فقد أشبع الأقدمون اللغة العربية دراسة وتمحيصا وتفصيلا، فليكن دورنا اليوم هو التركيز على تيسير ما هو شائك من قضاياها، متزامنا مع الاهتمام بطرائق إيصالها للمتعلمين بأفضل وأسهل الأساليب، وذلك بالابتعاد عن النمطية والتقليدية، ومسايرة روح العصر والاستفادة من تقنياته الحديثة وتغذيتها بالوسائل والبرامج التي تسهل على المعلمين إيصالها وعلى المتعلمين فهمها وإتقانها.

والله ولي التوفيق

الهوامش:

(١) سمر روحي الفيصل: قضايا اللغة العربية في العصر الحديث، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربي، ٢٠٠٧، ص١٩

(٢) زكريا محمود شريف: مقدمة في الكتابة العربية والمخطوط العربي-النشأة والتطور-، دار الجوهرة، القاهرة، ٢٠١٤ ص٣١

(٣) سورة العلق الآيات ٣-٥

(٤) أحمد بن علي القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج ٢، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة، ١٩٩٨، ص٦-٧.

(٥) أسامة ناصر النقشبندي: مبدأ ظهور الحروف العربية وتطرها لغاية القرن الثاني الهجري، مجلة المورد، (عدد خاص في الخط العربي) ، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، الجمهورية العراقية. المجلد ١٥، العدد ٤ ، ١٩٨٦، ص ٨٣.

(٦) عباس حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨، ص ١٨.

(٧) ابن خلدون ولي الدين عبد الرحمن بن محمد: كتاب طبيعة العمران، ج١، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ٢٠٠٤، ص ١٣٣.

(٨) زكريا محمود شريف: مرجع سابق، ص ٣

(٩) عباس حسن: مرجع سابق. ص ١٩

(١٠) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨، ص ١٥٣-٦٢.

(١١) يوسف ذنون: قديم وجديد في أصل الخط العربي وتطوره في عصوره المختلفة، مجلة المورد، (عدد خاص في الخط العربي)، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، الجمهورية العراقية. المجلد ١٥، العدد ٤، ١٩٨٦، ص ٨.

(١٢) زكريا محمود شريف: مرجع سابق، ص ٣٦.

(١٣) زكريا محمود شريف: مرجع سابق ص ٣٧.

(١٤) ناصر الدين الأسد: (مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ط٥، دار المعارف، ال قاهرة١٩٨٧، ص ٢٤.

(١٥) أسامة ناصر النقشبندي: مرجع سابق، ص ٨٥.

(١٦) إسرائيل ولفنستون: تاريخ اللغات السامية، دار القلم، دمشق، ١٩٩٩، ص ١٧١.

(١٧) يوسف ذنون: مرجع سابق ص ١٠.

(١٨) ناصر الدين الأسد: مرجع سابق، ص ٣٨.

(١٩) غانم قدوري الحمد، رسم المصحف دراسة لغوية نقدية، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، الجمهورية العراقية، ١٩٨٢، ص ٢٢.

(٢٠) ناصر الدين الأسد: مرجع سابق ص ٥٠-٥٣.

(٢١) ناصر الدين الأسد: مرجع سابق، ص ٣١.

(٢٢) غانم قدوري الحمد، مرجع سابق، ص ٧١.

(٢٣) نقط الشكل مصطلح يقصد به ضبط الكلمة بالحركات الإعرابية، الضمة والفتحة والكسرة والسكون لتؤدي المعنى المقصود منها وفقا للغة العرب الفصيحة.

(٢٤) نقط لإعجام مصطلح يقصد به إزالة الإبهام عن الحروف المتشابهة بالرسم بوضع علامة عليها لمنع الالتباس، أي وضع النقاط على الحروف للتفريق بينها. فعبارة الحرف المعجم تعني الحرف المنقط، وعكسه الحرف المهمل. (وهذا ما آثرنا استخدامه في هذه الدراسة حيث تعددت تعريفات النقط والشكل والإعجام في كثير من الدراسات)

(٢٥) حفني ناصف: تاريخ الأدب، ط٢، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٥٨، ص ٧٠.

(٢٦) ناصر الدين الأسد: مرجع سابق، ص ٣٥.

(٢٧) عبير محمود سعد: تاريخ الكتابة العربية، دار ومكتبة الكندي، عمان الأردن، ٢٠١٥ ص ٣١،

(٢٨) ويحيى وهيب الجبوري: الخط والكتابة في الحضارة العربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤، ص١٠٧.

(٢٩) هناء سعداني: الحروف العربية دراسة في تطورها والعلاقة بين الصوت والرسم والمعنى، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ٢٠١٣. الفصل الأول.

(٣٠) غانم قدوري الحمد: مرجع سابق، ص ٧٣٠-٧٣٥

(٣١) نفوسة زكريا سعيد: الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، دار نشر الثقافة بالإسكندرية، ١٩٦٤، ص ٣٤-٤٦.

(٣٢) رمضان عبد التواب: بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٢، ص ١٧٦.

(٣٣) وفاء كامل فايد: مجامع اللغة العربية - موقع أ. د. محمد سعيد ربيع الغامدي

http://www.mohamedrabeea.com/books/book1_731.doc

(٣٤) -محمود فهمي حجازي: الكتابة العربية، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، ١٩٨٢ ص١٣٥-١٥٠

http://arab-afli.org/old/index.php?page=43&link=92&sub=93&type=headings&id=23164

(٣٥) -وفاء كامل فايد، مرجع سابق.

(٣٦) يحيى مير علي: مرجع سابق.

(٣٧) إبراهيم عبد المطلب: الهداية إلى ضوابط الكتابة، مطبعة مخيمر، القاهرة. ١٩٥٨.

(٣٨) ختام سعيد سليمان: النظام الكتابي في اللغة العربية وسبل تطويره، جامعة بير زيت. أبحاث المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية

http://www.alarabiahconference.org/uploads/conference_research-1284988051-1409137476-615.pdf

(٣٩) طالب عبد الرحمن: نحو تقويم جديد للكتابة العربية، كتاب الأمة قطر، العدد ٦٩، السنة التاسعة عشرة، ١٩٩٩.

(٤٠) قواعد الإملاء: مجمع اللغة العربية، دمشق، ٢٠٠٤.

(٤١) دليل توحيد ضوابط الرسم الإملائي للكتابة العربية: المركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج العربي، الكويت، ط٢، ٢٠٠٩.

(٤٢) فتحي الخولي: دليل الإملاء وقواعد الكتابة العربية، القاهرة ١٩٧٣.

(٤٣) محمد علي سلطاني: القواعد الموحدة في الكتابة والإملاء، مطبعة سفير، الرياض، ١٩٨٩.

(٤٤) رمضان عبد التواب: مشكلة الهمزة العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٦.

(٤٥) يحيى مير علم: قواعد الإملاء في ضوء جهود المحدثين من أبحاث المؤتمر السنوي السابع لمجمع اللغة العربية بدمشق، ٢٠٠٨.

http://www.alukah.net/literaturelanguage/0/5166/#ixzz4fdFfcgBy

(٤٦) خالد عبد الملك النوري: دور أحرف اللغة العربية في الحفاظ على اللغة العربية، المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية، دبي٢٠١٣.

المصادر والمراجع

- إبراهيم عبد المطلب: الهداية إلى ضوابط الكتابة، مطبعة مخيمر، القاهرة. ١٩٥٨.
- ابن خلدون ولي الدين عبد الرحمن بن محمد: كتاب طبيعة العمران، ج١، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ٢٠٠٤.
- أحمد بن علي القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج ٢، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة، ١٩٩٨.
- أسامة ناصر النقشبندي: مبدأ ظهور الحروف العربية وتطرها لغاية القرن الثاني الهجري، مجلة المورد، (عدد خاص في الخط العربي)، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، الجمهورية العراقية. المجلد ١٥، العدد ٤ ،١٩٨٦.
- إسرائيل ولفنستون: تاريخ اللغات السامية، دار القلم، دمشق، ١٩٩٩.
- جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨،
- حفني ناصف: تاريخ الأدب، ط٢، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٥٨.
- خالد عبد الملك النوري: دور أحرف اللغة العربية في الحفاظ على اللغة العربية، المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية، دبي، ٢٠١٣.
- ختام سعيد سليمان: النظام الكتابي في اللغة العربية وسبل تطويره، جامعة بير زيت. أبحاث المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية.

http://www.alarabiahconference.org/uploads/conference_resear
ch-1284988051-1409137476-615.pdf

- دليل توحيد ضوابط الرسم الإملائي للكتابة العربية: المركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج العربي، الكويت، ط٢، ٢٠٠٩.
- رمضان عبد التواب: بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٢.
- رمضان عبد التواب: مشكلة الهمزة العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٦.

- زكريا محمود شريف: مقدمة في الكتابة العربية والمخطوط العربي-النشأة والتطور-، دار الجوهرة، القاهرة.٢٠١٤.
- سمر روحي الفيصل: قضايا اللغة العربية في العصر الحديث، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربي، ٢٠٠٧.
- طالب عبد الرحمن: نحو تقويم جديد للكتابة العربية، كتاب الأمة قطر، العدد ٦٩، السنة التاسعة عشرة، ١٩٩٩.
- عباس حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨.
- عبير محمود سعد: تاريخ الكتابة العربية، دار ومكتبة الكندي، عمان الأردن، ٢٠١٥.
- غانم قدوري الحمد، رسم المصحف دراسة لغوية نقدية، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، الجمهورية العراقية، ١٩٨٢.
- فتحي الخولي: دليل الإملاء وقواعد الكتابة العربية، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٣.
- قواعد الإملاء: مجمع اللغة العربية، دمشق، ٢٠٠٤.
- محمد علي سلطاني: القواعد الموحدة في الكتابة والإملاء، مطبعة سفير، الرياض، ١٩٨٩.
- محمود فهمي حجازي: الكتابة العربية، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، ١٩٨٢.
- ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ط٥ ، دار المعارف، القاهرة،١٩٨٧.
- نفوسة زكريا سعيد: الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، دار نشر الثقافة بالإسكندرية، ١٩٦٤.

▼ هناء سعداني: الحروف العربية دراسة في تطورها والعلاقة بين الصوت والرسم والمعنى، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ٢٠١٣.

▼ وفاء كامل فايد: مجامع اللغة العربية موقع أ. د. محمد سعيد ربيع الغامدي

▼ يحيى وهيب الجبوري: الخط والكتابة في الحضارة العربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤.

▼ يحيى مير علم: قواعد الإملاء في ضوء جهود المحدثين من أبحاث المؤتمر السنوي السابع لمجمع اللغة العربية بدمشق،

http://www.alukah.net/literature_language/0/5166/#ixzz4fdFfcgB .2008

▼ يوسف ذنون: قديم وجديد في أصل الخط العربي وتطوره في عصوره المختلفة، مجلة المورد، (عدد خاص في الخط العربي)، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، الجمهورية العراقية. المجلد ١٥، العدد ٤، ١٩٨٦.



القيمة الصوتية للحروف العربية وتطوراتها

د. شعبان قرني عبد التواب

أستاذ مساعد بمعهد اللغويات العربية – جامعة الملك سعود

ملخص البحث:

المستوى الصوتي أحد الجوانب الأساسية المعروفة في الدراسة العلمية للغة، وقد كان للعرب، قديمًا، فضل السبق في هذا الجانب، فقد كانوا من أوائل من درسوا الصوت اللغوي من جوانبه المتعددة دراسة علمية: فقدموا وصفًا علميًا للأصوات من حيث مواضع نطقها وصفاتها وتأثيراتها التركيبية وقيمها الدلالية والوظيفية، وجاءت دراساتهم لهذه الجوانب أصيلة في منهجها وطرائق دراستها، وكان ذلك كله ضمن اهتمامهم المعروف بالمحافظة على لغة القرآن الكريم وقراءاته.

وكانت البداية مبكرة جدًا حيث تزامنت مع بداية ظهور اللحن وتفشيه على ألسنة الناس؛ فهب العلماء من أجل المحافظة على لغة هذا الكتاب الخالد يدرسونها على كافة مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والمعجمية.

وقد تعددت جوانب دراسة الصوت عندهم، فدرسوا الصوت بوصفه حدثًا نطقيًا، كما درسوه بوصفه وحدة تجريدية ذات وظيفة معينة، ويعنينا هنا الجانب الدلالي للصوت، قضية هذا البحث، حيث يعرض بحثنا لهذه القضية وتطوراتها من خلال تناول علماء العربية لهذه القضية بداية من أقدم إشارة لها في كتب القدماء حتى العصر

الحديث، ومن أجل ذلك خططنا لهذا البحث أن يتكون من: مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة: المبحث الأول: دلالة الحروف عند القدماء. والمبحث الثاني: دلالة الحروف عند المحدثين. والمبحث الثالث: وصف تكوين الحروف العربية وبيان قيمها الدلالية...

مقدمة:

مفهوم الحرف:

الحرف في الأصل الطَّرَف، وحرف كل شيء جانبه، وحرف الجبل أعلاه، وحرف السفينة جانبها، وحرف كل شيء حده، وفلان على حرف من الرأي أي ناحية منه، ومادة (ح، ر، ف) أينما وقعت في الكلام يراد بها حد الشيء وحدته وجانبه [١]. وعرَّفَ ابنُ سينا الحرف بأنّهُ: «هيئة للصّوت عارضة لهُ، يتميَّزُ بها عن صوتٍ آخر مِثلهُ في الحِدَّة، والثِّقَلِ، تميُّزًا في المسموع»[٢].

ويقول الجاحظ: الصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به تقطيع، وبه يوجد التأليف، ولا تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا، ولا منثورا إلا بظهور الصوت[٣].

يطلق الحرف على الصوت المنطوق وعلى الخط المكتوب الذي يقابله، وهناك من يعد الصوت حرفًا والحرف صوتًا، ويتحدث عن (مخارج الحروف) قاصدًا مخارج الأصوات، قال اللّيث: قال الخليل: في العربية تسعة وعشرونَ حَرْفًا: منها خمسة وعشرونَ حَرْفاً صِحَاحا لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جُوْف وهي: الواو والياء والألف اللَّينَة والهمزة، وسُمِّيَتْ جوفاً لأنها تَخْرُجُ من الجوف، فلا تَقَعُ في مدرجة من مدارِجِ الَّلسان، ولا من مدارِجِ الحَلْق، ولا من مدرِجِ اللهاة، إنَّما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حَيز [٤] تُنسب إليه إلا الجَوْفَ[٥].

ثم تلاه (سيبويه) بأن رتبها على النحو الذي يشير إليه بقوله: الحروف العربية ومخارجها، ومهموسها، ومجهورها، وأحوال مجهورها، ومهموسها [٦].

يميز (ابن جني) تمييزا واضحا بين الصوت والحرف، فالأول، على رأيه مشترك بين الإنسان والحيوان، والثاني خاص بالإنسان ثم لابد لكل حرف من صوت ولا ينعكس[٧]

ولكلمة الحرف عند العرب القدماء معان كثيرة، وخاصة في مجال القراءات القرآنية، ويعنينا من معانيها في هذا البحث معنيان: الصوت المنطوق والرمز المكتوب، فبهذين المعنيين يتحدد مفهوم الحرف في هذا البحث، حيث سنستخدم مصطلح (الحرف) للدلالة على شكل الكتابة والإشارة إلى الصوت معًا، وهذا بخلاف المشهور من استخدام الحرف للإشارة إلى الرمز المكتوب، والصوت للإشارة إلى اللفظ المنطوق.

وقد حظيت الحروف العربية منذ القديم بعناية اللغويين العرب، ابتداء من الخليل (ت ١٧٥ هـ) وسيبويه (ت ١٨٥ هـ) وحتى يومنا هذا، وقد استطاع هؤلاء اللغويون أن يقدموا في هذا المجال دراسات متميزة عن الحروف من كافة جوانبها: الصوتية، الكتابية، والدلالية.

ويعنينا هنا الجانب الدلالي للصوت، قضية هذا البحث، حيث يعرض بحثنا لهذه القضية وتطوراتها من خلال تناول بعض علماء اللغة والمفكرين لهذه القضية بداية من أقدم إشارة لها في كتب القدماء حتى العصر الحديث.

القيمة الدلالية للحروف:

يعد الحرف أصغر وَحدة صوتية تتركَّبُ منه كلمات اللّغة وعن طريقه يمكن التفريق بين المعاني. وكل حرف في اللغة له قيمة دلالية تظهر من خلال الدور الذي يؤديه داخل الكلمة، ويمكن إدراك ذلك عن طريق التبديل، أوالحذف، أو الزيادة بحيث يؤدي ذلك كله إلى حدوث تغير في دلالات الكلمات.

يقول «كرامون Cramon »عن القيمة الدلالية للأصوات: «تحدد القيمة التعبيرية للأصوات باعتبارات خارجة عن الأشعار التي تستعمل فيها تلك الأصوات، فقيمتها التعبيرية ترجع إلى طبيعة تلك الأصوات ذاتها، وأن الأشعار لا تأتي فيها بعد إلا شبيهة بأمثلة مخصصة للبرهنة على النظرية»[٨].

ويعرف إبراهيم أنيس الدلالة الصوتية بأنّها «الدلالة التي تستمد من طبيعة الأصوات نغمها وجرسها[٩]. و»فهم السامع يرجع إلى إيثار صوت على آخر، أو مجموعة من الأصوات على أخرى في الكلام المنطوق»[١٠].

دلالة الحروف عند القدماء:

شغلت العلاقة بين الصوت اللغوي المفرد، ودلالته، أذهان اللغويين والمفكرين ابتداء من الفلاسفة اليونان، إلى اللغويين الهنود، ثم إلى علماء اللغة العربية، وقد استمر الجدل حول إثبات هذه العلاقة، هل هي علاقة طبيعية بين الأصوات ومدلولاتها؛ أي أن الصوت متعّلق من خلال خصائصه بالدلالة؟ أم هي علاقة اصطلاحية تواضع عليها الناس، والأصوات وضعت بإزاء مدلولاتها دون رابط طبيعي بينهما؟

نستطيع أن نميز بين ثلاثة آراء لفلاسفة اليونان ومفكريهم في هذا القضية: الرأي الأول يرى أن العلاقة بين الصوت ومعناه علاقة طبيعية، و الرأي الثاني يرى أن العلاقة بين الصوت ومعناه علاقة عرفية تعارف الناس عليها واصطلحوا فيما بينهم على ذلك، و الرأي الثالث يجمع بين الرأيين، الأول والثاني، ويوفق بينهما وينتمي «أفلاطون»، الفيلسوف اليوناني المعروف، إلى الرأي الأول، حيث يرى أن الصلة بين الأصوات ومدلولاتها صلة طبيعية ذاتية، أي أنها تثير في الذهن مباشرة مدلولاتها وأن هذه الصلة الطبيعية «كانت واضحة سهلة التفسير في بدء نشأتها، ثم تطورت الألفاظ، ولم يعد من اليسير أن نتبين بوضوح تلك الصلة، أو نجد لها تعليلا أو تفسيرًا »(١١).

وأما الرأي الثاني فمن أبرز ممثليه «أرسطو»، الفيلسوف اليوناني المعروف أيضا، حيث يرى أن الصلة بين الأصوات ومدلولاتها صلة ناجمة عن اتفاق وعن تراضٍ بين البشر(١٢).

وأما الرأي الثالث الذي اتَّخذ موقفا وسطا يجمع بين الرأيين، الأول والثاني، فيمثله «أبيقور «حيث يرى أن «صيغ الكلمات نشأت بشكل طبيعي، ولكنها تغيرت عن طريق العرف»(١٣).

أما الحروف والدلالة في التراث اللغوي العربي، فأقدم إشارات لها في كتب القدماء وردت عند الخليل ومنها قوله: «وكذلك قالوا «صر الجندب صريرًا» فكرروا الراء لما هناك من استطالة صوته، وقالوا:«صرصر الأخطب» لما هناك من تقطيع صوته»(١٤).

وقد تنبه سيبويه إلى الدلالة الصوتية ولكن على مستوى البنية وليس الصوت فقال «ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربتْ المعاني: النَزوان والنقزان،

وإنما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع». وجاؤوا بـ«الَفعلان» في أشياء تقاربت. ومن ذلك: الطَّوفان، والدوران، والجولان، شبهوا هذا حيث كان تقّلبا وتصرفًا بالغَليان، والغَثيان، لأن الغَليان أيضا تقلُّب ما في القدر وتصرفه»[١٥].

وكان ابن جني يشير إلى أن الأصوات، بما لها من خواص تعبيرية، سواء أكانت منفردة أم مقترنة بغيرها، تشترك في التعبير عن معنى بعينه، فإذا تقلبت هذه الأصوات كانت المعاني متقاربة أيضًا وهو وهذا باب واسع يعم أكثر اللغة[١٦]ويقول في كتاب الخصائص: «فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج متلَئبٌّ عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيرًا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبَّر بها عنها، فيعدّلونها ويحتذون عليها، وذلك أكثر مما نقدره وأضعاف ما نستشعره، من ذلك قولهم: «خضم وقضم، فالخضم لأكل الرطب كالبِطّيخ والقثّاء، وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم للصُّلب اليابس، نحو: قضمت الدابة شعيرها، ونحو ذلك، فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس، حذوًا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث»[١٧].

ويقول ابن جني عن دلالة الحركات: «جعلوا (الذِّل) بكسر الذال في الدابة ضد الصعوبة، و(الذُّل) بضمها للإنسان وهو ضد العز، وكأنهم اختاروا للفصل بينهما الضمة للإنسان والكسرة للدابة، لأن ما يلحق الإنسان أكبر قدرًا مما يلحق بالدابة، فكأن العرب اختاروا الضمة لقوتها للإنسان، والكسرة لضعفها للدابة»[١٨].

ومن العلماء الذين تناولوا العلاقة الطبيعية بين الصوت اللغوي المفرد ودلالته، ابن سينا، فقد ألّف رسالة سماها «أسباب حدوث الحروف «قال في الفصل السادس منها: إن كلّ صوت من الأصوات الهجائية يحاكي صوتًا من أصوات الطبيعة: «فالخاء: عند حكك كل جسم لين حكًا كالقشر بجسم صلب...، والقاف: عن شق الأجسام وقلعها دفعة...، والكاف: عند وقوع كل جسم صلب كبير على بسيط آخر صلب مثله...، والطاء: عن تصفيق اليدين بحيث لا تنطبق الراحتان، بل ينحصر هناك هواء له دوي، ويسمع عن القلع أيضا مثله...، والراء: عن تدحرج كرة على لوح من خشب من شأنه أن يهتز اهتزازًا غير مضبوط بالحبس...، واللام: عن صفق اليد على رطوبة...، والفاء: عن حفيف الأشجار...، والباء: عن قلع الأجسام اللينة المتلاصقة بعضها عن بعض»[١٩]

ويقول ابن سينا في موضع آخر: «ومعنى دلالة اللفظ أن يكون إذا ارتسم في الخيال المسموع اسم، ارتسم في النفس معنى، فتعرف النَّفْس أن هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلّما أورده الحس على النفس التفتت إلى معناه[٢٠].

ويعدُّ الإمام السيوطي من المؤيدين للعلاقة الطبيعية بين الصوت اللغوي ودلالته حيث يقول: «فانظر إلى بديع مناسبة الألفاظ لمعانيها، وكيف فاوتت العرب في هذه الألفاظ المقترنة المتقاربة في المعاني، فجعلت الحرف الأضعف فيها والألين، والأَخْفى، والأَسهل، والأَهمس، لما هو أدنى وأقلّ وأخف عملا أو صوتًا، وجعلت الحرف الأقوى، والأشد والأظهر، والأجهر لما هو أقوى عملا وأعظم حسًا، ومن ذلك المد والمط، فإن فعلَ المط أقوى، لأنه مد وزيادة جذب، فناسب الطاء التي هي أعلى من الدال[٢١].

من المؤيدين للعلاقة الطبيعية بين الصوت اللغوي ودلالته، ابن قيم الجوزية حيث يقول: «اعلم أن المتكلم لما استغنى عن اسم الظاهر في حال الإخبار لدلالة المشاهدة عليه جعل مكانه لفظًا يومئ به إليه، وذلك اللفظ مؤلف من همزة ونون (أنا). أما الهمزة فلأن مخرجها من الصدر، وهو أقرب مواضع الصوت إلى المتكلم، إذ المتكلم في الحقيقة محّله وراء حبل الوريد. قال الله تعالى:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيد﴾ [٢٢]

فإذا كان المتكلم على الحقيقة محله هناك، وأَردت من الحروف ما يكون عبارة عنه، فأولاها بذلك ما كان مخرجه من جهته، وأقرب المواضع إلى محّله، وليس إلا «الهمزة» أو «الهاء»، لأن مخرجهما من داخل الحلق الحنجرة، و «الهمزة» أحق بالمتكلم لقوتها بالجهر والشدة، وضعف الهاء بالخفاء؛ فكان ما هو أجهر، أقوى وأولى بالتعبير عن اسم المتكلم الذي الكلام صفة له، وهو أحق بالاتصاف به. وأما اتصالها مع النون؛ فلما كانت «الهمزة» بانفرادها لا تكون اسمًا منفصلا كان أولى ما وصلت به «النون» أو بحرف المد واللين؛ إذ هي أمهات الزوائد[٢٣].

ويقول في موضع آخر «ولقد مكثت برهة يرد على اللفظ لا أعلم موضوعه، فأجد معناه من قوة لفظه، ومناسبة تلك الحروف لذلك المعنى، ثم أكشفه فأجده كما فهمته أو قريبًا منه»[٢٤].

وعن دلالة الحركة يقول: ومنه قولهم «حِمْل، و حَمْل «فبالكسر لما كان قويًا مرئيًا مثقلا لحامله على ظهره، أو رأسه، أو غيرهما من أعضائه، و«الحَمْل» بالفتح لما كان خفيفه غير مثقل لحامله، كحمل الحيوان، والإنسان، وحمل الشجرة به أشبه(٢٥).

وذكر ابن السكيت في كتابه «إصلاح المنطق» ذلك أيضا حيث قال فيه: «الحَمْل»: ما كان في بطن أو على رأس شجرة، وجمعه أحمال،و«الحِمْل»: ما حُمِل على ظهر أو رأس»(٢٦)

دلالة الحروف عند المحدثين:

حظيت فكرة الربط الطبيعي بين الأصوات ومدلولاتها على اهتمام واسع من اللغويين في العصر الحديث، وانقسموا في ذلك إلى فريقين:

فريق مؤيد للربط بين الأصوات ومدلولاتها، ومن أشهرهم: أحمد فارس الشدياق، وعبد الله العلايلي، وجورجي زيدان، والعقاد، وصبحي الصالح، ومحمد المبارك.

ويعد أحمد فارس الشدياق من أقوى المؤيدين للعلاقة الطبيعية بين الصوت اللغوي ودلالته، فقد ذكر أن كلّ صوت يختص بمعنى من المعاني دون غيره، وعدَّ ذلك من أسرار اللغة العربية التي قلّ من تَنبه لها، ونذكر هنا طرفًا من الذي قاله عن بعض الحروف، حيث ذكر أن من خصائص حرف «الحاء» السعة والانبساط وذكر أمثلة: البراح، الرحرح، والأبطح، ومن خصائص حرف «الميم «القطع والاستئصال والكسر نحو: أرم، أزم، ثلم، جذم، جرم، ومن خصائص حرف «الهاء» الحمق، والغفلة، نحو: أله، وبله، وتفه، وشده...(٢٧)

ويؤيد عبد الله العلايلي الفكرة بقوله: أصبح من الضروري أن نتكلم على تحديد حروف الجدول بما تسمح به النصوص المحفوظة: الهمزة: يدلُّ على الجوفية، وعلى ما هو وعاء للمعنى، ويدل على الصفة تصير طبعًا. والباء: يدلُّ على بلوغ المعنى في الشيء بلوغًا تامًا، ويدل على القوام الصلب بالتفعل. والتاء: يدلُّ على الاضطراب في الطبيعة، أو الملابس للطبيعة في غير ما يكون شديدًا. والثاء: يدل على التعلق بالشيء تعلقًا له علامته الظاهرة سواء في الحس أو المعنى. والجيم: يدلُّ على العظم مطلقًا...، والحاء: يدلُّ على التماسك البالغ وبالأخص في الخفيات ويدل على المائية. والخاء: يدلُّ على المطاوعة والانتشار، والتلاشي مطلقًا.

الدال: يدلُّ على التصلب وعلى التغير المتوزع. والذال: يدلُّ على التفرُّد. والراء: يدلُّ على الملكة، ويدلُّ على شيوع الوصف. والزاي: يدلُّ على التقلع القوي. والسين: يدلُّ على السعة والبسطة من غير تخصيص. والشين: يدلُّ على التفشي بغير نظام. والصاد: يدلُّ على المعالجة الشديدة. والضاد: يدلُّ على الغلبة تحت الثقل. والطاء: يدلُّ على الملكة في الصفة، وعلى الالتواء والانكسار. والظاء: يدلُّ على التمكن في الغؤور. والعين: يدلُّ على الخلو الباطن أو على الخلو مطلقًا. والغين: يدلُّ على كمال المعنى في الشيء. والفاء: يدلُّ على لازم المعنى، أي على الوضع في المعنى الكنائي. والقاف: يدلُّ على المفاجئة التي تحدث صوتًا. والكاف: ويدلُّ على الشيء يلتج عن الشيء في احتكام. واللام: يدلُّ على الانطباع بالشيء بعد تكلفه. والميم: يدلُّ على الانجماع. والنون: يدلُّ على البطون في الشيء، أو على تمكن المعنى تمكنًا تظهر أعراضه. والهاء: يدلُّ على التلاشي. والواو: يدلُّ على الانفعال المؤثر في الظواهر. والياء: يدلُّ على الانفعال المؤثر في البواطن.[٢٨]

ومن المؤيدين للعلاقة الطبيعية بين الصوت اللغوي ودلالته العقاد حيث يقول: ولا نعرف بين اللغات الكبرى لغة أصلح من لغتنا العربية لهذا الباب من أبواب الدراسات اللغوية؛ لأن مخارج حروفها مستوفاة متميزة خلافًا لأكثر اللغات التي تُعوزها الحروف الحلقية أو تلتبس فيها مخارج حروف الهجاء..[٢٩].

ويقول العقاد عن حرف: «الحاء»: إن «الحاء» حقًّا من الحروف التي تصور معنى السعة بلفظها ووقعها في السمع، ولكن على حسب موضعها من الكلمة، ومصاحبة ذلك الموضع للدلالة الصوتية، وليست دلالتها هذه مصاحبة للفظها حيث كانت في أوائل الكلمات أو أواسطها. فالحكاية الصوتية واضحة في الدلالة على السعة حين يلفظ الفم بكلمات: الارتياح والسماح والفلاح والنجاح والفصاحة والسجاحة والفرح والمرح والصفح والفتح والتسبيح والترويح وما جرى مجراها[٣٠] ... والنتيجة بعد هذه الملاحظات السريعة قد تكون كبيرة الجدوى مع التوسع فيها، وتعدد الناظرين إليها من جميع جوانبها، وخلاصتها:

- أولًا: أن هناك ارتباطًا بين بعض الحروف ودلالة الكلمات.
- ثانيًا: أن الحروف لا تتساوى في هذه الدلالة، ولكنها تختلف باختلاف قوتها وبروزها في الحكاية الصوتية.

• ثالثًا: أن العبرة بموقع الحرف من الكلمة لا بمجرد دخوله في تركيبها.

• رابعًا: أن الاستثناء في الدلالة قد يأتي من اختلاف الاعتبار والتقدير، ولا يلزم أن يكون شذوذًا في طبيعة الدلالة الحرفية(٣١).

ويؤيد صبحي الصالح العلاقة الطبيعية بين الصوت اللغوي ودلالته بقوله: «أما الذي نريد الآن بيانه، فهو ما لاحظه علماؤنا من مناسبة حروف العربية لمعانيها، وما لمحوه في الحرف العربي من القيمة التعبيرية الموحية، إذ لم يعنهم من كلّ حرف أنّه صوت، وإنما عناهم من صوت هذا الحرف أنه معبر عن غرض، وأن الكلمة العربية مركبة من هذه المادة الصوتية التي يمكن حلّ أجزائها إلى مجموعة من الأحرف الدوالّ المعبرة، فكلّ حرف منها يستقل ببيان معنى خاص مادام يستقل بإحداث صوت معين. وكلّ حرف له ظل وإشعاع، إذ كان لكلّ حرف صدى وإيقاع»(٣٢).

ويقول محمد المبارك: «للحرف في اللغة العربية إيحاء خاص، فهو إن لم يكن يدلُّ دلالة قاطعة على المعنى، يدلّ دلالة اتّجاه وإيحاء، ويثير في النفس جوًا يهيئ لقبول المعنى، ويوجه إليه ويوحي به(٣٣).

ويعدُّ زكي الأرسوزي أن وضوح العلاقة الطبيعية بين الأصوات وقيمها الدلالية علامة على عروبتها وأصالتها، والعكس صحيح، وفي ذلك يقول: «إن الكلمة التي لا يمكن إرجاعها إلى صور صوتية، مقتبسة عن الطبيعة، وفي حدود الصناعة العربية لهي كلمة دخيلة على العربية(٣٤). ويذكر الأرسوزى أن الحرف العربي يتمتع بقيمة بيانية لا يضارعه فيها نظيره في اللغات الأخرى (٣٥)، وإن تحددت هذه القيمة بمنظومة الكلمة الصوتية إلا أن بعض الحروف في هذه المنظومة بمثابة نبرة الإيقاع في بيان معنى الكلمة، ويفي الحرف الأول من الكلمة على الأغلب بهذه الوظيفة.(٣٦)

والفريق الذي يرفض الربط بين الأصوات ومدلولاتها يمثله إبراهيم أنيس في أحد رأييه، وعبده الراجحي، وتمام حسان، وحسن ظاظا، ورمضان عبد التواب.

وينكر هذا الفريق مع كثير من اللغويين المحدثين وجود علاقة ذاتية بين الحرف ومدلوله، ويرون أن هذه العلاقة عرفية اصطلاحية، يقول إبراهيم أنيس: «والأمر الذي لم يبد واضحًا في علاج كلّ هؤلاء الباحثين هو وجوب التفرقة بين الصلة الطبيعية الذاتية

والصلة المكتسبة، ففي كثير من ألفاظ كلّ لغة نلحظ تلك الصلة بينها وبين دلالتها، ولكن هذه الصلة لم تنشأ مع تلك الألفاظ أو تولد بمولدها، وإنّما اكتسبتها اكتسابًا بمرور الأيام، وكثرة التداول، والاستعمال، وهي في بعض الألفاظ أوضح منها في بعضها الآخر، ومرجع هذا إلى الظروف الخاصة التي تحيط بكلّ كلمة في تأريخها، وإلى الحالات النفسية المتباينة التي تعرض للمتكلمين، والسامعين في أثناء استعمال الكلمات».[٣٧]

وفي موضع آخر يقول: «قد ترتبط الألفاظ بالدلالات في بعض الحالات النفسية كالكلمات التي تعبر عن الغضب أو النفور والكره، كما قد ترتبط بحجم الأشياء أو أبعادها. فقط لوحظ أن الكسرة وما يتفرع عنها من ياء المد ترمز في كثير من اللغات إلى صغر الحجم أو قرب المسافة. ففي العربية نجد أن الياء هي علامة التصغير وأن الكسرة علامة التأنيث «[٣٨].

ومن الذين ينكرون العلاقة الطبيعية بين الصوت ومدلوله أيضا تمام حسان حيث فيقول: فالعلاقة بين الكلمات وأصواتها ومعانيها علاقة عرفية اعتباطية محددة بالاستعمال، ومدونة في المعجم[٣٩].

وكذلك يرى عبده الراجحي أن «الكلمة تختلف أصواتها بألفاظ متباينة اصطلح عليها الناس دون أدنى تناسب بين أي صوت من أصوات هذه الكلمة، وبين المسمى الذي يدل عليه[٤٠].

ويبرر رمضان عبد التواب رفضه للعلاقة الطبيعية بأنه لو صح ذلك «لاهتدى كل إنسان إلى كل لغة على وجه الأرض، وأن مذهب المحاكاة يحصر أساس نشأة اللغة في الملاحظة المبنية على الإحساس بما يحدث في البيئة، ويتجاهل الحاجة الطبيعية إلى التخاطب والتفاهم، والتعبير عما في النفس[٤١].

ويرفض محمود فهمي حجازي هذه الفكرة قائلا: «لو كان هناك علاقة بين اللفظ والمدلول، فإنّها لا تتجاوز كونها اصطلاحية عرفية[٤٢].

ولم يكن تناول العلاقة بين الصوت والدلالة قاصر على اللغويين العرب، فقد تناولها غيرهم من اللغويين المحدثين، حيث يؤيد «ياكبسون Jakobson» الربط بين الصوت والمعنى بقوله: «إن رمزية الأصوات علاقة موضوعية لا تنكر، وهي علاقة قائمة على ربط

ظاهري بين مختلف الوسائل الحسية، وبخاصة بين الإحساسات البصرية والسمعية»[٤٣].

وكذلك يؤيد «بنفينيست Benveniste» ضرورية هذه العلاقة، فيقول «إن العلاقة بين الدال والمدلول ليست اعتباطية، بل هي على العكس من ذلك علاقة ضرورية»[٤٤].

وعلى الجانب الآخر يعدُّ «دي سوسير» العلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية حيث يقول: ولما كنت أعنى بإشارة النتيجة الإجمالية بين الدال والمدلول تهيأ لي أن أقول بأسلوب أبسط وببساطة: إن العلامة اللغوية اعتباطية ولا علاقة لها بذاتها، وما يمكن أن تدلَّ عليه إلا بالاتفاق والاصطلاح، وأما الكلمات التي هي أمثلة حقيقية للعلاقة بين الصوت والمعنى فهي قليلة العدد[٤٥].

وينكر «ستيفن أولمان Stephen Ollman» وجود علاقة طبيعية أو ذاتية بين الصوت ومدلوله، حيث يقول: هناك شيئان يعارضان افتراض وجود أية صلة طبيعية بينهما مهما كانت هذه الصلة غامضة: الشيء الأول: يتمثل في تنوع الكلمات واختلافها في اللغات المختلفة، والثاني يتبلور في الحقائق التاريخية: فلو كانت معاني الكلمات في أصواتها، لما أمكن أن تتغير هذه الكلمات في لفظها ومدلولها تغيرًا يستحيل ربطه بالمعنى بالوضع الأصلي لها[٤٦].

وصف تكوين الحروف العربية وبيان قيمها الدلالية

يقول ابن الجزري: «كل حرف شارك غيره في الصفات فإنه لا يمتاز عنه إلا بالمخرج، وكل حرف شارك غيره في المخرج لا يمتاز عنه إلا بالصفات، ولولا ذلك لاتحدت أصوات الحروف في السمع»[٤٧]وفى الصفحات القادمة سوف نقدم تعريفات مختصرة لحروف العربية حرفًا حرفًا، نبين فيها كيف يتكون هذا الحرف، وذلك من خلال وصف ما يحدث لأعضاء النطق حال النطق به، وما ينتج عن ذلك من سمات تمييزية تكوّن الشخصية المستقلة لهذا الحرف، وتؤثر في القيمة الدلالية التي يحملها، وما يوحي به من معنى، وفقًا لما ورد في النصوص المحفوظة، وما أسفرت عنه الاستقصاءات البحثية، مع ملاحظة أن الحرف يستمد قيمه الدلالية عن طريق رافدين: الأول: أن الحرف يكتسب دلالته من المخرج الذي يحدده، والصفات التي تميزه، والآخر: أن الحرف قد يستمد العديد من المعاني بحسب موقعه في الكلمة، وما يتصاحب معه من حروف أخرى.

١ -الأصوات الشفوية:

وهي تلك الأصوات التي تنطق باشتراك الشفتين معًا، وهي «الباء والميم» .

الباء:

عند النطق بالباء يمر الهواء بالحنجرة، فيهتز الوتران الصوتيان، ويستمر الهواء في المرور حتى يصل إلى الشفتين فيتوقف توقفًا تامًا عندهما حيث ينطبقان انطباقًا محكمًا يمنع خروج الهواء ويضغط مدة من الزمن، ثم تنفرجان فيندفع الهواء فجأة من الفم محدثًا صوتًا انفجاريًا وعلى هذا يوصف الباء بأنه:

صوت صامت شفوي انفجاري مجهور مرقق.

وليس للباء نظير مهموس في العربية. ومن هنا نلاحظ خطأ كثير من العرب في نطق [P] المهموس والموجود في اللغة الإنجليزية مثلا. ولكن قد يحدث أن يهمس الباء العربي في بعض مواقعه، كالباء في نحو «كتاب» (بسكون الباء) وفي هذه الحالة يصحب الإهماس عدم انفجار كامل، ولعل هذا أحد الأسباب التي من أجلها نص العرب على وجوب تحريك الباء بصويت إذا كانت ساكنة؛ حتى يتحقق الانفجار والجهر التام(٤٨).

ويدلُّ حرف «الباء» على بلوغ المعنى في الشيء بلوغًا تامًا، ويدل على القوام الصلب بالتفعل(٤٩)، وعلى قلع الأجسام اللينة المتلاصقة بعضها عن بعض(٥٠)، وعلى تجمع رخو مع تلاصق ما(٥١)، و يتغلب عليه معنى الظهور والوضوح، وهو المعنى الأكثر توافقًا مع مصدر خروجه من الفم ومنه: بدأ، بتَّ، بدا، وبدح، وبدخ، وبدع، وبذخ، وبرح، وبرز، برع(٥٢)، ويرى عباس حسن أن حرف الباء أكثر تمثيلاً لمعاني البقر والبعج والحفر ، والقطع والشق، والتحطيم والتبديد، والمفاجأة والشِّدة، وأكثر إيحاء بمعنى الشدة والقوة(٥٣) وتعطي صفة الانفجار في الباء غلظة تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض(٥٤) وتعطي صفة الجهر في الباء قوة وعلوًا ووضوحًا في السمع.

الميم:

الميم ينطق كالباء فتنطبق الشفتان انطباقًا تامًا عند النطق به، فيحبس الهواء في الفم ولكن في أثناء انطباق الشفتين يخفض الحنك اللين فيتمكن الهواء الخارج من الرئتين

من المرور من الممر الثاني وهو الأنف ويتضام الوتران الصوتيان تضامًا شديدًا يسمح بمرور الهواء مع تذبذبهما حال النطق بالميم وبناء على ذلك يوصف الميم بأنه:

صوت صامت شفوي أنفي مجهور مرقق.

وحرف «الميم» من أول الحروف التي يبدأ الطفل نطقه بها نظرًا لارتباطه بالشفتين اللتين يستعملهما كثيرًا في مصّ ثدي أمه، ويوحي حرف «الميم» بذات الأحاسيس اللمسية التي تعانيها الشفتان لدى انطباقهما على بعضهما بعضًا، من الليونة والمرونة والتماسك مع شيء من الحرارة(٥٥)، و يدل على معاني الشدة والغلظة والضخامة(٥٦)، ويدلُّ حرف «الميم» على القطع والاستئصال والكسر(٥٧)، ويدلُّ على الانجماع (٥٨)، ويدلُّ على امتساك واستواء ظاهري(٥٩)، ويدلُّ على التوكيد والتشديد والقطع الذي يدل على المعاني الحسية، كما يستعار أحيانًا لمعاني القطع بالرأي والإصرار على العزيمة(٦٠).

٢-الأصوات الشفوية الأسنانية:

وهي تلك الأصوات التي تنطق باشتراك أطراف الثنايا العليا وباطن الشفة السفلى و «الفاء» العربية تنطق بهذه الكيفية. ولا يوجد في العربية صوت آخر ينطق على هذا النحو.

الفاء:

يتكون الفاء بأن تضغط الشفة السفلى على الأسنان العليا بحيث يسمح للهواء أن يشق طريقه بينهما وخلال الثنايا، ويرفع الحنك اللين، فلا يمر الهواء خلال الأنف ولا يتذبذب معه الوتران الصوتيان.

فالفاء صوت صامت شفوي أسناني احتكاكي مهموس مرقق.

والنظير المجهور للفاء هو [v] وليس من جملة الأصوات العربية، وهو صوت شائع في اللغات الأوربية. وأخذ يجرى على ألسنة المثقفين العرب ولاسيما عند نطق الأعلام الأوربية التي تشتمل عليه مثل «فينا». ويتكون هذا الصوت كما يتكون الفاء إلا أن الوترين الصوتيين يتذبذبان أثناء نطقه ويخطئ كثير من العرب في نطقه فينطقونه مهموسًا متأثرين بعاداتهم النطقية للفاء العربية المهموسة.

ويدلُّ حرف «الفاء» على حفيف الأشجار وما أشبهها[٦١]، وعلى لازم المعنى، أي على الوضع في المعنى الكنائي[٦٢]، و يدلُّ على الإبانة والوضوح[٦٣] ، و يدلُّ على النفاذ بقوة (كالطرد والإبعاد) إلى ظاهر الشيء مع اتساع النافذ أو انتشاره، وذلك أخذًا من «الفُوفة» بالضم: القشرة الرقيقة على النواة[٦٤]، ولرقة صوته، كثيراً ما يضفي معنى الضعف والوهن على الألفاظ التي يدخل في تراكيبها، ولاسيما المؤلفة من حروف : (د. ت. ط. ر. ل. ن).

ويرى «حسن عباس» أن هذا الحرف بحفيف صوته الرقيق وبعثرة النفَس لدى خروجه من بين الأسنان العليا وطرف الشفة السفلى، يوحي بملمس مخملي دافئ، كما يوحي بالبعثرة والتشتت. لتكون الخصائص الصوتية لهذا الحرف موزعة بين اللمسي والبصري[٦٥].

٣-الأصوات الأسنانية:

وهي الأصوات التي يشترك في نطقها الأسنان العليا والأسنان السفلى مع وضع طرف اللسان حال النطق بها بين الأسنان العليا والأسنان السفلى. ويتم في هذا المخرج إنتاج ثلاثة أصوات من الصوامت العربية هي: الثاء والذال والظاء وتوصف على النحو الآتي:

الثاء:

يتم إنتاج هذا الصوت بوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا بحيث يكون هناك منفذ ضيق للهواء؛ ويكون معظم اللسان مستويًا، ويرفع الحنك اللين، فلا ينفذ الهواء عن طريق الأنف ويخرج الهواء محتكًا محدثًا صوت الثاء ولا يتذبذب معه الوتران الصوتيان.

إذن الثاء: صوت صامت أسناني احتكاكي مهموس مرقق.

ويدلُّ حرف «الثاء» على التعلق بالشيء تعلقًا له علامته الظاهرة سواء في الحس أو المعنى[٦٦]، ويدلُّ على البعثرة والتشتت والتخليط، مما يماثل بعثرة النفس بعد خروج صوت الثاء منها[٦٧]، ويدلُّ على كثافة أو غلظ مع تفشٍّ[٦٨]، ويدلُّ على الانتشار والتفريق[٦٩]، ويدلُّ على العين من كل شيء[٧٠]، واللين من كل شيء[٧١].

الذال:

وهو النظير المجهور للثاء. أي أن الذال يختلف عن الثاء في شيء واحد هو أن الوترين الصوتيين يتذبذبان عند نطقه.

فالذال: صامت أسناني احتكاكي مجهور مرقق.

ويدلُّ حرف «الذال» على التفرُّد(٧٢)، وعلى القطع(٧٣)، وعلى نفاذ ثخين ذي رخاوة ما وغلظ (٧٤)، وإذا كانت خصائص الأنوثة قد تجمعت كلها في (الثاء)، رقة ودماثة وحشمة، فقد تركزت في (الذال) كل الذكورة، توتر صوت، وخشونة ملمس، وشدة ظهور(٧٥).

الظاء:

يتم إنتاج هذا الصوت بالطريقة نفسها التي يتم بها إنتاج صوت الذال، إلا أن شكل اللسان معه غير شكله مع الذال حيث يرتفع مؤخر اللسان تجاه أقصى الحنك كما يرجع إلى الخلف قليلا فيحدث الإطباق كما هو الحال في نطق الضاد والطاء والصاد كذلك.

إذن الظاء: صامت أسناني احتكاكي مجهور مفخم (مطبق).

ويلاحظ فى هذه الأصوات الأسنانية أن الذال والثاء أختان ويفرق بينهما جهر الأولى وهمس الثانية. كما يلاحظ أن الذال والظاء أختان ويفرق بينهما أن الأولى مرققة والثانية مفخمة.

ويدلُّ حرف« الظاء» على التمكن في الغؤور(٧٦)، وعلى نفاذ بغلظ أو حدة مع كثافة(٧٧)، وهو يوحي بالفخامة والنضارة والأناقة والظهور، وبشيء من الشدة والقساوة(٧٨).

٤-الأصوات الأسنانية اللثوية:

يعد هذا المخرج أغنى المخارج بالأصوات في العربية ففيه تنطق الأصوات التالية: التاء، والدال، والطاء، والضاد، والزاي، والسين والصاد ويتم نطق هذه الأصوات باشتراك مقدم اللسان مع اللثة وأصول الثنايا العليا ويتم إنتاجها على النحو الآتي:

التاء:

يتم إنتاج صوت التاء بتوقف الهواء وقوفًا تامًا حال النطق به عند نقطة التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ومقدم اللثة. ويضغط الهواء مدة من الزمن، ثم ينفصل العضوان انفصالاً فجائيًا محدثًا صوتًا انفجاريًا ويلاحظ ارتفاع الحنك اللين حال النطق به فلا يسمح بمرور الهواء من الأنف، ولا تذبذب الأوتار الصوتية عند النطق بالتاء فالتاء: صامت أسناني لثوى انفجاري مهموس مرقق.

ويدلُّ حرف «التاء» على الاضطراب في الطبيعة، أو الملابس للطبيعة في غير ما يكون شديدًا[٧٩]، و يدلُّ على ضغط بدقة وحدة يتأتى منه معنى الامتساك الضعيف، ومعنى القطع[٨٠]، وإذا جاء ثاني الكلمة دلَّ على القطع، نحو: «بتَّ الحبل» و«بتر العضو» أي قطعهما[٨١]، ويحاكي حرف «التاء» من أصوات الطبيعة قرع الكف بالإصبع قرعاً بقوة[٨٢]، وتأتي للتأنيث والزيادة والبدل والقسم[٨٣]، و يدلُّ على الآنية التي تحلب فيها الناقة[٨٤]

الدال:

صوت الدال هو النظير المجهور للتاء. وهو يتكون بنفس الكيفية التي يتكون بها التاء إلا أن الوترين الصوتيين يتذبذبان أثناء النطق مع الدال.

فالدال: صامت أسناني لثوى انفجاري مجهور مرقق.

و يدلُّ حرف «الدال» على التصلب وعلى التغير المتوزع[٨٥]، وعلى احتباس بضغط وامتداد[٨٦]، والدال عندهم المرأة السمينة[٨٧]، ويصاحبه غالبًا معنى اللين والنعومة[٨٨]، وإذا كان ثاني الكلمة دل على التفريق، نحو (بدد القوم)[٨٩]، ومن صفاتها الشدة، «كما في (شد الحبل) ونحوه، فالشين بما فيها من التّفشي تشبه بالصوت أول انجذاب الحبل قبل استحكام العقد، ثم يليه إحكام الشدّ. والجذب، وتأريب العقْد، فيعبر عنه بالدال التي هي أقوى من الشين، لا سيما وهي مدغمة، فهو أقوى لصنعتها، وأدلّ على المعنى الذي أُريد بها»[٩٠]

الطاء:

صوت الطاء هو النظير المفخم للتاء: فشكل اللسان مع الطاء يكون غير شكل اللسان مع التاء. ففي حالة النطق بالطاء يرتفع مؤخر اللسان نحو الحنك القصي ويتأخر قليلاً نحو الجدار الخلفي للحلق. ويصبح شكل اللسان مقعرًا، أي يرتفع أقصاه وطرفه مع تقعير وسطه. وهذا هو المقصود بالإطباق عند علماء العربية.

فالطاء: صامت أسناني لثوى انفجاري مهموس مفخم (مطبق)

ويحاكي حرف «الطاء» من أصوات الطبيعة تصفيق اليدين بحيث لا تنطبق الراحتان، بل ينحصر هناك هواء له دوي، ويسمع عن القلع أيضا مثله[٩١]، و «الطاء» من الحروف القوية، يقول السيوطي: «فانظر إلى بديع مناسبة الألفاظ لمعانيها، وكيف فاوتت العرب في هذه الألفاظ المقترنة المتقاربة في المعاني، فجعلت الحرف الأضعف فيها والألين، والأَخْفى، والأَسهل، والأَهمس لما هو أدنى وأقلّ وأخف عملا أو صوتًا، وجعلت الحرف الأقوى، والأشد والأظهر، والأجهر لما هو أقوى عملا وأعظم حسًا، ومن ذلك المد والمط، فإن فعلَ المط أقوى، لأنه مد وزيادة جذب، فناسب الطاء التي هي أعلى من الدال [٩٢]، ويدلُّ على الملكة في الصفة وعلى الالتواء والانكسار[٩٣]، ويدلُّ على ضغط باتساع واستغلاظ[٩٤]، والكلمة التي ثانيها حرف «الطاء» تكون في معنى القطع، نحو: (قطَّ القلم) و(قطف الثمر)[٩٥]، و صوته أشبه ما يكون بضجّة الطبل. له إيحاء لمسي بين المرونة والطراوة، وله من المذاقات طعم الدسم، ومن الشمِّيات رائحة العطور[٩٦]، ويلاحظ أن أهم مصادر الروائح الذكية في حياة البدوي يوجد في ألفاظها حرف الطاء منها، (الطِّيب، العطر، الخمط، وهو الريح الطيب)[٩٧].

الضاد:

صوت الضاد النظير المجهور للطاء. فلا فرق بين الضاد والطاء إلا أن الأول مجهور الثاني مهموس، ولا فرق بين الضاد والدال إلا أن الضاد «مطبق» والدال لا إطباق فيه.

فالضاد: صامت أسناني لثوى انفجاري مجهور مفخم (مطبق)

ولقد حمل هذا الحرف لقب اللغة العربية، فقيل (لغة الضاد)، ويدلُّ حرف «الضاد» على الغلبة تحت الثقل[٩٨]، ويدلُّ على غلظ وثقل له حدة ما، وعلى ضغط بكثافة وغلظ[٩٩]، ويدلُّ على الضجيج[١٠٠]، وصوت الضاد في حالة التفخيم والتشديد يوحي بالصلابة والشدة والدفء كأحاسيس لمسية، وبالفخامة والضخامة والامتلاء كأحاسيس بصرية، وبالضجيج كإحساس سمعي، وبالشهامة والرجولة والنخوة كمشاعر إنسانية[١٠١]، ويقول ابن جني: «القبض بالضاد معجمة باليد كلها، وبالصاد غير معجمة بأطراف الأصابع. وذلك أن الضاد لتفشيها واستطالة مخرجها جعلت عبارة عن الأكثر، والصاد لصفائها وانحصار مخرجها، وضيق محلّها جعلت عبارة عن الأقل»[١٠٢].

السين:

ينتج هذا الصوت بأن يعتمد طرف اللسان في اتجاه الأسنان ومقدمته مقابل اللثة العليا بينما يرفع وسط اللسان نحو الحنك الأعلى ويكون الفراغ بين اللسان واللثة قليلا جدًا ويرفع الحنك اللين ويندفع الهواء مارًا بالحنجرة دون أن يحرك الوترين الصوتيين ثم يأخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى المخرج وهو كما تقدم عند التقاء مقدمة اللسان باللثة. ويضيق منفذ الهواء ضيقا شديدًا يندفع خلاله الهواء فيحدث الاحتكاك.

وتتميز السين أيضا بأنه عند النطق بها تقترب الأسنان العليا من السفلى فلا يكون بينهما إلا منفذ ضيق جدًا. كما أن السين العربية عالية الصفير إذا قيست بها السين في بعض اللغات الأوربية كالإنجليزية مثلا.

فالسين إذن: صامت لثوي احتكاكي مهموس مرقق.

وحرف «السين» نسمعه من المسموعات الطبيعية عند مس جرم يابس بجرم آخر مثله[١٠٣]، وفي سأسأة الإبل وزجرها[١٠٤]، وحرف «السين» على نقيض الميم؛ لدلالته على المعاني اللطيفة كالهمس والوسوسة والنبس والتنفس والحس والمساس والاقتباس[١٠٥]، ويعبر حسب صدوره عن معنى الحركة أو الطلب، وهو يحدد المضارع نحو المستقبل ومنه سار، وسأل، وسأى ،وسبح، و، وسبل، وسبب، وسيح، وسبر[١٠٦]، و يدلُّ حرف «السين» على السعة والبسطة من غير تخصيص[١٠٧]، و يدل على الرقة والسلاسة، وهو أحد الحروف الصفيرية ، وصوته المتماسك النقي يوحي بإحساس لمسيٍّ بين النعومة

والملاسة، وبإحساس بصري من الانزلاق والامتداد، وبإحساس سمعي هو أقرب للصفير[١٠٨]، ويعبر عن امتداد دقيق(حاد أو قوي) نافذ في جرم أو منه[١٠٩]، و يدلُّ حرف «السين» على الليونة والسهولة والنقص في أكثر أحواله[١١٠].

الزاي:

صوت الزاي هو النظير المجهور للسين يتم نطقه بوضع طرف اللسان فى اتجاه الأسنان، ومقدمته مقابل اللثة العليا، مع رفع الحنك اللين تجاه الحائط الخلفي للحلق، فيسد المجرى الأنفي، ويتم كل هذا مع وجود ذبذبة فى الأوتار الصوتية. فالزاي: صامت أسناني لثوي احتكاكي مجهور مرقق.

ويدلُّ حرف «الزاي» على التقلع القوي[١١١]، ويعبِّر عن شدة اكتناز بازدحام أشياء أو أجزاء بعضها إلى بعض[١١٢]، ولئن كان صوت هذا الحرف يقوم أصلاً على الاهتزاز الصوتي كحرفي الذال والظاء، فإنه يتميز منهما بحدَّة خاصة، لا يخفِّف منها لثغ كما في الذال، ولا فخامة وأناقة في اللفظ كما في الظاء ليكون حرف الزاي بذلك أحدَّ أصوات الحروف قاطبة.

وعلى الرغم من بساطة صوت هذا الحرف الأسَلي، فهو متنوع الخصائص، فحدَّة صوته توحي بالشدة والفعالية. وهذه الحدَّة التي تحاكي صوت حزِّ الحديد على الحديد، تؤهِّله للتعبير عن الأصوات المماثلة في الطبيعة. ولما كان صوت هذا الحرف يستمد حدَّته من ذبذباته الصوتية العالية، فهو إذا لفظ بشيء من الشدَّة أوحى بالاضطراب والتحرّك والاهتزاز. أما إذا لفظ مخففًا بعض الشيء، فهو يوحي بالبعثرة والانزلاق[١١٣] وذلك حذوًا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث[١١٤]، وحرف «الزاي» نسمعه في «الزمزمة» من الكلمات التي لا تزال تحفظ آثارًا سمعية من أصواتها الطبيعية الأم[١١٥].

الصاد:

الصاد مطبق السين، أي أنه يتكون بنفس الطريقة التي يتكون بها السين إلا أن فيه «إطباقًا» أي أن مؤخرة اللسان ترتفع معه ناحية الطبق.

فالصاد إذن: صامت أسناني لثوي احتكاكي مهموس مفخم (مطبق).

«ولقد مَنَحَتْه هذه الخصائص الصوتية شخصيةً فذَّةً، طغى بها على معاني معظم الحروف، في الألفاظ التي تَصَدَّرَها، لِيُعطيَها من نقاء صوته صفاءَ صورةٍ وذكاءَ معنًى، ومن صلابته شدَّةً وقوةً وفاعلية، ومن طبيعته الصفيرية مادةٌ صوتيةٌ نقيّة، ما كان أصلَحها لِمحاكاة الكثير من أصوات الناس والحيوانات وأحداث الطبيعة. فمن مئةٍ وخمسةٍ وأربعين مَصدراً تبدأ بحرف الصاد في المعجم الوسيط، كان منها ستة وعشرون مصدراً تدلُّ معانيها على أصواتٍ يتوافَق معظمها مع خصائصه الصّوتية»[١١٦]، وحرف «الصاد» نسمعه في «الصرصرة»، وفي صوت الصرصور ليلًا، وفي صلصلة قدور النحاس، وفي صليل السيوف، من الكلمات التي لا تزال تحفظ آثارًا سمعية من أصواتها الطبيعية الأم[١١٧]، و يدلُّ حرف «الصاد» على المعالجة الشديدة[١١٨]، وعلى كون الشيء غليظًا قويًا في ذاته خالصًا مما يخالطه، وعلى نفاذ بغلظ وقوة وخلوص[١١٩].

٥-الأصوات اللثوية:

تضم هذه المجموعة ثلاثة صوامت وهي الراء واللام والنون، وجميعها تشترك اللثة مع طرف اللسان في إنتاجها.

الراء:

يتم نطق صوت الراء بأن يترك اللسان مسترخيًا، في طريق الهواء الخارج من الرئتين، فيرفرف اللسان، ويضرب طرفه في اللثة ضربات متكررة. وهذا معنى وصف الراء بأنه صوت تكراري هذا بالإضافة إلى حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية عند نطق هذا الصوت[١٢٠]. وقد لاحظ قدامى العرب خاصة التكرار في الراء فسموه بالمكرر. وفسروا ذلك بقولهم: وذلك أنك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير[١٢١].

فالراء: صامت لثوي مكرر مجهور مرقق.

وحرف «الراء» نسمعه من المسموعات الطبيعية: عن ارتعاد ثوب معرض لريح قوية مستوثق من مشد له لا يفارقه، وقد يسمع عند تدحرج كرة صلبة على لوح من الخشب[١٢٢]، وصوت حرف الراء من أصوات الحروف هو أشبه ما يكون بالمفاصل من الجسد، وحاجة اللغة العربية إلى حرف الراء لا تقل عن حاجة الجسد للمفاصل. فلولا صوت الراء لفقدت لغتنا الكثير من مرونتها وحيوتها وقدرتها الحركية، ولفقدت بالتالي

الكثير من رشاقتها، ومن مقومات ذوقها الأدبي الرفيع. فكما أن مفاصل الجسد تساعد أعضاءه على التحرك بمرونة في كل الاتجاهات، وعلى تكرار الحركة المرّة بعد المرّة، فإن حرف الراء بتمفصل صوته (ر. ر. را)، وبرشاقة طرف اللسان في أدائه، قد قدَّم للعربي الصور الصوتية المماثلة للصور المرئية التي فيها ترجيع وتكرار، وتأرجح ذات اليمين وذات الشمال، وذلك «حذوًا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث»، كما قال ابن جني. وليس هناك أيُّ حرف في الدنيا يستطيع صوته أن يؤدي بعض هذه الوظائف، فهو من المقومات الأساسية للغة العربية. لا بل ما أحسب أن ثمة لغة يمكن أن تخلو منه. [١٢٣]، وحرف «الراء» يدلُّ على الملكة، ويدلُّ على شيوع الوصف[١٢٤]، ويعبَّر عن سيولة الجرم مع استرسال، أي شيء من التماسك يجعل الاتصال والامتداد واضحين، فهو يدلُّ على استرسال مع تماسك ما [١٢٥]، و يدلُّ على التكرار وديمومة الحدث[١٢٦]، ومن أبرز صفاته الربربة، أي التحريك[١٢٧].

اللام:

ينطق هذا الصوت بأن يتصل طرف اللسان ويرتفع الحنك اللين، فيسد المجرى الأنفي عن طريق اتصاله بالجدار الخلفي للحلق، هذا مع حدوث ذبذبة في الوترين الصوتيين، ويوصف هذا الصوت بأنه جانبي ومعنى ذلك أن أحد جانبي اللسان أو كليهما يسمح للهواء الخارج من الرئتين بالمرور بينه وبين الأضراس، في الوقت الذي لا يمكنه فيه المرور من وسط الفم، لحيلولة طرف اللسان المتصل باللثة دون ذلك.

فاللام: صامت لثوى جانبي مجهور مرقق.

وحرف «اللام» نسمعه من المسموعات الطبيعية عن صفق اليد على رطوبة، أو عن لطم الماء باليد، أو زج الإصبع فيه بعنف يوغل فيه الهواء، ثم ينثني صاعدًا [١٢٨] ويدلُّ حرف «اللام» على الانطباع بالشيء بعد تكلفه[١٢٩]، وعلى تعلق أو امتداد مع استقلال أو تميز [١٣٠]، ويوحي هذا الحرف بمزيج من الليونة والمرونة والتماسك والالتصاق[١٣١].

النون:

يتم نطق صوت النون بأن يجعل طرف اللسان متصلاً باللثة، مع خفض الحنك اللين، ليفتح المجرى الأنفي، وإحداث ذبذبة في الوترين الصوتيين. ويوصف هذا الصوت بأنه

صوت أنفي، ومعنى الأنفية فيه، أن الهواء الخارج من الرئتين، يمر في التجويف الأنفي محدثًا في مروره نوعًا من الحفيف، والنون بهذا الوصف كالميم تمامًا، غير أن الفرق بينهما أن طرف اللسان مع النون يلتقي باللثة فيمتنع مرور الهواء عن طريق الفم، بعكس الميم، فإن الذي يمنع مرور الهواء من الفم معها هما الشفتان[١٣٢].

فالنون: صامت لثوي أنفي مجهور مرقق.

وحرف «النون» نسمعه في «النحنحة»، و «النقنقة» وغيرها من الكلمات التي لا تزال تحفظ آثارًا سمعية من أصواتها الطبيعية الأم، ويثير هذا الحرف في النفس مختلف الأحاسيس والمشاعر الإنسانية، وهو حرف أنثوي رقيق أنيق موجود في آلة الصوت الناي، في الألم (أنَّ أنينًا)[١٣٣]، ومعناه لغة: شفرة السيف أو الحوت أو الدواة، ولعل رسمه في العربية قد اقتبس من صورة إحدى هذه المسميات قبل أن يتطور إلى الرسم الحالي. فالنقطة في النون تمثل نتوءاً عند مقبض السيف، أو عين الحوت، أو مرتسم القلم في الدواة[١٣٤]. ويدلُّ حرف «النون «على البطون في الشيء أو على تمكن المعنى تمكنًا تظهر أعراضه[١٣٥]، ويعبِّر حرف «النون» عن الصميمية[١٣٦]، ويعبِّر أيضًا عن امتداد لطيف في جوف أو باطن جرم أو منه[١٣٧]، ويدل في أكثر أحواله على الظهور كيفما كان موقعه في الكلمة[١٣٨]، وهو صوت هيجاني ينبعث من الصميم للتعبير عفو الفطرة عن الألم العميق (أنّ أنيناً)... على أن صوت النون إذا لفظ مخفَّفاً مرقَّقاً أوحى بالأناقة والرقة والاستكانة، وإذا لفظ مشدداً بعض الشيء. أوحى بالانبثاق والخروج من الأشياء، تعبيراً عن البطون والصميمية، كما قال العلايلي والأرسوزي. أما إذا لفظ بشيء من الشدة والتوتر، فلابد لموحياته الصوتية أن تتجاوز ظاهرة الانبثاق العفوية، إلى النفاذ القسري والدخول في الأشياء، وإذا لفظ بشيء من الخنخنة (إخراج الصوت من الأنف). أوحى بالنتانة والخِسّة[١٣٩].

ولقد سمى بعض القدماء هذه الأصوات بالأصوات الذلقية، ولا شك أنهم بجمعهم إياها تحت اسم واحد أيًا كان هذا الاسم قد أحسوا بالعلاقة الصوتية بين هذه الأصوات. وكذلك المحدثون من علماء الأصوات اللغوية يرون وجه شبه كبير بين هذه الأصوات الثلاثية وهو أن هذه الأصوات مع قرب مخارجها تشترك فى نسبة وضوحها الصوتي، وأنها من أوضح الأصوات الصامتة في السمع ولهذا أشبهت الحركات فهي جميعًا ليست

شديدة أي لا يسمع معها انفجار، وليست رخوة فلا يكاد يسمع ذلك الحفيف الذي تتميز به الأصوات الرخوة. ولذلك عدها القدماء من الأصوات المتوسطة[١٤٠]. فتيار الهواء يخرج حرًا طليقًا كالحركات تمامًا ولكنه مع الحركات يخرج من وسط الفم ومع اللام من جانبي الفم ومع النون من الأنف وأما الراء فهو شبيه بالحركات لما يوجد عند النطق به من نوع من الحرية بسبب الاتصال والانفصال المتكررين. وهذا السلوك يعطى هذا الصوت نوعًا من الوضوح السمعي أقوى مما يحدث مع بقية الأصوات الصامتة، ومما يقرب هذه الأصوات أيضا من الحركات كذلك كونها جميعا مجهورة[١٤١].

٦-الأصوات الغارية:

تخرج أصوات هذه المجموعة باشتراك الغار مع مقدم اللسان ويسمى الصوت حينئذ غاريًا ويتم في هذا المخرج إنتاج صامتين من الأصوات الصامتة في اللغة العربية وهما الشين والجيم وسنعرض لهما فيما يأتي:

الشين:

يتم إنتاج صوت الشين عن طريق رفع مقدم اللسان في منطقة الغار ورفع الحنك اللين ليسد المجرى الأنفي، بالتصاقه بالجدار الخلفي للحلق ويتم ذلك كله دون إحداث ذبذبات في الأوتار الصوتية، فإذا مر الهواء في الفراغ الضيق سبب نوعًا من الاحتكاك والصفير وهو صوت الشين ويلاحظ عند النطق بالشين أن اللسان كله يرتفع نحو الحنك الأعلى كما أن الأسنان العليا تقترب من السفلى، غير أن نسبة هذا الاقتراب أقل منه في حالة النطق بالسين، ويشغل اللسان أثناء النطق بهذا الصوت مساحة أكبر.

فالشين: صامت غاري احتكاكي مهموس مرقق.

والشين المتفشية في مخرجها لانتشار الهواء المزفور بين اللسان والحنك رمزها مأخوذ من شكل أشعة الشمس التي تشبه الشقوق عند الشعشعة، ونراها في تضاد الصورتين الموجودتين في شعشع النور إذا تطاير، وفي عشش الطير إذا بنى عشًا من سوق النبات[١٤٢]، وحرف «الشين» يدلُّ على التفشي بغير نظام[١٤٣]، ويعبِّر عن تسيب وتفرق أي انتشار وتفش وعدم تجمع أو تعقد[١٤٤]، وفي الحقيقة، إن بعثرة النَفَس أثناء خروج صوت هذا الحرف يماثل الأحداث التي تتم فيها البعثرة والانتشار والتخليط.

كما أن طريقة النطق بصوته المبدِّد للنفَس بين شفاه مكشِّرة، إذا أخذت الكشرة أبعادها، كانت أصلح ما تكون للتعبير عن توافه الأشياء والأمور[١٤٥].

الجيم:

صوت الجيم صوت مركب أي أنه يجمع بين الشدة والرخاوة ويتم نطقه بأن يرتفع اللسان في اتجاه الغار فيلتصق به، وبذلك يحجز وراءه الهواء من الرئتين ثم لا يزول هذا الحاجز فجأة، كما في الأصوات الانفجارية، وإنما يتم الانفصال ببطء، فيترتب على ذلك أن يحتك الهواء الخارج بالعضوين المتباعدين، وعلى ذلك يعد صوت الجيم مزيجًا من الشدة والرخاوة (من الانفجار والاحتكاك) وهذا الوصف لا ينطبق إلا على الجيم المعطشة الفصحى.

فالجيم: صامت غاري مركب مجهور مرقق.

يدلُّ حرف «الجيم» على العظم مطلقًا[١٤٦]، ويعبِّر عن تجمع هش له حدة ما[١٤٧]، نظرا لشدة تدافع النفس أثناء خروج الجيم الشامية، وما يحدثه من ارتجاج في مساحة واسعة من سقف الحنك، كان لابد أن تتنوع إيحاءاته الصوتية. فالجيم الشامية المعطشة، توحي بالشدة والقوة والدفء والمتانة كأحاسيس لمسية، وبطعم الدسم ورائحته كأحاسيس ذوقية وشمية. أما إيحاءاتها البصرية فهي تتردد بين الفخامة والعظم والامتلاء. لتقتصر إيحاءاتها السمعية على شيء من الفجاجة، وهي لا توحي بأية مشاعر إنسانية أصلاً[١٤٨]

٧-الأصوات الطبقية:

تنتج هذه الأصوات باشتراك الطبق اللين مع مؤخرة اللسان وتضم المجموعة التي تخرج من هذا الموضع ثلاثة صوامت هي: الكاف والغين والخاء ويتم انتاجها على النحو الآتي:

الكاف:

يتكون هذا الصوت بأن يندفع الهواء من الرئتين مارًا بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق أولاً، فإذا وصل إلى أقصى الفم قرب اللهاة انحبس الهواء انحباسًا كاملاً، لاتصال أقصى اللسان بأقصى الحنك الأعلى، فلا يسمح بمرور الهواء. فإذا انفصل العضوان انفصالا مفاجئًا انبعث الهواء إلى الخارج محدثًا صوتًا انفجاريًا هو ما نسميه بالكاف.

فالكاف: صامت طبقي انفجاري مهموس مرقق.

وحرف «الكاف» نسمعه من المسموعات الطبيعية عند قرع جسم صلب بجسم صلب، وعن انشقاق الأجسام اليابسة[١٤٩]، ويدلُّ حرف «الكاف» على الشيء يلتج عن الشيء في احتكام[١٥٠]، ويعبِّر عن ضغط غئوري دقيق يؤدي إلى امتساك أو قطع[١٥١]، ويحاكي صوت حرف «الكاف» صوت احتكاك الخشب بالخشب. ولعل العربي قد اقتبسه عفو الفطرة من هذا الحدث لإشعال النار بهذه الطريقة البدائية. وصوته في هذه الحال يوحي بشيء من الخشونة والحرارة والقوة والفعالية، مما يؤهله للانتماء إلى حاسة اللمس. أما إذا لفظ بصوت عالي النبرة وبشيء من التفخيم والتجويف، فإنه يوحي بالضخامة والامتلاء والتجميع، مما يؤهله للانتماء إلى زمرة الحروف البصرية[١٥٢].

الغين:

يتكون هذا الصوت بأن يندفع الهواء مارًا بالحنجرة فيهتز الوتران الصوتيان حتى إذا وصل إلى أقصى الحنك ارتفع أقصى اللسان حال النطق بهذا الصوت بحيث يكاد يلتصق الحنك وبحيث يكون هناك فراغ ضيق ليسمح للهواء بالمرور مع حدوث احتكاك.

إذن الغين: صامت طبقي احتكاكي مجهور.

يدلُّ حرف «الغين» على كمال المعنى في الشيء[١٥٣]، ويوحي معنى الغيبوبة. ونحن نجد هذا المعنى في الكلمات التي تبدأ بهذا الحرف، غاب، غاص، غرب ... و حرف الغين هو أبلغ بيانًا من كافة الحروف الأخرى فبحسب مخرجه وما يلقى من صدى في النفس عند خروجه يعبر عن معنى تنطوي عليه تقريبًا كافة الكلمات التي تبدأ به ألا وهو والغيبوبة الغموض ، منها «غبَّ» والغبُّ هو الغامض من الأرض، و «غبر» مضى، و«غبش» الليل أظلم، و «أغبط» النباتُ: تدانى وغطى الأرض، و «غبن» الغبانة: ضعف الرأي والنسيان، و «غبي» الغبوة: الغفلة، و «غرب» النجم: غاب١٥٤، وظاهرة الغؤور والغموض في حرف الغين، إنما هي مستمدّة من طبيعة صوته. فهو لا يوحي بالغموض فحسب، وإنما بالامِّحاء والعدم أيضاً[١٥٥].ويعبِّر عمّا يشبه الغشاء الذي له شيء من كثافة أو قوة وحدة، مع تخلخل ما[١٥٦]

الخاء:

الخاء في عربيتنا الفصحى هذه الأيام، يتكون بأن يقرب أقصى اللسان من أقصى الحنك بحيث يكون بينهما فراغ ضيق يسمح للهواء بالنفاد محدثا احتكاكًا ويرفع الحنك اللين ، وهى الطريقة نفسها يحدث بها صوت الغين إلا أن الوترين الصوتين لا يهتزان فالفرق بينهما في هذا الجانب فقط وعليه فوصف الخاء : صامت طبقي احتكاكي مهموس .

وحرف «الخاء» نسمعه من المسموعات الطبيعية عند حكك كل جسم لين حكًا كالقشر بجسم صلب[١٥٧]، يدلُّ حرف «الخاء» يدلُّ على المطاوعة والانتشار، على والتلاشي مطلقًا[١٥٨]، ويعبِّر عن تخلخل مع جفاف[١٥٩]، تختلف إيحاءات صوت هذا الحرف باختلاف كيفية النطق به فإذا لفظ صوته مخففاً مرققاً قريباً من جوف الحلق غير مخنخن به كانت إيحاءاته الصوتية مزيجاً من الأحاسيس اللمسية: رخاوة ورقة وملمساً مخملياً فيه شيء من الدفء. أما إذا لفظ صوته بشيء من الشدة والخنخنة، بعيداً عن جوف الحلق، أوحى بإحساس لمسي مخرش رخو، وبطعم يمجُّه الذوق، ورائحة شمية نتنة، وبإحساس بصري منشاري الشكل وسمعي مخرِّب للصوت، وبمشاعر إنسانية من الاشمئزاز والتقزز[١٦٠].

٨-الأصوات اللهوية:

في هذا المخرج تشترك اللهاة مع مؤخرة اللسان، ويسمى الصوت حينئذ لهويا ويتم فى هذه المنطقة إنتاج صوت واحد من الأصوات الصامتة في اللغة العربية الفصحى وهو صوت القاف ويتكون على النحو الآتي:

يحبس الهواء الخارج من الرئتين حبسًا كليًا، وذلك عن طريق اتصال مؤخرة اللسان بمنطقة اللهاة بصورة لا تسمح بمرور الهواء، ولا يسمح للهواء بالمرور خلال الأنف، وذلك برفع الحنك اللين، يضغط الهواء مدة من الزمن، ثم يطلق سراحه بأن ينخفض أقصى اللسان فيندفع الهواء محدثًا صوتًا انفجاريًا، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان أثناء نطق هذا الصوت. فالقاف: صامت لهوى انفجاري مهموس.

وحرف «القاف» نسمعه من المسموعات الطبيعية عن شق الأجسام وقلعها دفعة[١٦١]، يدلُّ حرف «القاف» على المفاجئة التي تحدث صوتًا[١٦٢]، ويدل على

الاصطدام والانفصال والقطع(١٦٣)، ويعبِّر عن تجمع (متعقد) ذي حدة في باطن الشيء أو عمقه(١٦٤)، وهذه الدلالات تفضي به إلى أحاسيس لمسية من القساوة والصلابة والشدة، وإلى أحاسيس بصرية وسمعية ، من فقاعة تنفجر، أو فخارة تنكسر(١٦٥).

ويقال إن صوت حرف «القاف» مأخوذ من اشتداد الضحك واضطرابه، ومن أبرز صفاته الشدة والقلقلة التي تعني حدوث صوت يشبه النبرة عند الوقف على نطقها، وقد يكون مأخوذًا من شكل القمر أو القطع أو القمقم أو تلك الجرار الضخمة التي كانت مستخدمة في غلي الماء الكثير(١٦٦).

٩-الأصوات الحلقية:

هي تلك الصوامت التي يتم إنتاجها عن طريق تقريب جذر اللسان من الجدار الخلفي للحلق بصورة تسمح بمرور الهواء مع حدوث احتكاك والأصوات التي ينطبق عليها هذا الوصف في العربية الفصحى صوتان هما: الحاء والعين ويتكونان على النحو الآتي:

الحاء:

يحدث احتكاك هذا الصوت في الفراغ الحلقي أعلى الحنجرة إذ يضيق المجرى الهوائي في هذا الموضع بحيث يحدث مروره احتكاكًا، ويرفع الحنك اللين فيخرج الهواء من الفم ولا يتذبذب معه الوتران الصوتيان.

فالحاء: صامت حلقي احتكاكي مهموس مرقق.

وشذّ صوت هذا الحرف عن الحروف الحلْقية جميعاً، بأن تحولت اهتزازاته الصوتية الواهية المضمرة إلى حفيف وصحل. وإخراج صوت الحاء من على صفحات الأنسجة الحلْقية دون اهتزاز أو اضطراب، يتطلب مهارة عفوية فائقة في التحكم بخلايا هذه الأنسجة الحساسة لمنع النفَس من الاهتزاز والاضطراب لحظة احتكاكه بها، فيخرج مع هذا التحكُّم الدقيق بما يشبه الحفيف. ولذلك يستحيل على غير السامي العربي أن يلفظ صوت الحاء لفظاً معافى. فهو إما أن يلفظه مشوباً بهاء مخففة، وإمّا بهمزة مفخمة، أو خاء صريحة. ولهذا السبب من الصعوبة الفائقة في النطق بصوته، لم تستطع الشعوب الأوروبية أن تأخذه عن الأبجدية الفينيقية خلال الألف الثانية قبل الميلاد. كما أن

الشعوب الإسلامية الشرقية لا تزال تلفظه في تلاوة القرآن الكريم مفخماً مجعجعاً به قليلاً، وكأنه يخرج من جوف الفم لا من جوف الحلْق(١٦٧).

و يدلُّ حرف «الحاء» على السعة والانبساط كما في الكلمات: البراح، الرحرح، والأبطح(١٦٨)، يدلُّ على التماسك البالغ وبالأخص في الخفيات ويدل على المائية(١٦٩) ويقول العقاد: إن «الحاء» حقًّا من الحروف التي تصور معنى السعة بلفظها ووقعها في السمع، ولكن على حسب موضعها من الكلمة، ومصاحبة ذلك الموضع للدلالة الصوتية، وليست دلالتها هذه مصاحبة للفظها حيث كانت في أوائل الكلمات أو أواسطها. فالحكاية الصوتية واضحة في الدلالة على السعة حين يلفظ الفم بكلمات الارتياح والسماح والفلاح والنجاح والفصاحة والسجاحة والفرح والمرح والصفح والفتح والتسبيح والترويح وما جرى مجراها في دلالة نطقه. ولا يمتنع مع هذا أن تكون الحاء المنفردة حرفًا سهلا قليل الحاجة إلى الضغط في مخارج الصوت(١٧٠).

ويقال إن حرف «الحاء «مأخوذ من لفظ الحس الذي يحتوي الشيء المحسوس، ومن أبرز صفاتها الاحتكاك الحادث في الحلق عند النحنحة... وهي من الحروف الأصول الموجودة في: الحب -الحد - الحج - الحش - الحق - الحك - الحر -الحل (١٧١)، الصوت الغِنائي الذي يتصف بخصائص صوت الحاء هو أغنى الأصوات عاطفة وأكثرها حرارة، وأقدرها على التعبير عن خلجات القلب ورعشاته. ليتحول مثل هذا الصوت مع البحّة الحائية في طبقاته العليا، إلى ذوب من الأحاسيس وعُصارة من عواطف الحب والحنين والأشواق(١٧٢).

العين:

هو النظير المجهور للحاء، فمخرجهما واحد ولا فريق بينهما إلا في أن الحاء صوت مهموس والعين صوت مجهور حيث تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به.

وصوت العين، يتشكل بتضيُّق مخرجه في أول الحلْق على شكل حلقة ملساء، ومن ثم بتجميع ذبذبات النفس في بؤرة هذه الحلقة. وهكذا لا بد لصوته النقي الناصع أن

يوحي بالفعالية والإشراق والظهور والسمو، على العكس مما يوحيه صوت الغين المخرب المحكوك ... وهذا الصوت من حيث صفاؤه ونقاؤه يمت بقرابة مماثلة إلى حرف الصاد، ومن حيث فخامته فهو غير بعيد في قرابته عن حرف الضاد. أما من حيث توتره الصوتي، فهو ألصق طبيعة بحرف الزاي شدة وفعالية . ليبدو صوت العين بذلك وكأنه مزيج من خصائص أصوات هذه الحروف كلها. من متانة اللام وتماسكه، وصفاء الصاد وصقله، ونقاء النون وأناقته، ومن فخامة الضاد، وفعالية الزاي، ومرونة الألف والواو والياء.

وهكذا كان حرف العين أكثر الحروف أرستقراطية، قد جمع إلى نفسه خلاصة ما في خيار أصوات الحروف العربية من خصائص ومعان. وذلك على مثال ما في معدن الذهب من الأرستقراطية. له من الفضة أنصع ما فيها من صفاء وصقل ورنين، وله من النحاس أنقى ما فيه من صفرة، لا يجاريه في ثقله النوعي معدن، وهو إذا ما رقق في أسلاك، كان في ليونته ومرونته كخيط من حرير(١٧٣).

وحرف العين في تعامله مع الحروف، إما أن يشّدها إلى تحقيق خصائصه الذاتية، من الفعالية والقوة والصفاء والفخامة والسمو، وإما أن ينساق معها للتعبير عن مختلف خصائصها الحسية والشعورية، وإن تناقضت أصلاً مع خصائصه. ولكن ليضفي على معاني الألفاظ التي يشارك في تراكيبها في الأعم الأغلب، كثيراً من الفعالية والعيانية والظهور.

- فالعشق هو الظاهر من الحب الخفي.
- والعذاب هو الظاهر من الألم الدفين.
- والعبودية هي الظاهر من الطاعة والتبعية(١٧٤).
- والعداوة هي الظاهر من الحقد الدفين.

ويدلُّ حرف «العين» على الخلو الباطن أو على الخلو مطلقًا(١٧٥)، ويعبِّر عن رخاوة جرم ملتحم (اتساعا وامتدادا)(١٧٦).

١٠-الأصوات الحنجرية:

يتم في هذا المخرج إنتاج صامتين هما: الهمزة والهاء ويتكونان على النحو الآتي:

الهمزة:

يحدث هذا الصوت بأن تسد الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين، وذلك بانطباق الوترين انطباقًا تامًا فلا يسمح للهواء بالنفاذ من الحنجرة، يضغط الهواء فيما دون الحنجرة، ثم ينفرج الوتران فينفذ الهواء فجأة محدثًا صوتًا انفجاريًا.

فالهمزة: صامت حنجري انفجاري لا هو بالمهموس ولا بالمجهور.

والقول بأن الهمزة صوت لا بالمهموس ولا بالمهجور هو الرأي الراجح إذ إن وضع الوتار الصوتية حال النطق بها لا يسمح بالقول بوجود ما يسمى بالجهر أو ما يسمى بالهمس[١٧٧].

ويدلُّ حرف «الهمزة» على الجوفية، وعلى ما هو وعاء للمعنى، ويدل على الصفة تصير طبعًا[١٧٨]، ويقال إن «الهمزة» ليس لها معنى لغوي مستقل بل يظهر معناها في غيرها، ومن أجل ذلك خففها الحجازيون بتسهيل نطقها أو حذفها تمامًا... ويؤكد حرف «الهمزة» معنى ما يصحبه من تركيب[١٧٩].

وصوت الهمزة في أول اللفظة يضاهي نتوءاً في الطبيعة.. وهو يأخذ في هذا الموقع صورة البروز كمن يقف فوق مكان مرتفع، فيلفت الانتباه كهاء التنبيه. ولكن بفرق انَّ الهاء شعورية والهمزة بصرية. والصورة البصرية تتصف بالحضور والوضوح والعيانية.

لذلك بدأت الضمائر المنفصلة للمتكلم والمخاطب بالهمزة: (أنا. أنت. أنتم. أنتن..) ولا أشدَّ حضوراً وعيانا منها. ولتبدأ الضمائر المنفصلة للغائب بالهاء: (:هو. هما. هم) لعدم الحضور... كما بدأت الألوان الطبيعية بالهمزة: أبيض. أسود. أحمر. أخضر... كما جُعلت الهمزة من حروف التعدية، إذ إنها تمنح الفعل اللازم (القاصر أصلا) مرتقى يسهل معه التعدي على الأسماء. فمن كَرُمَ الرجل أكرمه، ومن عُلِم وصَلُح أعلمه وأصلحه[١٨٠].

الهاء:

الهاء هو صوت النفس الخالص الذي لا يلقى مروره اعتراضًا في الفم، ولكن اندفاع الهواء يحدث نوعًا من الحفيف بمنطقة الأوتار الصوتية دون أن تحدث ذبذبة لهذه الأوتار، ويرتفع الحنك اللين ليسد المجرى الأنفي ويتخذ الفم عند النطق بالهاء وضعًا يشبه الوضع الذى يتخذه عند النطق بالحركات ولكن بالنسبة للهاء يحدث تضيق في الوترين الصوتيين إلى حد ما.

ويدلُّ حرف «الهاء» على التلاشي[١٨١]، ومن خصائص حرف «الهاء» الحمق، والغفلة، نحو: أله، وبله، وتفه، وشده...[١٨٢]، ويعبر عن فراغ الجوف أو إفراغ ما فيه بقوة[١٨٣].

إن صوت حرف الهاء باهتزازاته العميقة في باطن الحلق يوحي أول ما يوحي بالاضطرابات النفسية. وإذن لابد أن يكون الإنسان العربي قد اهتدى إلى صوت هذا الحرف للتعبير عفوياً عن اضطراب نفسي معين قد أصابه، أو أن يكون قد اقتبسه عن صوت إنسان كان اعتراه مثل هذا الاضطراب النفسي[١٨٤].

الخاتمة:

عرض هذا البحث لقضية القيمة الدلالية للحروف وتطوراتها من خلال تناول علماء اللغة والمفكرين لهذه القضية بداية من أقدم إشارة لها في كتب القدماء حتى العصر الحديث، ومن أجل ذلك جاء هذا البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة: المبحث الأول: دلالة الحروف عند القدماء. والمبحث الثاني: دلالة الحروف عند المحدثين. والمبحث الثالث: وصف تكوين الحروف العربية وبيان قيمها الدلالية.

وفي ختام بحثنا نقول، بناء على ما ورد في النصوص المحفوظة، وما أسفرت عنه الاستقصاءات البحثية: إن للحروف دلالة صوتية طبيعية تمنحها قيمة تعبيرية، فكل حرف في اللغة له قيمة دلالية، تظهر من خلال الدور الذي يؤديه داخل الكلمة، ويمكن إدراك ذلك عن طريق التبديل، أو الحذف، أو الزيادة، حيث يؤدي أي إجراء من هذه الإجراءات الثلاثة إلى حدوث تغير في دلالات الكلمات. وأن الحرف يستمد قيمته الدلالية عن طريق رافدين: الأول: أن الحرف يكتسب دلالته من المخرج الذي يحدده، والصفات التي تميزه، والآخر: أن الحرف قد يستمد العديد من المعاني بحسب موقعه في الكلمة، وما يتصاحب معه من حروف أخرى.

الهوامش

١-ينظر: سر صناعة الإعراب، ١/ ١٥

٢ -أسباب حُدوث الحَروف، ص. ١٠

٣ -الجاحظ: الحيوان، تح: عبد السلام هارون، ج ٠٣، ط ٠٣، دار إحياء التراث. ١٩٦٩، ص١٦٨

٤-

٥-انظر: الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: عبد الله درويش، ج١ ص٦٤-٦٥

٦-سيبويه: الكتاب، ص ١٧٣

٧-ابن جني: المنصف في شرح التصريف، تحقيق: إبراهيم مصطفى وزميله، القاهرة. ١٩٥٤، ص ٣٤٥

٨-مفتاح، محمد: تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص). ط ٣. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي. ١٩٩٢ ص ٣٤

٩-أنيس، إبراهيم: دلالة الألفاظ. ط ٧. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية. ١٩٩٣ . ص ٤٦

١٠-أنيس، إبراهيم: دلالة الألفاظ. ص ٤٧

١١ -أنيس، إبراهيم: دلالة الألفاظ. ص٦٣

١٢-مونين، جورج: تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين. ص ٩١

١٣-روبنز: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب. ص ٤١

١٤-الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد: العين. باب (الصاد والراء). ٧/ ٨٢،٨١

١٥-سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: كتاب سيبويه. ٥مج. تحقيق وشرح عبد السلام هارون. ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٩٩ . ٤/ ١٤و١٥

١٦-ابن جني، أبو الفتح عثمان: المنصف لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي البصري.. تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين. ط ١. القاهرة: البابي الحلبي. ١٩٦٠. ١/ ٢٩

١٧ -الخصائص-ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت ، ج: ٢، ص: ١٥٧.

١٨ -ابن جنى، أبو الفتح عثمان: المحتسب.٢/ ١٨

١٩-ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله: رسالة أسباب حدوث الحروف. ط ١. تحقيق: محمد حسان الطيان، ويحيى مير علم. دمشق: مجمع اللغة العربية. ١٩٨٣ ص ٩٣:٩٧

٢٠-ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله: الشفاء: المنطق، العبارة. تحقيق: محمود الخضيري. القاهرة: دار الكاتب العربي. ١٩٧٠ . ص١٨٠

٢١-السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين: المزهر في علوم اللغة وأنواعها. مجلدان. شرحه محمد أحمد جاد المولى بك وآخرين. ط ٣. بيروت: المكتبة العصرية.١٩٨٧. ص ١ / ٥٣

٢٢-سورة ق

٢٣-ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي: بدائع الفوائد: ١/ ١٧٦.

٢٤-ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي: التفسير القيم. تحقيق: محمد حامد الفقي. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٧٨. ص٢٠٥

٢٥-التفسير القيم. ص ٢٠٦

٢٦-ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق: إصلاح المنطق. تحقيق أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون. القاهرة: دار المعارف. ١٩٥٦. ص٣

٢٧-ينظر: الشدياق، أحمد فارس: الساق على الساق. تقديم نسيب وهيبة الخازن. بيروت: دار مكتبة الحياة. ١٩٧٠، ص٦٦،٦٥

٢٨ -العلايلي، عبد الله: مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد. ص٢١٠-٢١١

٢٩ -العقاد، عباس محمود: أشتات مجتمعات في اللغة والأدب.ص٣٦

٣٠-أشتات مجتمعات في اللغة والأدب. ص ٣٤

٣١-أشتات مجتمعات في اللغة والأدب. ص٣٦

٣٢-الصالح، صبحي دراسات في فقه اللغة. ط ٥. بيروت: دار العلم للملايين.١٩٧٣، ص١٤٣

٣٣-المبارك، محمد: فقه اللغة وخصائص العربية دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد. ط ٧. بيروت: دار الفكر. ١٩٨١، ص٢٦١

٣٤-الأرسوزي، زكى: العبقرية العربية في لسانها. دمشق: مطبعة الحياة. (د. ت). ص٥

٣٥-العبقرية العربية في لسانها. ص٤٧

٣٦-السابق

٣٧-أنيس، إبراهيم: من أسرار اللغة. ط ٥. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.١٩٧٥، ص ١٤٤

٣٨-ينظر: أنيس، إبراهيم: دلالة الألفاظ. ص ٦٦

٣٩-ينظر: حسان، تمام: اللغة العربية؛ معناها ومبناها. ص ٣١٨

٤٠-الراجحي، عبده: فقه اللغة في الكتب العربية. بيروت: دار النهضة العربية.١٩٧٩، ص ٦٩

٤١-عبد التواب، رمضان: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. ص ١١٤

٤٢-حجازي، محمود فهمي: مدخل إلى علم اللغة. ص ١١

٤٣-ياكبسون، رومان: قضايا الشعرية. ترجمة محمد المولى، ومبارك حنون. ط ١. الدار البيضاء: دار توبقال. ١٩٨٨، ص ٥٤

٤٤-اللغة نصوص مختارة. ترجمة محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي. ط ٢. الدار البيضاء: دار توبقال. ١٩٩٨ . ص٣٨

٤٥-علم اللغة العام، فردينان دي سوسير ترجمة يوئيل يوسف عزيز، بغداد، ١٩٨٥، ص٨٧-٨٨

٤٦-أولمان، ستيفن: دور الكلمة في اللغة. ص ٧٣

٤٧-ابن الجزري: النشر في القراءات العشر. تحقيق: علي محمد الضباع. المطبعة التجارية الكبرى. ج١-ص٢١٤.

٤٨-علم اللغة العام: الأصوات ١٠١.

٤٩-ينظر: العلايلي، عبد الله: مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد. ص٢١٠-٢١١

٥٠-ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله: رسالة أسباب حدوث الحروف. ط ١. تحقيق: محمد حسان الطيان، ويحيى مير علم. دمشق: مجمع اللغة العربية. ١٩٨٣ص ٩٣:٩٧

٥١-ينظر: جبل، محمد حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م، ص٤٠.

٥٢-الأرسوزى، زكى: العبقرية العربية في لسانها. دمشق: مطبعة الحياة. (د. ت). ص٤٨

٥٣-حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص ١٠١

٥٤-ينظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص.٢/ ١٦٣

٥٥-خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص ٧٢

٥٦-السابق: ص ٧٦

٥٧-ينظر: الشدياق، أحمد فارس: الساق على الساق. تقديم نسيب وهيبة الخازن. بيروت: دار مكتبة الحياة. ١٩٧٠، ص٦٦،٦٥

٥٨-ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد.ص٢١٠-٢١١

٥٩-المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ص٤١

٦٠-العقاد، عباس محمود: أشتات مجتمعات في اللغة والأدب. ص٣٥

٦١-رسالة أسباب حدوث الحروف، ص٩٣

٦٢-ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد.ص٢١٠-٢١١

٦٣-العقاد، عباس محمود: أشتات مجتمعات في اللغة والأدب. ص٤٥

٦٤-المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ص٣٤
٦٥-خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص١٣١
٦٦-ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد.ص٢١٠-٢١١
٦٧-خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص٦٢
٦٨-المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ص٤٠
٦٩-ينظر: الأمير أمين آل ناصر الدين، دقائق العربية، ط٣ بيروت ١٩٨٦م ، ص١٧
٧٠-ينظر: ثلاثة كتب في الحروف، ص٣٥
٧١-ينظر: طرائف من روائع الأدب، أحمد تيمور، ص٢٣٦وما بعدها
٧٢-ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد.ص٢١٠-٢١١
٧٣-دقائق العربية، ص١٧
٧٤-المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ص٤٠
٧٥-خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص٦٤
٧٦-مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد.ص٢١٠-٢١١
٧٧-المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ص٤١
٧٨-خصا ئص الحروف العربية ومعانيها، ص١٢٢
٧٩-مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد.ص٢١٠-٢١١
٨٠-المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ص٤٠
٨١-دقائق العربية، ص١٧
٨٢-رسالة أسباب حدوث الحروف، ص٩٣ وما بعدها
٨٣-أحمد زرقه، اسرار الحروف ص١٢٧
٨٤-ينظر: طرائف من روائع، أحمد تيمور، ص٢٣٦وما بعدها
٨٥-مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد.ص٢١٠-٢١١
٨٦-المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ص٤٠
٨٧-الخليل بن أحمد، كتاب الحروف تحقيق رمضان عبد التواب، القاهرة١٩٦٩، ص٢٩

٨٨-الألفاظ اللغوية وخصائصها وأنواعها، عبد الحميد حسن،١٩٧١ ص٤٢

٨٩ دقائق العربية، ص١٧

٩٠الخصائص،٢/ ١٦٣

٩١-ينظر: رسالة أسباب حدوث الحروف، ص٩٣ وما بعدها

٩٢-المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، شرحه محمد أحمد جاد المولى وآخرين. ط ٣. بيروت: المكتبة العصرية.١٩٨٧. ص ١ / ٥٣

٩٣-ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد.ص٢١٠-٢١١

٩٤-المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ص٤٠

٩٥-دقائق العربية، ص١٧

٩٦-خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص١١٩

٩٧-خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص١٢٠

٩٨-مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد.ص٢١٠-٢١١

٩٩-ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ص٣١ و٤٠

١٠٠ -ينظر: أسرار الحروف، ص ١٢٨

١٠١-خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص١٥٤

١٠٢ -المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها٢/ ٥٥

١٠٣-ينظر: رسالة أسباب حدوث الحروف، ص٩٣ وما بعدها

١٠٤ -ينظر: أسرار الحروف، ص ١٢٨

١٠٥ -أشتات مجتمعات في اللغة والأدب. ص ٣٥

١٠٦-العبقرية العربية في لسانها، ص٤٨

١٠٧-ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد.ص٢١٠-٢١١

١٠٨ -خصائص الحروف العربية ومعانيها: ص١١٠.

١٠٩-المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ص٣٠

١١٠-فقه اللغة، محمد المبارك، ص١٠١

١١١ -ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد.ص٢١٠-٢١١

١١٢ -المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ص٢٩

١١٣ -خصائص الحروف العربية ومعانيها: ص١٣٨

١١٤-الخصائص٢/ ١٥٧.

١١٥-أسرار الحروف ص٥٨

١١٦-خصائص الحروف العربية ومعانيها: ص١٤٩.

١١٧-أسرار الحروف ص٥٨

١١٨-ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد.ص٢١٠-٢١١

١١٩-المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ص٣١، ٤٠

١٢٠-المدخل إلى علم اللغة ٤٨.

١٢١-علم اللغة العام: الأصوات ١٢٩.

١٢٢-ينظر: رسالة أسباب حدوث الحروف، ص٩٣ وما بعدها

١٢٣-ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها: ص٨٤

١٢٤-ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد.ص٢١٠-٢١١

١٢٥-المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ص٢٩، ٤٠

١٢٦-فقه اللغة، محمد المبارك، ص١٠١

١٢٧-ينظر: أسرار الحروف، ص ١٢٨

١٢٨-ينظر: رسالة أسباب حدوث الحروف، ص٩٣ وما بعدها

١٢٩-ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد.ص٢١٠-٢١١

١٣٠-المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ص٤١

١٣١-ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها: ص٧٩

١٣٢-المدخل إلى علم اللغة ٤٩

١٣٣-ينظر: أسرار الحروف، ص٥٨، ١٢٨

١٣٤-ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها: ص١٥٩

١٣٥-ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد.ص٢١٠-٢١١

١٣٦-العبقرية العربية في لسانها، ص٤٨

١٣٧-المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ص٣٧

١٣٨ الألفاظ اللغوية وخصائصها وأنواعها، عبد الحميد حسن،١٩٧١ ص٤٢

١٣٩-ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها: ص١٥٩

١٤٠-انظر: علم الأصوات اللغوية ٥٣.

١٤١-علم اللغة العام: الأصوات ١٣١.

١٤٢-ينظر: أسرار الحروف، ص ١٢٦

١٤٣-ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد.ص٢١٠-٢١١

١٤٤-المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ص٣٠

١٤٥-خصائص الحروف العربية ومعانيها: ص١١٤

١٤٦-ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد.ص٢١٠-٢١١

١٤٧-المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ص٢٧

١٤٨-خصائص الحروف العربية ومعانيها: ص١٠٤، ١٠٥

١٤٩-ينظر: رسالة أسباب حدوث الحروف، ص٩٣ وما بعدها

١٥٠-ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد.ص٢١٠-٢١١

١٥١-المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ص٤١

١٥٢-خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص ٦٩، ٧٠

١٥٣-ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد.ص٢١٠-٢١١

١٥٤-العبقرية العربية في لسانها، ص٤٨

١٥٥-خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص ١٢٥

١٥٦-المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ص٤١

١٥٧-ينظر: رسالة أسباب حدوث الحروف، ص٩٣ وما بعدها

١٥٨ ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد.ص٢١٠-٢١١

١٥٩-المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ص٤٠
١٦٠-خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص ١٧٣
١٦١-ينظر: رسالة أسباب حدوث الحروف، ص٩٣ وما بعدها
١٦٢-ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد.ص٢١٠-٢١١
١٦٣-فقه اللغة، محمد المبارك، ص١٠٢
١٦٤-المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ص٣٥
١٦٥-ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص ١٤٣
١٦٦-ينظر: أسرار الحروف، ص ١٢٥
١٦٧-خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص ١٨٠
١٦٨-ينظر: الساق على الساق، الشدياق، أحمد فارس ص٦٦،٦٥
١٦٩-ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد.ص٢١٠-٢١١
١٧٠-أشتات مجتمعات في اللغة والأدب. ص ٣٤
١٧١-ينظر: أسرار الحروف، ص ١٢٤ و١٢٥
١٧٢-خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص ١٨١
١٧٣-خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص ٢١٠
١٧٤-خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص ٢١١
١٧٥-ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد.ص٢١٠-٢١١
١٧٦-المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ص٣٣
(١٧٧) علم اللغة العام: الأصوات ١١٢.
١٧٨-ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد.ص٢١٠-٢١١
١٧٩-المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ص٢٦ و٤٠
١٨٠-خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص ٩٤ و٩٥
١٨١-ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد.ص٢١٠-٢١١
١٨٢-الساق على الساق ص٦٦،٦٥

١٨٣-المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ص٣٧
١٨٤-خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص ١٩٠

المصادر والمراجع:

- أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، عباس محمود العقاد، ط ٤. مصر: دار المعارف. ١٩٧٠م
- إصلاح المنطق، ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق: تحقيق أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون. القاهرة: دار المعارف. ١٩٥٦.
- أصول اللغة العربية، أسرار الحروف، أحمد زرقة، ط١، دمشق، ١٩٩٣م
- الألفاظ اللغوية وخصائصها وأنواعها، عبد الحميد حسن،١٩٧١م
- بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي، ط ١. بيروت: دار الكتاب العربي. ١٩٥٠م
- تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، جورج مونين، ترجمة بدر الدين القاسم، دمشق: وزارة التعليم العالي. ١٩٧٢م
- التفسير القيم، قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي: تحقيق: محمد حامد الفقي. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٧٨م
- تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)، محمد مفتاح، ط ٣. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي. ١٩٩٢ م
- ثلاثة كتب في الحروف، للخليل بن أحمد، وابن السكيت، الرازي، تحقيق: رمضان عبد التواب، ط١، القاهرة، الرياض، ١٩٨٢
- الحيوان، الجاحظ: تحقيق: عبد السلام هارون، ج ٠٣، ط ٠٣، دار إحياء التراث
- الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار القاهرة ١٩٨٦ م
- خصا ئص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس، دمشق: اتحاد الكتاب العرب. ١٩٩٨
- دراسات في فقه اللغة، د/ صبحي الصالح جامعة دمشق ١٩٦٠م

- دقائق العربية، الأمير أمين آل ناصر الدين، ط٣ بيروت ١٩٨٦م
- دلالة الألفاظ، د/ إبراهيم أنيس القاهرة ١٩٩١ م
- دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة كمال بشر. ط ١٢. القاهرة: دار غريب. ١٩٩٧م
- رسالة أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله: ط ١. تحقيق: محمد حسان الطيان، ويحيى مير علم، مجمع اللغة العربية، دمشق١٩٨٣م
- الساق على الساق، أحمد فارس الشدياق، تقديم نسيب وهيبة الخازن. بيروت: دار مكتبة الحياة. ١٩٧٠م
- سر صناعة الإعراب، ابن جني، تحقيق حسن هنداوي دمشق ١٩٨٥م
- الشفاء: المنطق، العبارة، ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله: تحقيق: محمود الخضيري. القاهرة، ١٩٧٠م
- طرائف من روائع الأدب، أحمد تيمور
- العبقرية العربية في لسانها، زكي الأرسوزي، دمشق: مطبعة الحياة. (د. ت).
- علم الأصوات اللغوية، عصام نور الدين دار الفكر اللبناني بيروت -ط١ -١٩٩٢م
- علم اللغة العام، فردينان دي سوسير ترجمة يوئيل يوسف عزيز، بغداد، ١٩٨٥م
- علم اللغة العام: الأصوات، كمال بشر، القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٨٧م
- فقه اللغة في الكتب العربية، عبده الراجحي. بيروت: دار النهضة العربية.١٩٧٩،
- فقه اللغة وخصائص العربية دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، محمد المبارك، ط ٧. بيروت: دار الفكر. ١٩٨١م
- قضايا الشعرية، رومان ياكبسون، ترجمة محمد المولى، ومبارك حنون. ط ١. الدار البيضاء: دار توبقال. ١٩٨٨
- كتاب الحروف، الخليل بن أحمد، تحقيق رمضان عبد التواب، القاهرة ١٩٦٩
- كتاب سيبويه، سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر،تحقيق وشرح عبد السلام هارون. ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٩٩م

- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ج١ تحقيق د/ عبد الله درويش بغداد ١٩٨٥م
- اللغة العربية؛ معناها ومبناها، تمام حسان، الدار البيضاء: دار الثقافة. ١٩٩٤
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جنى، أبو الفتح عثمان، تحقيق علي النجدي ناصف، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي. ط ٢. القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٦م
- مدخل إلى علم اللغة، محمود فهمي حجازي، ط ٢. القاهرة، دار الثقافة، ١٩٨١م
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، القاهرة: مكتبة الخانجي. ١٩٨٢م
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، شرحه محمد أحمد جاد المولى وآخرين. ط ٣. بيروت: المكتبة العصرية.١٩٨٧.
- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، محمد حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م
- مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد، عبد الله العلايلي، المطبعة العصرية، (د. ت).
- المنصف لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي البصري، ابن جني، أبو الفتح عثمان، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين. ط ١. القاهرة: البابي الحلبي. ١٩٦٠
- من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ط ٥. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.١٩٧٥م
- موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، روبنز، ترجمة: أحمد عوض، عالم المعرفة. الكويت،١٩٩٧
- ابن الجزري: النشر في القراءات العشر. تحقيق: علي محمد الضباع. المطبعة التجارية الكبرى.
- اللغة نصوص مختارة، بنفست، إميل: ترجمة محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي. ط ٢. الدار البيضاء: دار توبقال. ١٩٩٨ .

خصائص الحروف العربية
الكتابية والإيمائية والإيحائية

د. مختار عبد الخالق عبد اللاه عطية
أستاذ المناهج وطرق تدريس اللغة العربية –معهد اللغويات العربية –جامعة الملك سعود

ملخص الدراسة:

هدفت الدراسة الحالية إلى تحديد خصائص الحروف العربية بشيء من الإيجاز، وقد اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي في دراسته، وكشفت الدراسة عن بعض النتائج أهمها: وجود خصائص كتابية لكل حرف من الحروف العربية على حدة وخصائص كتابية للحروف العربية مجتمعة، ووجود خصائص إيمائية للحروف العربية، حيث إن كل حرف من هذه الحروف يشير إلى مدلول معين، كما أظهرت النتائج وجود خصائص إيحائية للحروف العربية تتعلق بالدلالات اللمسية والذوقية والبصرية والسمعية والشعورية والشمية، وقد قدمت الدراسة بعض التوصيات من أهمها: تدريس خصائص الحروف العربية لطلاب اللغة العربية بالجامعات والمعاهد العلمية بالمملكة العربية السعودية، وعدم اقتصار دراستها على المتخصصين في مجال علم اللغة، وإنشاء مدونة حاسوبية خاصة بالحروف العربية؛ تسهل على الدارسين والمتخصصين والباحثين عمليات البحث عن مخارج الحروف وخصائصها المختلفة دون عناء.

مقدمة:

اللغة رمز الإنسانية، وأداة التواصل بين البشر، ووسيلة التعبير والتفكير، وهي تؤدى دوراً رئيساً في حياة الفرد والمجتمع على السواء، فعن طريقها تنمو شخصية الفرد الاجتماعية، ويتفاعل مع بيئته ومجتمعه، كما أنها أداة المجتمع في حفظ تراثه وثقافته، فالفرد باللغة يحقق ذاته، والمجتمع يحقق كيانه.

واللغة العربية من اللغات العريقة التي كانت ولا تزال موضع عناية العلماء والباحثين واهتمامهم على مر الأزمنة والعصور؛ دراسة وبحثاً وتعليماً وتعلماً، ولا ريب في ذلك فهي لغة القرآن الكريم، وركيزة الدين الإسلامي، وعماد الهوية الثقافية لأبناء الوطن، وذاكرة الأمة وعنوان حضارتها.

وتحظى دراسة خصائص اللغة العربية وصفاتها باهتمام كبير لدى الدارسين والباحثين سواء على المستوى الأكاديمي المتعلق بالظواهر اللغوية، أو على المستوى التربوي المتعلق بأساليب تعليم اللغة وطرائق تدريسها، ولعل من الموضوعات التي تنال اهتمام الباحثين على جميع المستويات هو موضوع الحروف العربية.

ويعد الحرف من العناصر الأساسية في تأليف البنية اللغوية مفردة كانت أم جملة وهو العنصر الأصغر في هذا البناء فكل تركيب يتكون من عدة بنيات مفردة متباينة الحروف والأصوات، مرتبطة مع بعضها في سياق خاص لأداء معنى عام ومحور هذا الربط لأوصال التركيب هو الحرف (زكية، ٢٠١٢).

وعلم الحروف والأعداد مبدأ فعالية النفس، ومحل بروز المواهب البشرية الفطرية لمن تعلمه واستوعبه وأتقن تطبيقه. وهو من أعلى العلوم وأسماها، فالإنسان لا يستطيع الاستغناء عن هذا العلم بأي حال من الأحوال، فهو أساس لمعرفة جميع العلوم، والحروف مظهرة وكاشفة للمقاصد ولفهم معاني الكتب السماوية؛ لا سيما القرآن الكريم متوقف على معرفة الحروف وكذلك الأخبار الشريفة (بو صخر، ٢٠٠٣).

إن الحروف العربية إذا قيست بغيرها لم نجد لها نظيراً بين حروف الأبجديات على تعددها وكثرة التحسينات التي أدخلت عليها. وهناك باب تتميز به اللغة العربية، وتزداد ثراء عن أي لغة قد تكون فيها لمحة من هذا الباب العجيب من أسرار اللغة العربية

وذوقها وطرائف تركيباتها، ألا وهو أن الحروف لها علاقة بدلالات الكلمات. يقول الأستاذ العقاد: فحرف الفاء هو نقيض حرف العين بدلالته على الإبانة والوضوح؛ (فتح، فضح، فرح، فلق، فجر، فسر)، وحرف الضاد خص بالشؤم يسم جبين كل لفظة بمكرهة، لا يكاد يسلم منها اسم أو فعل؛ (ضجر، ضر، ضير، ضجيج، ضوضاء، ضياع، ضلال، ضنك، ضنى، ضوى، ضراوة، ضيزى). ولا نعرف بين اللغات الكبرى لغة أصلح من لغتنا العربية لهذا الباب من أبواب الدراسات اللغوية؛ لأن مخارج حروفها مستوفاة متميزة؛ خلافاً لأكثر اللغات التي تعوزها الحروف الحلقية أو تلتبس فيها مخارج حروف الهجاء (آل إبراهيم، ٢٠١٣).

ولقد اهتمت الدراسات اللغوية بالحرف العربي عبر أجيال متعاقبة، وقد تناولت بعض هذه الدراسات الحروف العربية من حيث أصواتها وتناولت دراسات أخرى رسم هذه الحروف، كما تناولت دراسات أخرى الربط بين تطور رسم الحروف العربية ونطقها عبر التاريخ، إلا أن الدراسات التي أفردت لبحث خصائص الحروف العربية مجتمعة من حيث الخصائص الكتابية والخصائص الإيمائية والإيحائية تعد قليلة بل نادرة الوجود.

لذا فإن الدراسة الحالية تحاول أن تلقي الضوء على خصائص الحروف العربية الكتابية والإيمائية والإيحائية، وسوف يتم عرض هذه الخصائص باختصار وإيجاز دونما تفصيل أو تعديد للآراء؛ وذلك حتى لا يتم تشتيت القارئ أو الغوص به في متاهات الاختلاف بين آراء القدماء والمحدثين.

مشكلة الدراسة:

لاحظ الباحث من خلال عمله في معهد اللغويات العربية بصفة خاصة، ومن خلال عمله الأكاديمي في جامعة الملك سعود بصفة عامة أن كثيراً من الطلاب بل والأساتذة أيضاً يخلطون ما بين صفات الحروف العربية المتعلقة بالكتابة من ناحية، وبين صفاتها المتعلقة بالإيماءات من ناحية ثانية وبين صفاتها المتعلقة بالإيحاءات من ناحية ثالثة.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إنه باستقصاء الدراسات السابقة والفكر اللغوي، تبين أيضاً أن كثيراً من هذه الدراسات أكدت على خلط الباحثين بين خصائص الحروف

وعدم تصنيفها بالشكل الصحيح.

وقد قام الباحث بإجراء بعض المقابلات الشخصية مع عدد (١٠) من أعضاء هيئة التدريس والهيئة المعاونة بمعهد اللغويات العربية، وعدد (٢٠) طالباً من طلاب الدراسات العليا من أقسام المعهد المختلفة، وتم سؤالهم حول أهم خصائص الحروف العربية، وقد أوضحت نتائج هذه المقابلات خلطاً واضحاً ما بين صفات الحروف كتابياً وإيمائياً وإيحائياً.

في ضوء ما سبق، فقد أصبحت الحاجة ماسة لإجراء دراسة علمية لاستجلاء خصائص هذه الحروف، وتصنيف هذه الخصائص تصنيفاً علمياً دقيقاً.

أسئلة الدراسة:

تحددت أسئلة الدراسة في السؤال الرئيس الآتي:

ما خصائص الحروف العربية الكتابية والإيمائية والإيحائية؟

وتفرع من هذا السؤال الأسئلة الفرعية الآتية:

١-ما الخصائص الكتابية للحروف العربية؟

٢-ما الخصائص الإيمائية للحروف العربية؟

٣-ما الخصائص الإيحائية للحروف العربية؟

أهداف الدراسة:

- تحديد الخصائص الكتابية للحروف العربية.
- تحديد الخصائص الإيمائية للحروف العربية.
- تحديد الخصائص الإيحائية للحروف العربية.

أهمية الدراسة:

تنبثق أهمية الدراسة الحالية من أنها يمكن أن تسهم في:

• توجيه أنظار الباحثين في ميدان علم اللغة إلى هذا المجال البحثي المهم الذي يغفل عنه كثير منهم إما لقلة المراجع فيه، أو للصعوبة النسبية لهذا المجال.

• إمداد الدارسين بدراسة موجزة ومركزة حول خصائص الحروف العربية.

• إتاحة الفرصة للراغبين في تعرف خصائص حروف لغتهم العربية من غير المتخصصين في الحصول على معرفة مبسطة حول هذه الحروف.

• مواكبة طبيعة العصر الحديث الذي اتصف فيه الباحثون بالرغبة في الحصول على معلومات مركزة دون إسهاب في القراءة.

• فتح آفاق بحثية جديدة لدى الدارسين والباحثين تتعلق بخصائص أخرى للحروف العربية.

منهج الدراسة:

تبعاً لطبيعة الدراسة الحالية وأهدافها، فقد اتبعت الدراسة الحالية المنهج الوصفي التحليلي لجمع البيانات والمعلومات حول خصائص الحروف العربية، ثم تحليل هذه البيانات والمعلومات وتصنيفها ومناقشتها.

الإطار النظري والدراسات السابقة

أولاً: الإطار النظري

مفهوم الحرف العربي:

الحرف لغة: «حرف كل شيء طرفه وشفيره وحَده...حرف الشيء: ناحيته، وفلان على حرف من أمره أي ناحية منه».

الحرف اصطلاحا: يقول ابن جني: «الحرف حد مُنْقَطَعِ الصوت وغايته وطرَفه».

وقد أطلق الخليل بن أحمد (ت١٧٥) في كتاب العين مصطلح الحرف على الحرف الهجائي، وعلى الكلمة.

وذكر سيبويه في الكتاب أن: الكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل.

وأضاف أبو علي الفارس أن الحرف هو ما جاء لمعنى في غيره (السنافي، ١٩٧٧).

وذكر الجرجاني أن الحرف هو ما دل على معنى في غيره والحرف الأصلي ما ثبت في تصاريف الكلمة لفظا وتقديرا، والحرف الزائد ما سقط في بعض تصاريف الكلمة، وحرف الجر ما وضع لإفضاء الفعل أو معناه إلى ما يليه نحو مررت بزيد، وأنا مار بزيد (الكفوي، ١٩٩٣).

مخارج الحروف العربية وخصائصها الصوتية:

يجدر بنا قبل التطرق إلى الخصائص الكتابية والإيمائية والإيحائية للحروف العربية أن نعرض بتركيز وإيجاز لمخارج الحروف العربية وخصائصها الصوتية حتى تكتمل الفائدة للقارئ.

والجداول الثلاثة الآتية تعرض باختصار مخارج الحروف العربية وأهم خصائصها الصوتية.

جدول (١) الخصائص الصوتية للحروف العربية، ومعانيها

م	الصفة	تعريفها	الحروف التي تتصف بها
١	الهمس	انفراج الوترين الصوتيين حال النطق بالصوت.	فحثه شخص سكت
٢	الجهر	تذبذب الأوتار الصوتية حال النطق بالصوت.	بقية الحروف (غير حروف الهمس)
٣	الشدة	انحباس جري الصوت عند النطق بالحرف لكمال الاعتماد على المخرج.	أجد قط بكت
٤	التوسط	اعتدال الصوت عند النطق بالحرف لعدم كمال انحباسه كما في الشدة، وعدم كما جريانه كما في الرخاوة.	لن عمر

م	الصفة	تعريفها	الحروف التي تتصف بها
٥	الرخاوة	جريان الصوت مع الحرف لضعف الاعتماد على المخرج.	بقية الحروف (غير حروف التوسط والشدة)
٦	الاستعلاء	ارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى عند النطق بالحرف.	خص ضغط قظ
٧	الاستفال	انخفاض اللسان عن الحنك الأعلى إلى قاع الفم.	بقية الحروف (غير حروف الاستعلاء).
٨	الإطباق	تلاصق ما يحاذي اللسان من الحنك الأعلى على اللسان.	ص –ض – ط –ظ
٩	الانفتاح	تجافي كل من طائفتي اللسان والحنك الأعلى عن الأخرى حتى يخرج النفس.	بقية الحروف (غير حروف الإطباق).
١٠	المد واللين	امتداد الصوت وخروج الحرف في لين وعدم كلفة.	ا – و –ي
١١	الصفير	حدة الصوت.	ز–س–ص
١٢	التفشي	انتشار خروج الريح وانبساطه.	ش (ث على خلاف)
١٣	الاستطالة	امتداد الصوت من أول إحدى حافتي اللسان إلى آخرها.	ض
١٤	التكرير	تضعيف يوجد في جسم الراء لارتعاد طرف اللسان بها.	ر
١٥	الانحراف	خروج من صفة إلى أخرى.	ل –ر
١٦	الغنة	الصوت الزائد المنبعث عن الخيشوم.	م –ن

م	الصفة	تعريفها	الحروف التي تتصف بها
١٧	القلقلة	اضطراب المخرج عند النطق بالحرف ساكناً حتى يسمع له نبرة قوية.	قطب جد
١٨	النفخ	صوت حادث عند خروج حروفه لضغطه عن موضعه وهو دون القلقلة.	ز – ذ – ض –ظ

جدول(٢) الخصائص الصوتية (القوية والضعيفة) للحروف العربية ومجموع خصائص كل حرف

الصفات	أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص
الجهر	ا	ب			ج			د	ذ	ر	ز			
الشدة		ب	ت					د						
الاستعلاء							خ							ص
الإطباق														ص
الإصمات	ا		ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ		ز	س	ش	ص
الصفير											ز	س		ص
القلقلة		ب			ج			د						
الانحراف										ر				
التكرير										ر				
التفشي													ش	
الاستطالة														
الغنة														

الصفات	أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص
الهمس			ت	ث		ح	خ					س	ش	ص
الرخاوة	ا			ث		ح	خ		ذ		ز	س	ش	ص
الاستفال	ا	ب	ت	ث	ج	ح		د	ذ	ر	ز	س	ش	
الانفتاح	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	
الإذلاق		ب								ر				
اللين	ا													
التوسط										ر				
صفات قوية	٢	٣	٢	١	٤	١	٢	٤	٢	٣	٣	٢	٢	٤
صفات ضعيفة	٤	٣	٣	٤	٢	٤	٣	٢	٣	٤	٣	٤	٤	٢
المجموع	٦	٦	٥	٦	٦	٥	٥	٦	٥	٧	٦	٦	٦	٦

الصفات	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	و	ي	هـ	ء
الجهر	ض	ط	ظ	ع	غ		ق		ل	م	ن	و	ي		ء
الشدة		ط					ق	ك							
الاستعلاء	ض	ط	ظ		غ		ق								
الإطباق	ض	ط	ظ												
الإصمات	ض	ط	ظ	ع	غ		ق	ك				و	س	هـ	ء
الصفير															
القلقلة		ط					ق								

الصفات	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	و	ي	هـ	ء
الانحراف									ل						
التكرير															
التفشي															
الاستطالة	ض														
الغنة										م	ن				
الهمس						ف		ك						هـ	
الرخاوة	ض		ظ		غ	ف						و	ي	هـ	
الاستفال				ع	غ	ف		ك	ل	م	ن	و	ي	هـ	ء
الانفتاح				ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	و	ي	هـ	ء
الإذلاق						ف			ل	م	ن				
اللين												و	ي		
التوسط				ع					ل	م	ن				
صفات قوية	٥	٦	٤	٢	٣		٥	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٣
صفات ضعيفة	١	٠	١	٣	٣	٥	١	٣	٤	٤	٤	٤	٤	٤	٢
المجموع	٦	٦	٥	٥	٦	٥	٦	٥	٦	٦	٦	٦	٦	٦	٥

جدول (٣) مخارج الحروف العربية وخصائها الصوتية

المخرج العام	حروفه	المخرج الخاص	مسمى الحروف	عدد الصفات	الصفات القوية -الصفات الضعيفة -الصفات المتوسطة	الصفات التي لا ضد لها
الحلق ٣ مخارج خاصة لـ٦ أحرف	ء	أقصى الحلق (هو الأبعد عن الفم)	حروف حلقية وتسمى ع-ح المهملتان و خ-غ المعجمتان	٥	الجهر-الشدة-الاستفال-الانفتاح-الإصمات	
	هـ			٦	الهمس-الرخاوة-الاستفال-الانفتاح-الإصمات-الخفاء	الخفاء
	ع	وسط الحلق		٥	الجهر-التوسط-الاستفال-الانفتاح-الإصمات	
	ح			٥	الهمس-الرخاوة-الاستفال-الانفتاح-الإصمات	
	غ	أدنى الحلق (هو الأقرب إلى الفم)		٥	الجهر-الرخاوة-الاستعلاء-الانفتاح-الإصمات	

المخرج العام	حروفه	المخرج الخاص	مسمى الحروف	عدد الصفات	الصفات القوية -الصفات الضعيفة -الصفات المتوسطة	الصفات التي لا ضد لها
	خ			٥	الهمس-الرخاوة-الاستعلاء-الانفتاح-الإصمات	
اللسان ١٠ مخارج خاصة لـ١٨ حرف	ق	من أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك العلوي من المنطقة الرخوة (اللحمية)	حرف لهوي	٦	الجهر-الشدة-الاستعلاء-الانفتاح-الإصمات-القلقلة	القلقلة
	ك	من أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك العلوي من المنطقة القاسية (العظمية)	حرف لهوي	٥	الهمس-الشدة-الاستفال-الانفتاح-الإصمات	
	ج	من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك العلوي	حروف شجرية	٦	الجهر-الشدة-الاستفال-الانفتاح-الإصمات-القلقلة	القلقلة

المخرج العام	حروفه	المخرج الخاص	مسمى الحروف	عدد الصفات	الصفات القوية -الصفات الضعيفة -الصفات المتوسطة	الصفات التي لا ضد لها
	ش			٦	الهمس-الرخاوة-الاستفال-الانفتاح-الإصمات-التفشي	التفشي
	ي			٥	الجهر-الرخاوة-الاستفال-الانفتاح-الإصمات	
	ي اللين		حرف لين	٦	الجهر-الرخاوة-الاستفال-الانفتاح-الإصمات-اللين	اللين
	ض	من أقصى حافتي اللسان إلى أدناها أحدهما أو كليهما مع ما يحاذيها من صفحة الأضراس العليا	حرف مستطيل	٦	الجهر-الرخاوة-الاستعلاء-الإطباق-الإصمات-الاستطالة	الاستطالة

المخرج العام	حروفه	المخرج الخاص	مسمى الحروف	عدد الصفات	الصفات القوية -الصفات الضعيفة -الصفات المتوسطة	الصفات التي لا ضد لها
	ل	من أدنى حافتي اللسان إلى منتهاها مع ما يحاذيها من لثة الأسنان العليا (من لثة الضاحك إلى الضاحك)	حروف ذلقية	٦	الجهر-التوسط-الاستفال-الانفتاح-الإذلاق-الانحراف	الانحراف
	ن	من طرف اللسان مع ما يحاذيه من لثة الثنايا العليا بإلتصاق		٥	الجهر-التوسط-الاستفال-الانفتاح-الإذلاق-الغنة	الغنة
	ر	من طرف اللسان إلى جهة ظهره مع ما يحاذيه من لثة الثنايا العليا بإرتعاد		٧	الجهر-التوسط-الاستفال-الانفتاح-الإذلاق-الانحراف-التكرار	الانحراف-التكرار

المخرج العام	حروفه	المخرج الخاص	مسمى الحروف	عدد الصفات	الصفات القوية -الصفات الضعيفة -الصفات المتوسطة	الصفات التي لا ضد لها
	ط	من ظهر طرف اللسان مع ما يحاذيه من أصول الثنايا العليا	حروف نطعية	٦	الجهر-الشدة-الاستعلاء-الإطباق-الإصمات-القلقلة	القلقلة
	ت			٥	الهمس-الشدة-الاستفال-الانفتاح-الإصمات	
	د			٦	الجهر-الشدة-الاستفال-الانفتاح-الإصمات-القلقلة	القلقلة
	ث	من ظهر طرف اللسان مع رؤوس الثنايا العليا	حروف لثوية	٥	الهمس-الرخاوة-الاستفال-الانفتاح-الإصمات	
	ذ			٥	الجهر-الرخاوة-الاستفال-الانفتاح-الإصمات	
	ظ			٥	الجهر-الرخاوة-الاستعلاء-الإطباق-الإصمات	

المخرج العام	حروفه	المخرج الخاص	مسمى الحروف	عدد الصفات	الصفات القوية -الصفات الضعيفة -الصفات المتوسطة	الصفات التي لا ضد لها
	س	من طرف اللسان المستدق (الأسلة) مع ما بين الثنايا العليا والسفلى قريبًا إلى السفلى مع بقاء فرجة صغيرة بين الطرف والثنايا السفلى	حروف أسلية	٦	الهمس-الرخاوة-الاستفال-الانفتاح-الإصمات-الصفير	الصفير
	ص			٦	الهمس-الرخاوة-الاستعلاء-الإطباق-الإصمات-الصفير	الصفير
	ز			٦	الجهر-الرخاوة-الاستفال-الانقتاح-الإصمات-الصفير	الصفير
الشفتان مخرجان لـ ٤ أحرف	ف	من باطن الشفة السفلى مع رؤوس الثنايا العليا	حروف شفوية	٥	الهمس-الرخاوة-الاستفال-الانفتاح-الإذلاق	

المخرج العام	حروفه	المخرج الخاص	مسمى الحروف	عدد الصفات	الصفات القوية -الصفات الضعيفة -الصفات المتوسطة	الصفات التي لا ضد لها
	ب	ما بين الشفتين معًا بانطباقهما في (ب-م) واستدارتهما في (و)		٦	الجهر-الشدة-الاستفال-الانفتاح-الإذلاق-القلقلة	
	م			٥	الجهر-التوسط-الاستفال-الانفتاح-الإذلاق-الغنة	الغنة
	و			٥	الجهر-الرخاوة-الاستفال-الانفتاح-الإصمات	
	و اللين	ما بين الشفتين معًا بانفتاحهما	حرف لين	٦	الجهر-الرخاوة-الاستفال-الانفتاح-الإصمات-اللين	اللين
الجوف مخرج لـ ٣ أحرف	حروف المد (و-آ-ي)	الجوف	حروف المد جوفية - علة	٦	الجهر-الرخاوة-الاستفال-الانفتاح-الإصمات-الخفاء	الخفاء
الخيشوم	صفة الغنة	الخيشوم				

يتضح من الجداول الثلاثة السابقة ما يأتي:

• أن لكل حرف من الحروف العربية مخرجاً محدداً وصفات متعددة.

• أقوى الحروف: هو حرف الطَّاء؛ لأنَّ صفاته كلها قوية.

• الحروف القوية: وهي الحروف التي تكون فيها صفات القوَّة أكثر من صفات الضعف، وهي ثمانية: (الباء، والجيم، والدال، والراء، والصاد، والظاء، والقاف).

• الحروف المتوسطة: وهي الحروف التي تساوَت فيها صفاتُ القوة وصفات الضعف، وهي خمسة: (الهمزة، والغين، واللام، والميم، والنون).

• الحروف الضعيفة: وهي الحروف التي تكون فيها صفات الضعف أكثر من صِفات القوَّة، وهي عشرة: (التاء، والخاء، والذال، والزاي، والسين، والشين، والعين، والكاف، والواو غير المديَّة، والياء غير المدية).

• أضعف الحروف: وهي الحروف التي صفاتُها كلها ضعيفة أو تكون كلها ضعيفة ماعدا صفة واحدة تكون قوية، وهي سبعة: (الفاء، والثاء، والحاء، والهاء، وحروف المدِّ الثلاثة).

ثانياً: الدراسات السابقة

تنوعت الدراسات التي تناولت خصائص الحروف العربية بتعدد الزوايا التي ينظر إليها منها، وقد اكتفى الباحث بعرض خمس دراسات سابقة لصلتها المباشرة بهذه الدراسة، وفيما يأتي عرض مختصر لهذه الدراسات.

دراسة دليلة (٢٠٠٤) وهدفت هذه الدراسة إلى تحديد ماهية الحرف لغة واصطلاحاً، والوقوف على تاريخ ظهور الكتابة وابتداع الحرف العربي، وتحديد علاقة صوت الحرف بشكله، وجهة الكتابة وفضائها، بالإضافة إلى الكشف عن كيف أن الحرف العربي حامل الإعجاز القرآني. وقد قامت الدراسة باستقراء آلة اللفظ من خلال الوقوف على فهم الأشكال والرموز التي تميز الحرف العربي، والتي تعد تأشيرة الدخول إلى عالم اللغة والفكر، وقد انتهج الباحث المنهج التاريخي لمعرفة أصل الكتابة العربية وربط التاريخ بالحاضر لتقويم رسالة الخط عبر مسيرته الطويلة.

دراسة نجار (٢٠١٠) وهدفت هذه الدراسة إلى تأسيس قراءة صوتية دلالية لأي

نص إبداعي أو خطابي، قراءة تستثمر نتائج علم الأصوات الحديث وتوظيفها في ضوء هذه القراءة؛ فلا بد أن يحرص الناقد أو القارئ على مثل هذه القراءة للعمل الأدبي إذا أراد أن يكوّن رؤى صحيحة له، وإذا أراد أن يعيش لذتها ويحظى بها، وذلك لأنّ أكثر كلام العرب عليها -وإن كان غُفلا مَسهوّا عنها -فأهل العربية القدامى رأوا أن المادة الصوتية في الحروف العربية لها أثر في استدعاء المعنى أو الإيماء به. واستدعاء مشاعر خفية وصور مُدّخرة وخطرات خيال؛ فكأنك تحس بما يُولّده الصوت من معنى، وبما يبعثه من لذة في النفوس والقلوب. ثم إنّ ربط المستوى الصوتي بالمستوى السياقي والمقامي، يجعل نظرتنا الصوتية لأي خطاب أو نص أكثر واقعية وموضوعية وعلمية. وتكفّلت الدراسة بمقولات الدارسين المعاصرين ومحاولاتهم في الخروج بمعانٍ جديدة لأصوات الحروف العربية، ومحاولة تطبيقها في النص الشعري، ومحاورة تلك المحاولات.

دراسة منفردة (٢٠١٠) وهدفت إلى تعرف خصائص حرف القاف والطاء في المعجم «الوسيط» وتحديد معنى الكلمة التي فيها حرف القاف والطاء في هذا المعجم، وقد استخدمت الباحثة المنهج الوصفي وجمعت البيانات باستخدام الطريقة الوثائقية والطريقة التثليثية، وكشفت نتائج الدراسة أن خصائص حرفي القاف والطاء وفق تصانيف الحروف العربية الصوتية كما يأتي هما من حروف الشدة. وفق تصانيف الحروف المقطعة في القرآن الكريم: هما من أربعة عشر من الحروف المقطعة في القرآن الكريم. وفق تصانيف إيحاءات أصوات الحروف الحسية والشعورية: هما من الحروف السمعية والبصرية للقوة والمقاومة والقساوة والصلابة والشدة وفقاعة تنفجر، أو فخارة تنكسر. والكلمة التي فيها حرف القاف والطاء في المعجم «الوسيط» هي ٤٠٨ الكلمات، تتكون من ٣٩ جذر الكلمة، وقسمت إلى ثلاثة أنواع، وهي: التي تحصل معنى «القطع»، ١٩ كلمة والتي تحصل ما يشبهه، ١٤ كلمة، والتي لم تحصل معنى «القطع» أو ما يشبهه ٦ كلمات.

دراسة مصطفيتش (٢٠١١) وهدفت إلى دراسة شاملة للحروف العربية بين آراء القدماء والمحدثين، وقد اتبع الباحث المنهج التاريخي في دراسته، وأوضحت نتائج الدراسة عدد الحروف العربيّة بين القدماء والمحدثين وأوجه الاتّفاق والاختلاف بين آرائهم، وتناولت أعضاء النّطق بين آراء القدماء والمحدثين، وحددت الصفات الجوهرية والصّفات المكتسبة من السّياق للحروف العربيّة بين القديم والحديث.

دراسة سعداني (٢٠١٣) وهدفت إلى دراسة تطور الحروف العربية والعلاقة بين صوت هذه الحروف ورسمها ومعناها، وقد اتبع الباحث في دراسته ثلاثة مناهج هي المنهج التاريخي في تطور الحرف العربي عبر التاريخ، والمنهج الوصفي لوصف الصوت وتحليل طريقة حدوثه، والمنهج المقارن لمقارنة الصوت برسمه ومقارنة معاني الحروف عند اللغويين وعند المتصوفة.

التعقيب على الدراسات السابقة:

أوجه الشبه والاختلاف بين الدراسة الحالية والدراسات السابقة:

اتفقت الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في:

- أن الحروف العربية هي الموضوع الأساس للدراسة.
- أن الحروف العربية لها خصائص متعددة منها ما يرتبط بالجانب الكتابي، ومنها ما يتعلق بالجانب الإيمائي، ومنها ما يتعلق بالجانب الإيحائي.

واختلفت مع الدراسات السابقة في:

- اقتصرت الدراسة الحالية على المنهج الوصفي التحليلي في وصف الظاهرة وتحليل بياناتها دون المنهجين التاريخي والمقارن.
- عرض نتائج الدراسة بشكل مركز وموجز في شكل جداول محددة للتسهيل على كل من القارئ المتخصص والقارئ غير المتخصص على حد سواء.
- عدم إيراد الآراء المختلفة لعلماء اللغة حول خصائص هذه الحروف.

أوجه استفادة الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة:

- تناول خصائص الحروف العربية من جوانب مختلفة في تلك الدراسات ساعد على شمولية الدراسة الحالية في تناول هذه الخصائص (الخصائص الكتابية - الخصائص الإيمائية - الخصائص الإيحائية).
- وجود أمثلة متنوعة على خصائص الحروف العربية المختلفة.

نتائج البحث:

أولاً: نتائج السؤال الأول، ونصه:

ما الخصائص الكتابية للحروف العربية؟

للإجابة عن هذا السؤال، قام الباحث بما يأتي:

- الاطلاع على الكتب والمراجع ذات العلاقة، مثل: كتاب خصائص الحروف العربية ومعانيها (عباس حسن، ١٩٩٨)، وكتاب معاني الحروف الأبجدية (خالد حمد، ٢٠١٦).

- الاطلاع على الدراسات والبحوث السابقة، مثل دراسة (خراط، ١٩٩٢)، ودراسة (القحطاني، ٢٠٠٩)، ودراسة ، ودراسة سعداني (٢٠١٣).

- تحليل المادة العلمية المقروءة وحذف المكرر وتقديمها بشكل مختصر.

والجدول الآتي يوضح أهم الخصائص الكتابية للحروف العربية.

جدول (٤) الخصائص الكتابية للحروف العربية

الحرف	الخصائص الكتابية	الأمثلة
ا	له شكل عمودي، وهو حرف فريد لا شبيه له. يشترك مع رقم واحد في شكله ودلالته. مرن في التحرك داخل الكلمة؛ فيكتب مستقلاً أو متصلاً سواء في بداية الكلمة أو وسطها أو نهايتها. يكون علامة على التعريف، وعلامة على التأنيث، ويرد همزة قطع أو مد أو وصل، ويكون حرف علة. يقابله في حساب الجمل الرقم (١).	الرجل – قضى – أخذ – شتاء – صيفاً – ميزان.
ب	يأخذ الباء في العربية أربعة أشكال، هي: ــب – بــ – ب – ــبــ. يقابله في الأعداد الرقم (٢)، ويشبهه في الشكل الرقم الهندي (٢). يشبه حرفي التاء والثاء اللذين لا يختلفان عنه سوى بالنقط. يقابله في حساب الجمل الرقم (٢).	باب – يبني – قالب.

الحرف	الخصائص الكتابية	الأمثلة
ت	شكله في العربية شبيه بحرف الباء في حالة كتابته مفتوحاً، ولا يختلف إلا في النقطتين. يشبه الهاء إذا كان مغلقاً وتميزه عنه النقطتان، وهذا الاختلاف في الشكل ليكن ملائماً للوضع الذي جاء عليه. يقابله في حساب الجمل العدد (٤٠٠)، ومن معانيه التراب الذي سهل العبور عليه.	تمر – قتل – انتهت – مات.
ث	حرف شبيه بحرفي الباء والتاء. ورد وضع النقاط الثلاثة في بادئ الأمر عمودياً، ثم صار مثلثاً أو قوساً صغيراً. الثاء في حساب الجمل تساوي (٥٠٠).	ثلاث – تمثل – ثلث.
ج	حرف شبيه بحرفي الحاء والخاء. يأخذ أربعة أشكال عند الكتابة، وهي: جـــ –ــجـــ –ــج –ج يقابله في حساب الجمل الرقم (٣).	جمل – مسجد–فالج – خرج.
ح	حرف شبيه بحرفي الجيم والخاء ويختلف عنهما في عدم النقط. أدخلت عليه تحسينات حتى وصل إلى الشكل الحالي. يقابله في حساب الجمل الرقم (٨).	حسن – محا – برح – لمح.
خ	حرف شبيه بنظيريه الجيم والحاء، ولا يختلف عنهما سوى بالنقط. كان بداية يشبه حرف العين المعكوسة، ثم أخذ يتطور حتى صار بشكله الحالي مع تطور الكتابة ووضع الإعجام. يقابله في حساب الجمل الرقم (٦٠٠).	خاتم – مختلف – نفخ – صراخ.
د	يأخذ شكلين مختلفين في الكتابة، وهي: ـــد – د. كان يتشابه مع حروف الكاف والراء واللام والنون عند النبطيين، ثم وجه ذاتيته وشكله في العصر الإسلامي، حيث تمتع بالوضوح والاستقلالية. يقابله في حساب الجمل الرقم (٤).	دم – حديث – برد.

الأمثلة	الخصائص الكتابية	الحرف
ذنب – لذيذ – ملاذ.	حرف يلي حرف الدال لشبهه به، لولا النقطة. يأخذ شكلين مختلفين في الكتابة، وهي: ـــذ – ذ. يقابله في حساب الجمل الرقم (٧٠٠).	ذ
رمى – حرير – منار.	تطور رسمه عند الفنيقين والنبطيين حتى وصل رسمه الحالي في الكتابة المعاصرة. يأخذ شكلين مختلفين في الكتابة، وهي: ـــر – ر. يقابله في حساب الجمل الرقم (٢٠٠).	ر
زمرد – هزَّ – برز.	صورة الزاي مطابقة تماماً لحرف الراء، مع اختلاف نقطة فوقه. يأخذ شكلين مختلفين في الكتابة، وهي: ـــر – ز. يقابله في حساب الجمل الرقم (٧).	ز
سفينة – يسعد –يابس –ناس	هو حرف مأخوذ عن العمود الفقري للسمكة. مر الحرف بحركات موضعية، فتحول من الشكل العمودي إلى الشكل الأفقي س. يأخذ أربعة أشكال عند الكتابة، وهي: سـ –ـــسـ–ـــس – س. يقابله في حساب الجمل الرقم (٦٠).	س
شهر – مشاورة – فتش–فراش	حرف يشبه حرف السين، مع زيادة النقاط الثلاث فوقه. يأخذ أربعة أشكال عند الكتابة، وهي: شـ –ـــشـــ–ـــش – ش. يقابله في حساب الجمل الرقم (٣٠٠).	ش
صعد – قصيدة – برص.	عرفه الفينيقيون وتطور عبر القرنين الأول والخامس الهجري. يأخذ ثلاثة أشكال عند الكتابة، وهي: صـ–ـــصـ–ص يقابله في التعداد الهندي الرقم (٩٠).	ص

الحرف	الخصائص الكتابية	الأمثلة
ض	يشبه حرف الصاد بزيادة نقطة فوقه. يأخذ ثلاثة أشكال عند الكتابة، وهي: ضـ-ـــضـ-ض. يقابله في حساب الجمل الرقم (٨٠٠).	أضمر – يفيض – مرض.
ط	تطورت كتابته عند الفينيقيين (طيت – طاد). عرفت أشكال شبيهة بالطاء الحديثة عند النبطيين قبل الإسلام. يقابله في حساب الجمل الرقم (٩).	طبيعة – خطأ – مهبط –نقاط
ظ	يشبه حرف الطاء بزيادة نقطة فوقه. يقابله في حساب الجمل الرقم (٩٠٠).	ظفر – يظعن– غليظ شواظ.
ع	ارتبط ظهور هذا الحرف بالعين البشرية. يأخذ أربعة أشكال عند الكتابة، وهي: عـــ –ـعـــ –ـــع – ع. يقابله في حساب الجمل الرقم (٧٠).	عاش – يعيد – مع – باع.
غ	حرف شبيه العين، زيادة نقطة فوقه. يأخذ أربعة أشكال عند الكتابة، وهي: غـ –ـغـ –ـغ – غ. يقابله في حساب الجمل الرقم (١٠٠٠).	غدا – صغير – نبغ – صباغ.
ف	يأخذ أربعة أشكال عند الكتابة، وهي: فـــ –ـفـــ –ـف–ف.	فتح – مفاسد – خلف – صحاف.
ق	عرفه الفينيقيون وتطور في شكله حتى وصل إلى الشكل الحالي. يأخذ أربعة أشكال عند الكتابة، وهي: قـ –ـــقـــ –ـق – ق. يقابله في الأعداد الرقم (١٠٠).	قدر – رقيق – ملتقى – فراق.
ك	عرف هذا الحرف تحولات كثيرة في شكله حتى وصل إلى الشكل الحالي. يأخذ شكلين عند الكتابة، وهي: كـ –ك. يقابله في حساب الجمل الرقم (٢٠).	كتب – مكث – فتك – هلاك.

الحرف	الخصائص الكتابية	الأمثلة
ل	أول من عرفه الفينيقيون، ثم تطور شكله. أشكال اللام تشب الحرف اللاتيني (L). يأخذ شكلين عند الكتابة، وهي: لـ -ل. يقابله في حساب الجمل الرقم (٣٠).	لوى - يلتقي - يميل -وصال.
م	عرفه الفينيقيون وطوره الأنباط، ثم وصل إلى شكله الحالي. يأخذ ثلاثة أشكال عند الكتابة، وهي: مـ -ـــم -م يقابله في حساب الجمل الرقم (٤٠).	محمد - عاصم - أعلام.
ن	عرفه الفينيقيون وطوره الأنباط واليونان إلى أن وصل إلى شكله الحالي. يأخذ أربعة أشكال عند الكتابة، وهي: نـــ -ــنــ -ــن - ن. يقابله في حساب الجمل الرقم (٥٠).	نذير - إنسان- غصن.
ه	تطور حرف الهاء عدة مرات حتى وصل إلى شكله الحالي. يأخذ أربعة أشكال عند الكتابة، وهي: هـ -ـهـــ -ـــه - ه. يقابله في حساب الجمل الرقم (٥).	هدى - مهيب - إله - شاه.
و	من الحروف التي عرفها الفينيقيون، وتطور في العصر الجاهلي. يأخذ أربعة أشكال عند الكتابة، وهي: و -ـــو يقابله في حساب الجمل الرقم (٦).	وله - موعد - كفو.
ي	ظهر حرف الياء مع ظهور الأبجدية الأولى. يأخذ أربعة أشكال عند الكتابة، وهي: يـ -ـــيـــ -ـــي - ي. يقابله في حساب الجمل الرقم (١٠).	يبس - سقيم - محياي.

يتضح من الجدول السابق الخصائص الكتابية لكل حرف من الحروف العربية على حدة، ومن الخصائص الكتابية للحروف العربية بصفة عامة، ما يأتي:

• كانت الأحرف العربية لا تعرف التنقيط إلا في بعض حروفها فلما كثر التصحيف (قراءة الحرف على غير حقيقته (لجأ الحجاج (٦٦٠ - ٧١٤م) إلى كتابه في عهد الملك بن مروان (٦٤٦ - ٧٠٥) وسألهم أن يضعوا علامات لتمييز الحروف المتشابهة، فتولى نصر بن عاصم هذه المهمة (٧٠٧م)، فوضع النقط بشكلها الحالي.

• التكرار، ومن ذلك أن الباء والتاء والثاء، لها شكل واحد، ويفرق بين أشكالها بنقط الإعجام أو الإهمال.

• تنوّع نطق الحرف الواحد، وذلك بتنوع أحواله في الحركة والسكون والمدّ والشدّ، وهو ما يسمّى ضبط الحرف.

• الكتابة من اليمين إلى اليسار، الكتابة العربية تبدأ من اليمين إلى اليسار، وهي بذلك تخالف الحرف اللاتيني الذي يكتب من اليسار إلى اليمين، والصيني الذي يكتب من أعلى إلى أسفل. ومن ذلك أنهم يكتبون الأرقام كذلك، بدءاً بالآحاد فالعشرات فالمئات...، وهم يقرؤونها كذلك من اليمين إلى اليسار، لأنهم يقرؤون كما يكتبون، فإذا كان الرقم (١٣٩) رجلاً قرأته: تسعة وثلاثون رجلاً ومائة، أو تسعة وثلاثون ومائة رجل.

بساطة شكل الحرف وشموله للأصوات اللغوية؛ فالعربية لا تخترع حرفين لنطق صوت واحد، كما هو في اللاتينية:(TH): لنطق حرف الثاء أو الذال، و(PH): لنطق حرف الفاء، ولا تجعل حرفين لنطق صوت واحد، مثل: (S) و(C): لنطق حرف السين، أحدهما ساكن والثاني متحرك. ومن الناس من ذهب إلى حكاية أصوات العجم والروم، (V)، وهي الفاء المجهورة، فجعلها (ڤ)، و(P)، وهي الباء المهموسة فجعلها (پ). ومنهم من حكى بعض لهجات العرب فرمز للقاف اليمنية بـ(گ)، وللجيم القاهرية بـ(چ)، وقد ألمح ابن خلدون إلى هذا الاتجاه.

ثانياً: نتائج السؤال الثاني، ونصه

ما الخصائص الإيمائية للحروف العربية؟

للإجابة عن ها السؤال، قام الباحث بما يأتي:

• مراجعة الكتب والمراجع ذات العلاقة، مثل: كتاب خصائص الحروف العربية ومعانيها (عباس حسن، ١٩٩٨)، وكتاب أسرار الحروف والإعداد (علي بو صخر، ٢٠٠٣)، وكتاب علم الأصوات بين القدماء والمحدثين (علي حسن مزبان، ٢٠٠٣).

• مراجعة الدراسات والبحوث السابقة، مثل دراسة منفردة (٢٠١٠)، ودراسة (نجار، ٢٠١٠)، ودراسة مصطفيتش (٢٠١١).

• تحليل المادة العلمية المقروءة وحذف المكرر وتقديمها بشكل مختصر.

والجدول الآتي يوضح أهم الخصائص الإيمائية للحروف العربية.

جدول (٥) الخصائص الإيمائية للحروف العربية

الحرف	الخصائص الإيمائية	الأمثلة
أ	يشير إلى القوة والفاعلية والأولية والأفضلية.	الثور – قاد –ذرأ.
ب	يشير إلى الأضداد؛ ففي بدء الكلمة يعني الفتح وفي آخرها يعني الغلق.	باب–نبع–غَلَب.
ج	يشير إلى الجمع والاندماج.	جمل – دمج –لجم
د	يشير إلى الامتداد إلى حد معين محدود	دَخل––وَدَع–صعد.
ه	يشير إلى الخفاء والغيبة عن النظر	هو –الله.
و	يشير إلى البعد صعدًا أو حَدَدًا	وَقَع–هوى–علا (أصله علو).
ز	يشير إلى مرور الشيء بسرعة وسهولة.	زَلَّ–نزل–همز.

الحرف	الخصائص الإيمائية	الأمثلة
ح	يشير إلى الخفاء.	حَمَل-لَحَم-لَمَح.
ط	يشير إلى ما انبسط واطمأن من الأمكنة؛ أي نقطة ارتكاز الشيء.	طلب – قطن –هبط.
ي	يشير إلى الغيبة والخفاء	يسر – سير –سرى
ك	يشير إلى إمالة الشيء من ناحية إلى أخرى	كتب عكف-- لاك
ل	يشير إلى حركة انتقالية من مكان إلى مكان	لعِب-بلَغ-عَمل.
م	يشير إلى الأضداد.	مَنَح-جَمَع-نَجَم.
ن	يشير إلى الاستقرار	نهض-مَنَح-خَضَن-التنوين.
س	يشير إلى التنبيه والطلب والانتشار	سقط-حبس-قسط -سطع
ع	يشير إلى العمق	علا «علو» – صعد – عمق.
ف	يشير إلى الإطلاق والانطلاق والإرسال «مأخوذ من حركة الوتر عند إطلاق السهم»	لف – فلت – تفل –تلف.
ص	يشير إلى مدخل الشيء ومخرجه.	صدر – فصل – نقص.
ق	يشير إلى القطع والفصل والإبانة.	قطع – لقط – نعق.
ر	يشير إلى تكرار الحركة	ركض-هرب-فرَّ.
ش	يشير إلى الكثرة والتفرق والانتشار	شعَّ-نشر.
ت	يشير إلى ما سَفُل مركزًا وكان بين يديك	تحت-اكتشف-أنت.
ث	يشير إلى التريث والتمهل.	ثبت-لثم-نفث.

الحرف	الخصائص الإيمائية	الأمثلة
خ	يشير إلى الخفاء وما غاب عن النظر.	خرج – دخل – نفخ.
ذ	يشير إلى نفاذ الشيء بعنف وشدة.	ذبَّ–بذَّ–نبذ.
ض	يشير إلى حركة نبضية.	ضرب–غضب–نبض–ركض.
ظ	يشير إلى خروج الشيء من مستقره.	ظهر–نظر–لفظ.
غ	يشير إلى الخفاء والغيبة عن النظر.	غاب–رغب–بلغ.

ثالثاً: نتائج السؤال الثالث، ونصه

ما الخصائص الإيحائية للحروف العربية؟

للإجابة عن ها السؤال، قام الباحث بما يأتي:

• مراجعة الكتب والمراجع ذات العلاقة، مثل: كتاب خصائص الحروف العربية ومعانيها (عباس حسن، ١٩٩٨)، وكتاب معاني الحروف الأبجدية (خالد حمد، ٢٠١٦).

• مراجعة الدراسات والبحوث السابقة، مثل دراسة (عباس، ١٩٧٨)، ودراسة (دليلة، ٢٠٠٤)، ودراسة منفردة (٢٠١٠).

• تحليل المادة العلمية المقروءة وحذف المكرر وتقديمها بشكل مختصر.

والجدول الآتي يوضح أهم الخصائص الإيحائية للحروف العربية.

جدول (٦) الخصائص الإيحائية للحروف العربية

الحرف	الدلالة الإيحائية	المدلول
ت	الدلالة اللمسية	هو للضعف والتفاهة والاضطراب في الطبيعة الملامس لها بلا شدة، وإن صوته يسمع عن قرع الكف بالإصبع قرعًا بقوة.
ث		هو للتعلق بالشيء حسيًا ومعنويًا وللرقة والدماثة والبعثرة.
ذ		هو للتفرد كل الذكورة، توتر صوت، وخشونة ملمس، وشدة ظهور والاضطراب والاهتزاز والذبذبة يضاهي صوته بداية النحر بتكرار حز السكين في العنق.
د		هو للتصلب والتغير المتوزع والشدة والقوة وللشدة المادية.
ك		هو للخشونة والاحتكاك تضاهي واقعة اعتمال الفكر بالمعنى الذي يجول في الخاطر.
م		هو للانجماع والانضمام والحرارة والتماسك وهي تمثل هنا مطابقة اللفظ للمعنى.
ل	الدلالة الذوقية	هو للانطباع بالشيء بعد تكلفة، للالتصاق والتعلق والتماسك والمماطلة تضاهي هنا تلاعب اللسان بأصوات حروف الكلمة أو بالشيء الملفوظ ولتمثيل واقعة تلاعب اللسان باللفظ المعبر عن المعنى. وإن صوت هذا الحرف يوحي بمزيج من الليونة والمرونة والتماسك والالتصاق وهذه الخصائص الإيحائية لمسية صرفه.
ر		هو يدل على الملكة وعلى شيوع الوصف. فإن صوت حرف الراء من أصوات الحروف هو أشبه ما يكون بالمفاصل من الجسد. للتحرك والترجيع والحرارة والتأود ذات اليمين وذات اليسار والتكرار. تضاهي واقعة التلصص والمراقبة تمهيدًا للجرم.

الحرف	الدلالة الإيحائية	المدلول
أ		هو للدلالة على الجوفية، وعلى ما هو وعاء للمعنى، وعلى الصفة تصير طبعًا وللبروز.
ا		حروف المعاني بين الأصالة والحداثة.
و		هو للفعالية وللانفعال المؤثر في الظواهر.
ي		هو للانفعال المؤثر في البواطن والاستقرار ولتثبيت هذه الخصائص في نفس صاحبها، والياء في الوسط لاستقرار المعنى في الصميم.
ب		هو لبلوغ المعنى، وللقوام الصلب بالتفعل، وإنه يوحي بالانبثاق والظهور والبيان والبعج والشق والبقر والحفر يضاهي صوتها بداية الحدث في تجميع الريق وما في جوف الفم ولمضاهاة واقعة الحفر في العنق.
ج	الدلالة البصرية	هو للعظم مطلقا والغلظة والضخامة والامتلاء.
س		هو للسعة والبسط بلا تخصص، وإنه للحركة والطلب والاستقرار والرشاقة والملاسة والانزلاق والمسير والخفاء تضاهي سعي اللص تصيدًا للفرص.
ش		هو للتفشي بغير نظام والانتشار والتفاهة والجفاف.
ط		هو للملكة في الصفة والالتواء والانكسار والمطاوعة والطراوة والفلطحة والفخامة.
ظ		هو للتمكن ولإضفاء معاني الرقة والعذوبة والفخامة على اللفظ، وذلك دونما شدة أو قوة أو انفجار صوت.
غ		هو لغو المعنى والغموض والخفاء والغيبوبة النفسية والظلام.

الحرف	الدلالة الإيحائية	المدلول
ف	الدلالة البصرية	هو يدل على لازم المعنى، أو المعنى الكنائي، وإنه لرقة صوته، والانفراج والانفتاح والشق والفصل والقطع والتباعد والاتساع والضعف والتوسع والوهن، تضاهي واقعة انفراج الفم أو الشفتين أثناء اللفظ بتأن، والفاء في نهاية اللفظة للرقة.
ز	الدلالة السمعية	هو للتقلع القوي والفعالية والشدة.
ق		هو للمفاجأة تحدث صوتا والقوة والمقاومة. وكلا الوصفين يفضيان به إلى أحاسيس لمسية من القساوة والصلابة والشدة، وإلى أحاسيس بصرية وسمعية، من فقاعة تنفجر، أو فخارة تنكسر. والقاف المشددة للمزيد من القوة والمقاومة.
ص	الدلالة الشعورية (غير الحلقية)	هو للمعالجة الشديدة والصلابة والوضوح والصفاء.
ض		هو يدل على الغلبة تحت الثقل والفخامة والنضارة ومشاعر النخوة.
ن		هو للتعبير عن البطون في الأشياء، للتعبير عن الصميمية والانبثاق والرنين والبطون والنفاذ والخفاء والضعف، والنون في نهاية اللفظة للرقة والأناقة والاستقرار.
خ	الدلالة الشعورية (الحلقية)	هو للمطاوعة والانتشار والتلاشي والقذارة والعيوب النفسية والأخلاقية والرخاوة والتشويه والتقزز والاضطراب والخسة.
ح		هو للتماسك، وبالأخص في الخفيات، ويدل على المائية، وللبحة الصوتية والحشرجة والمطاوعة والإحاطة والحرارة والعواطف الإيجابية، والسلبية، والجميلة، والمحبة، والإنسانية الجيدة.
ه		هو للتلاشي والانفعالات النفسية.

الحرف	الدلالة الإيحائية	المدلول
ع	الدلالة الشعورية (الحلقية)	هو لخلو الباطن والخلو مطلقًا، وللعيانية والوضوح والفعالية والعلو والسمو والعقد والربط والإحاطة والفتل والدوران والصفاء.
ليس لها حروف محددة	الدلالة اللمسية	

يتضح من الجدول السابق أن أصوات الحروف العربية لها دلالات إيحائية ترتبط بالحواس والحالة الشعورية، ومن أهمها:

- الحروف اللمسية: (ت، ث، ذ، د، ك، م).
- الحروف الذوقية: (ر، ل)
- الحروف البصرية: (الألف المهموزة واللينة، ب، ج، س، ش، ط، ظ، غ، ف، و، ى).
- الحروف السمعية:(ز، ق)
- الحروف الشعورية غير الحلقية: (ص، ض، ن)
- الحروف الشعورية الحلقية: (خ، ح، ه، ع)
- الحروف الشمية: ليس لها حروف محددة.

توصيات الدراسة:

- إنشاء مدونة حاسوبية خاصة بالحروف العربية؛ تسهل على الدارسين والمتخصصين والباحثين عمليات البحث عن مخارج الحروف وخصائصها المختلفة دون عناء.
- تدريس خصائص الحروف العربية لطلاب اللغة العربية بالجامعات والمعاهد العلمية بالمملكة العربية السعودية، وعدم اقتصار دراستها على المتخصصين في علم اللغة.
- توفير معامل صوتية حديثة للطلاب والمتعلمين في الجامعات السعودية للتحقق من خصائص الحروف العربية ومخارجها الصحيحة.

• تشجيع المتخصصين وتحفيزهم للتأليف في مجال الحروف العربية؛ نظراً لقلة الكتب والمؤلفات في هذا الميدان العلمي المهم.

• تنشيط حركة الترجمة؛ للاستفادة من الدراسات الأجنبية الحديثة المتعلقة بخصائص الحروف وصفاتها.

البحوث المقترحة:

• إجراء مزيد من الدراسات عن خصائص الحروف العربية.

• إجراء دراسة تاريخية عن تطور شكل الحرف العربي عبر العصور.

• إجراء دراسة عن العلاقة بين الحروف العربية والحواس والمشاعر الإنسانية.

• إجراء دراسة عن العلاقة بين الحرف العربي والشخصية العربية.

• إجراء دراسة عن معاني الحروف العربية في المعاجم اللغوية.

أولا : المصادر

• ابن جني، أبو الفتح عثمان (٢٠٠٠) سر صناعة الإعراب ١/ ٢٨، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل بيروت، دار الكتب العلمية.

• ابن منظور، لسان العرب، ٤/ ٢٥٢١، طبعة دار المعارف.

• سيبويه (١٩٨٨) الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت، دار الكتب العلمية.

• الفراهيدي، الخليل بن أحمد (١٩٨٨) كتاب العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية.

• الكفوي، أبو البقاء (١٩٩٣) الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة.

ثانياً: المراجع

- آل إبراهيم، حامد محمود (٢٠١٣) اللغة العربية لغة حضارة،

http://www.arabiclanguageic.org/view_page.php?id=850

- بو صخر، على (٢٠٠٣) أسرار الحروف والإعداد، مؤسسة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم لإحياء تراث آل البيت عليهم السلام.

- حمد، خالد محمد (٢٠١٦) معاني الحروف الأبجدية العربية، دار العرب للدراسات والنشر.

- خراط، أحمد محمد (١٩٩٢). جهود النحاة في دراسة حروف العربية. رسالة المعاهد العلمية -السعودية، ع ١٠، ٦٥ -٦٦.

- دليلة مزوز (٢٠٠٤) سيمائية الحرف العربي قراءة في الشكل والدلالة، الملتقى الثالث السيمياء والنص الأدبي، ١٩-٢٠ أبريل.

- زكية، يحياوي (٢٠١٢) الحروف والأصوات العربية بين نظرة القدماء والمحدثين، مجلة الممارسات اللغوية، ع (١٦)، ١-١٧.

- سعداني، هناء (٢٠١٣) الحروف العربية دراسة في تطورها والعلاقة بين الصوت والرسم والمعنى، رسالة دكتوراة، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة بالجزائر.

- السنافي، فاضل مصطفى (١٩٧٧) أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي.

- عباس، حسن (١٩٧٨). الحروف العربية والحواس الست، المعرفة (وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية) - سوريا، س ١٧أ ع ٢٠٠ ، ١٣٩ - ١٥٣.

- عباس، حسن (١٩٩٨) خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات اتحاد الكتاب العرب.

▼ علية، منفردة (٢٠١٠) خصائص الحروف العربية ومعانيها في معجم «الوسيط» دراسة وصفية تحليلية عن المفردات، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والثقافة، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج.

▼ القحطاني، طارق بن سعيد (٢٠٠٩) أسرار الحروف وحساب الجمل، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى.

▼ مصطفيتش، عاصم (٢٠١١) اَلْحُرُوفُ الْعَرَبِيَّة بَيْنَ الْقُدَمَاءِ والْمُحْدَثِينَ، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر.

▼ النجار، منال (٢٠١٠) القيم الدلالية لأصوات الحروف في العربية عَوْد على بَدْء، مجلة جامعة النجاح للأبحاث -العلوم الانسانية، مج ٢٤ (٩)، ٢٧٧٧-٢٨٢٦.

▼▼▼

الحُروف العربيّة بين الائتلاف والتّنافر في اكتساب مهارات اللغة العربيّة

د. بسمة أحمد صدقي الدّجاني
أستاذ مشارك في مركز اللغات بالجامعة الأردنيّة

مُلخّص:

في العِقد الثّاني مِن الألفيّة الميلاديّة الثّالثة يرسم المدّ والجزر أشكالاً في أساليب تعلّم اللغة العربيّة وتعليمها. ونظراً للمكانةِ الخاصّة لمهارتي القراءة والكتابة في اكتسابِ العربيّة لُغةً وثقافة، وفي استيعابِ مضمون الحضارة العربيّة الإسلاميّة قديماً وحديثاً، تُبذل الطاقات في البحثِ عن أنجع السُّبل لتعلّمهما، وفي الوصولِ إلى أفضلِ المسارات للبدءِ بتعليمهما. فالحُروف الأبجديّة العربيّة بأصواتها ورُموزها الكتابيّة تمثّل مُفتاح الولوج لعالمٍ واسعٍ ينطلقُ فيه المُتعلّم باستيعابِ الكلمة.

يعرف أهلُ العربيّة والمشتغلون فيها أن الحروفَ العربيّة مُنتظمة في مجموعات يلمُّها الائتلاف في الشّكل أو المخرج أو الصّفة؛ فالحروف العربيّة مِن حيث الشّكل يُمكن جعلها في مجموعاتٍ تتقاطع إلى حدّ بعيد مع التّرتيب الألفبائي فهي (ب، ت، ث، ن، ي) (في أوّل الكلمة ووسطها)، و (ج، ح، خ) و (د، ذ) و (ر، ز) و (س، ش) و (ص، ض) و (ط، ظ) و (ع، غ) و(ف، ق). والمجموعات السّابقة مؤتلفة مِن جوانب ومختلفة مِن جانب آخر. ففي حين تبدو مُتقاربة مُتشابهة تُفرّق (النّقطة والنّقطتان والثّلاثة) بينها بوضوحٍ لِمَن رام التّدقيق، تتقاطع بعض الحُروف مع غيرها مِن حيث النُّطق والمخرج إلى

حدٍّ بعيد. مما يجعل التّمييز بينها أمراً مُلحّاً لمتعلّميها مِن أبنائها وغيرهم على حدّ سواء، ويتجلّى ذلك بالنّظر إلى تلاقي المجموعات الآتية وتقاربها (أ، ع) و (س، ص) و (ح، هـ) و (ق، ك) و (ت، ط) و (د، ض) وغيرها.

إنّ الأمثلة السابقة وغيرها ممّا سيعرض لها هذا البحث ويدرسها باستفاضة، تبدو اليوم مَطلباً مُهمّاً، ذلك أنّ الصّورة اللغويّة المقيّدة بالكتابةِ هي المطلب الأصعب الذي يكشف بجلاء مُوثّق مدى إتقان الطّلبة للمهاراتِ اللغويّة، وللغة بتجلّيات مُستوياتها الصّوتيّة والصّرفيّة والنّحويّة والمُعجميّة الدّلالية. ذلك أنّ أي قُصور في الاستيعاب أو خلط على مُستوى الإدراك، ومِن ثم التّحليل في طريقِ إعادة الإنتاج سيتمثّل واضحاً في الصّورة المكتوبة لتعبير الطّالب. بل إنّ كثيراً مِن المشكلات في القراءة والاستماع لا تظهر إلا إذا طُلب إلى الطّلبة أن يعيدوا إنتاج اللغة كتابةً.

فالمواجهة بين المتعلّمِ واللغةِ تكون مِن خلال الكتابة بتلقّي الرّموز الكتابيّة أو صُور الحُروف المرتبطة بأصواتها التي تُمكّنه مِن الرّبط التلقائي بين الصّورة والصّوت أو النّطق والرّسم أو الرّمز الكتابي. وهو ما سيؤهّله فيما بعد لاستيعابِ الرّموز الكتابيّة للحُروف كلّها ثمّ مِن بعدها صُور الكلماتِ المكوّنة مِن تضام تلك الحُروف معاً لتُشكّل كلمات. كما أن آخر تحدٍّ يُواجه الطّلبة هو إنتاج اللغة بصورتيه الشّفويّة–والمكتوبة.

وهذا البحث يُقدّم نُطق الصّوت مُفرداً مُستقلّاً، ومُركّباً مع غيرِهِ في كلمةٍ، ويُبيّن تغيُّر نُطق الصّوت الواحد بتغيّر مُجاوراته في الكلمة والجُملة. ويُناقش ذلك مِن خلال أمثلة عمليّة وتطبيقيّة مِن مُمارسات الطلبة وأداءاتهم اللغوية مُعتمداً على أثرِ علم اللغة التّقابلي في تعليمِ أصواتِ العربيّة للناطقين بغيرها.

ويأتي هذا البحثُ ليبحثَ في تعليمِ الكتابة والقراءة، ويطرح المشكلات، ويُناقش الحُلول في ضوء دراسة تطبيقيّة على مجموعةٍ مِن طلبة العربيّة للناطقين بغيرِها في مركز اللغات في الجامعة الأردنيّة.

فرضيّة البحث:

الحرفُ وجهُ اللغة وأساسُ تعلّمها، ومتعلّم اللغة العربيّة لغَةً ثانية يُفاجأ بحُروفِ هذه اللغة مِن نواح عديدة؛ ما بين أصواتِ بعضها المتقاربة، وأشكالِ كتابتِها في بدايةِ الكلمة أو وسطها أو نهايتها، وتباين صوتِ الحرف الواحد حسب مَوقعه في الكلمة، ووفق الحركة المرافقة له، وبحسب إعرابه ضمن الكلمة في الجملة. فتمييز الحروف العربيّة بين ائتلافها وتنافرها هدفٌ رئيسي لمتعلّمِ العربيّة لغة وثقافة لاكتسابِ مهاراتِ الاستيعابِ في الاستماع، والفصاحةِ في التّحدّث، والبيانِ في الكتابة، والوضوحِ في القراءة.

أهمّيّة البحث:

إن إتقانَ لُغةٍ ما يتطلّب استخدامَ كلماتها في سياقها المركّب في جُملٍ، كما أن استخدامَ الكلمات بشكلٍ وظيفي للتواصلِ الهادف يتطلّب إدراكَ مدلولاتها ومعانيها، ولفهمِ معاني الكلمات بدقّة يجب تمييز أصواتها. وتمييز الأصوات يتوقّف على وضوح صورة حُروفها ذهنيّاً ورسماً. وعليه فإن الحرفَ هو الوجهُ الأساسي للغة، ومَن أراد تعلّم لُغةٍ بفكرها وثقافتها عليه التّمكّن مِن منظومة حُروفها بين ائتلافها وتنافرها فيكتسب بالتالي مهارات قراءتها واستيعابها، ومِن ثمّ التّحدّث بها وكتابتها.

أهداف البحث:

١-تفسيرُ ظاهرة ائتلاف الحروف العربيّة وتنافرها، وتوصيفها بوصفها مشكلة لُغويّة تعليميّة.

٢-التركيزُ على مكانةِ الحرف في توصيلِ المعنى الدلالي لفهمِ اللغة والتفاهم مع أبنائها.

٣-تيسيرُ تعليم الحروف العربيّة لمتعلّميها مِن الناطقين بلغاتٍ أخرى مِن خلال الكلمة والسّياق.

٤-توظيفُ عِلم اللغة التّقابلي لتمكين المتعلّم مِن إتقان منظومة الحروف العربيّة.

٥-توجيهُ مُعلّم العربيّة نحو معالجة الحروف وتقديمها.

أسئلة البحث:

١-ما دور الحرف في تعلّم مهارات اللغة؟

٢-كيف يكون الائتلاف بين الحُروف؟

٣-ما تفسير التّنافر بين الحُروف؟

٤-بماذا يُفسّر علم اللغة التّقابلي ظاهرة ائتلاف الحُروف وتنافرها؟

٥-ما أهميّة الحركات في إبراز الحروف؟

٦-كيف يُتقن مُتعلّم العربيّة التّمييز بين الحُروف المتشابهة؟

٧-كيف يصل مُتعلّم العربيّة لدرجة البيان في المحُادثة والكتابة؟

٨-كيف يتجنّب المتعلّم تحريف الكلم عن مَواضعه؟

٩-أي منهجيّة مُناسبة لتقديم الحروف العربيّة؟

الدّراسات السّابقة:

كان لعلماء الحضارة العربيّة الإسلاميّة تأثير كبير على توضيح أهميّة دراسة الحروف في اللغة العربيّة دراسة فلسفيّة فكريّة دلاليّة، فألّفوا كُتباً عن الحروف[1]. وقد أفدتُ مِن العُمق في شرح مكانة الحرف، والمدلول اللغوي لكلمة حرف، واتخذتها مرجعيّة فكريّة منطقيّة في التطبيق العملي لتعليم اللغة العربيّة.

* قدّم مجموعةٌ مِن المتخصّصين المعاصرين في اللغويّات واللسانيّات آراءهم في ظواهر اللغة العربيّة الصّوتيّة، وأجروا دراساتٍ نظريّةً وميدانيّة في تعليمِ الأصوات للناطقين بغير العربيّة. وتبرز فائدتها مِن تعدّد زواياها ومحاورها، وتنوّع العيّنات بين طلابِ العربيّة مِن الناطقين بلغاتٍ مختلفة، وتطبيق نظريات علم التقابل اللغوي عليها. ولعلّ مِن أبرز تلك الدراسات:

* كتاب «خصائص الحروف العربيّة ومعانيها» لحسن فضل (نُشر سنة ١٩٩٨) مُنطلقاً مِن النظريّة اللغويّة الفطريّة، وفكرة أن معنى الحرف العربي هو صدى صوته في الوجدان والنفس، وآخذاً بمقولة ابن جنّي: (سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود

والغرض المراد) (ص ٦). وصنّف الحروف تبعاً للخصائص الحسيّة أو الشعورية الغالبة فيها، أو وفقاً لطبيعتها الصوتيّة الخاصّة، أو حسب طريقة النّطق بها. ص (٥٠).

* وبحثٌ حول «أخطاء دارسي اللغة العربيّة في النّطق» للأستاذ ف عبد الرحيم مِن خلال دراسة تقابليّة في مجال الأصوات (نُشر سنة ١٤٠١ هـ)، ركّز فيه على تأثّر دارس اللغة العربيّة بلغته الأصليّة في مجال الأصوات، واستعرض أمثلة لأخطاء الناطقين بأكثر مِن عشر لُغات، وأوصى بأهميّة معرفة المشكلات الصّوتيّة لوضع حلول تُساعد الطلاب على مواجهة صعوبات تعلّم الأصوات العربيّة.

منهجيّة البحث:

ينطلق البحث مِن مكانة الحرف في فهم الكلمة، فهو وإن كان حرفاً مفرداً يُمثّل جانباً جُزئياً مِن الكلمة، إلا أنّه يؤثّر في معنى المفردة تأثيراً عميقاً. فيعرض البحث لتفاعل المتعلّم مع الحرف في فهم المعنى واستيعاب مدلول الكلمة، وأهميّة إتقان نطقه الصوتي بشكلٍ واضح وسليم في مهارات الاستماع والمحادثة، ووضوح خطّه كتابةً وقراءةً. ويحتكم البحث إلى استبيانٍ يستطلع آراء الطلبة في ارتباط الحروف ببعضها البعض، وأشكال كتاباتها في الكلمة مع الضبط ودونه. كما يعمد إلى رصد تجربة الباحثة في تعليم العربيّة لُغة وثقافة للناطقين باللغات الأخرى مِن مستويات متنوعة بين المبتدئين والمتقدمين[٢].

مُجتمع البحث وعيّنته:

يتكوّن مُجتمع البحث مِن مجموعةٍ مِن طلبة المستوى المتقدّم الذين درسوا اللغة العربيّة في مركز اللغات في الجامعة الأردنيّة في عمّان في الفصل الدراسي الثاني مِن العام الجامعي ٢٠١٦ / ٢٠١٧. وقد بلغ عددُ أفراد العيّنة خمسة وعشرين طالباً وطالبة مِن عشر جنسيات مختلفة؛ مِن اليابان، والصين، وتايوان، وأندونيسيا، وقيرغيزستان، وتركيا، وبولندا، وإيطاليا، وفرنسا، وألمانيا، وإسبانيا. وقد درسوا جميعا اللغة العربيّة لسنوات تتراوح بين سنتين وأكثر. وتم اختيار طلاب المستوى المتقدّم لتتبع تطوّرهم في تمييز ائتلاف الحروف العربية وتنافرها مِن خلال ممارستهم للمهارات اللغويّة مع معلّمتهم في برنامج يومي مُكثّف. وتقوم الباحثة بمقارنات إنتاج الطلبة المتقدّمين مع

إنتاج طلبةٍ في المستوى المبتدئ والمستوى المتوسّط توضّح تمثّلهم للحروف العربيّة صوتاً وشكلاً ودلالةً.

الاستبانة: تتألّف الاستبانة مِن تسعة أسئلة عن استيعاب الحروف وتمييزها مِن خلال مهارات الكتابة والاستماع والقراءة، وثلاثة أسئلة للتعبير الشفوي والكتابي، وسؤال لاستخدام مفردات مؤتلفة الحروف مختلفة المعاني، وتمرين على الإملاء مع ضبط الحروف بالشكل المناسب لتمييز أصواتها بالحركة الملائمة.

والهدف منها استيضاح مدى إدراك الطلبة لمكانة الحرف في معنى الكلمة، والاستفادة مِن آرائهم في أهميّة مُلازمة الحركة للحرف كتابة ونطقاً، وقياس استيعابهم لصوت الحرف وتأثيره في المعنى كتابيّاً.

دور الحرف في تعلّم مهارات اللغة:

يُمثّل الحرف تجسيداً للغةِ التي نتعلّمها، فهو بحدِّ ذاته اللغة، وهو الوجه المباشر للغة[٣]، وهو حدّها الأساسي وما يبرز منها[٤]، وهو طرفها وجانبها الذي منه تتكوّن[٥]، وهو الأداة التي تربط اسماً بآخر وبفعلٍ لتوضيح المعنى[٦]، وهو وسيلة اكتساب معنوي[٧]ومهارة في الصّنعة والعِلم تعود بالفائدة الماديّة على صاحبها[٨]. وفعله المشدّد وسطه يعني تغيير الكلم عن مقصوده ومدلوله، كما جاء في القرآن الكريم [٩].

إن للحرف دلالة تَوافَق عليها أبناءُ اللغة كما قال الفارابي في كتابه «الحروف»[١٠]: «فهكذا تَحدُث أولاً حروف تلك الأمّة وألفاظها الكائنة عن تلك الحروف. ويكون ذلك أوّلاً ممّن اتّفق منهم، فيتّفق أن يستعمل الواحد منهم تصويتاً أو لفظة في الدلالة على شيء ما عندما يُخاطب غيره، فيحفظ السامع ذلك، فيستعمل السامع ذلك بعينه عندما يُخاطب المنشئ الأوّل لتلك اللفظة، ويكون السامع الأوّل قد احتذى بذلك فيقع به، فيكونان قد اصطلحا وتواطئا على تلك اللفظة، فيُخاطبان بها غيرهما إلى أن تشيع عند جماعة. ثم كلّما حدث في ضمير إنسان منهم شيء احتاج أن يُفهمه غيره مِمّن يُجاوره، اخترع تصويتاً فدلّ صاحبه عليه وسمعه منه فيحفظ كل واحد منهما ذلك وجعلاه تصويتاً دالاً على ذلك الشيء..... وكما أن في المعاني معاني تبقى واحدة بعينها تتبدّل عليها أعراض تتعاقب عليها، كذلك تُجعل في الألفاظ حروف راتبة وحروف كأنّها

أعراض متبدّلة على لفظٍ واحد بعينه، كل حرف يتبدّل لعرض يتبدّل، فإذا كان المعنى الواحد يثبت وتتبدّل عليه أعراض متعاقبة، جُعلت العبارة بلفظ واحد يثبت ويتبدّل عليها حرف حرف، وكل حرف منها دال على تغيير»[١١].

وكان للعلامة اللغوي أبي الأسود الدؤلي في القرن الأوّل الهجري دَوره في وضع علاماتٍ دالّةٍ على حركة الألفاظ، ساعدت أبناء اللغة العربيّة على توضيح مخارج الحروف ولاسيّما عند قراءة القرآن الكريم، فتوافقوا عليها. ثم أكمل العالم اللغوي الخليل بن أحمد الفراهيدي الـمَهَمَّة في القرن الثاني الهجري بوضع النقاط فوق الحروف مع رموز أصوات الفتحة والضمّة والكسرة، وتَوافَق عليها أبناء اللغة إلى يومنا هذا في القرن الخامس عشر الهجري.

ويُثبتُ عدد المراجع الكبير المتوفّر في موضوع الكتابة العربيّة وتيسيرها ومُعالجة مُشكلاتها بين أبنائها ومُتعلّميها أن قضيّة الحروف وائتلافها وتنافرها ودلالاتها مُتداولة على مدار العُصور التاريخيّة المتتالية، فشغلتْ عُلماء اللغة العربيّة واللسانيات، وفلاسفة الحضارة العربيّة الإسلاميّة، والمستشرقين، ومُدرسي اللغة العربيّة في مراحل التعليم الأساسية المختلفة، وأساتذة الجامعات، ومجامع اللغة العربية[١٢]، ومُثقفي المجتمعات العربيّة على اختلاف تخصّصاتهم العلميّة والعمليّة. وقد تعدّدت الدراسات الحديثة حول الحروف العربيّة وتطوير أشكالها حسب أصواتها ومخارجها ما بين مؤيد للفكرة ومعارض لها. وشهد القرن العشرين كثافة في تلك الدراسات مع تداعيات الاستعمار على الوطن العربي، ودعواته الحثيثة لاستبدال الحروف اللاتينية بالعربية، وتغير هيكلة التعليم في المؤسسات، وانتشار استخدام العاميّات واللهجات بين المتعلّمين مِن أبناء اللغة العربيّة على حساب العربيّة الفصيحة.

مفهوم الحروف:

يُوضّح العالم الرازي[١٣] في شرحه لمعنى الحروف ومدلوها[١٤] أن «الحروف ثلاثة أنواع: فكريّة، ولفظيّة، وخطيّة. فالحروف الفكريّة هي: صور روحانية، في أفكار النّفوس، مُصوّرة في جَوهرها قبل إخراجها، معانيها الألفاظ. والحروف اللفظيّة هي: أصوات محمولة في الهواء، مُدرَكة بطريق الأذنين، بالقوّة السامعة. والحروف الخطيّة

هي: نُقوش خُطّت بالأقلام في وجوه الألواح، وبُطون الطّوامير، مُدركة بالقوّة الناظرة، بطريق العينين. والحروف الخطّيّة، وُضعت ليُدلّ بها على الحروف اللفظيّة. والحروف اللفظيّة وضعت ليُدلَّ بها على الحروف الفكريّة، التي هي الأصل. والحروف اللفظيّة، إنّما هي أصوات تحدث في الحلقوم والحنكين، وفي اللسان والشفتين، عند خروج النّفس مِن الرئة، بعد ترويحها الحرارة الغريزية التي في القلب. وهي ثمانية وعشرون في العربيّة، وتزيد وتنقص في سائر اللغات».

وتنبع أهمية أصوات الكلام مِن أنها تُمثّل الجانب العملي للغة. فلا يرتبط معنى الجملة بأصواتها وحروفها فقط، وإنما كذلك بطريقة إلقائها وتنغيمها. وتنويع الإيقاع ضروري للدلالة على الأوجه الكلاميّة المختلفة

مِن إثبات أو نفي أو استفهام أو تعجّب[١٥].

منهجية تعلّم الحروف:

توصّل مؤلفو منهج تقديم العربية للمبتدئين في مركز اللغات بالجامعة الأردنية إلى البدء بالحروف السلسة التي يتّضح لها مقابل صوتي في لُغات عديدة، [١٦] مثل: (س، م، ب، ل، د، ت، ج، ك، ن، ف، ه، و، ي، ش) فيتعلّمها الطالب مِن خلال كلمة متداولة يحتاجها في حياته اليوميّة، ويشاهد صُورة هذه الكلمة، ويُكرّر نطقها وكتابتها بأشكالها في بداية الكلمة ووسطها ونهايتها. وقد أثبتت التجربة أهميّة تقديم الحركات وشرح دورها في تغيير صوت الحرف ذاته مباشرة مع بداية تقديم الحروف [١٧]. «ونحن إذ نتحدّث عن الحركات لا نعني بذلك الحركات التي تصدر عن نظام الإعراب؛ وهي ضبط أواخر الكلم وفقاً لمواقعها في النظم وحَسْبُ، وإنما نعني بذلك أيضاً الحركات التي توضّح البُنية الصرفيّة للكلمة وتمييزها مِن غيرها في السياقات اللغويّة»[١٨].

وهكذا سرعان ما يتمكّن الطالب مِن ربط ثلاثة حروف فأربعة في كلمة مما سيستخدمها في أحاديثه اليوميّة. فيستشعر الطالب خلال الدرس الأوّل، مع التعرّف إلى سبعة حروف، إنجازاً في تعلّم مهارة الكتابة وممارسة مهارة القراءة. كما يتعلّم مِن هذه الحروف تمييز أنواع الكلمة؛ اسم: (بلد، بنت، ولد، مجلّة، بسمة) وفعل: (كتب، فهم، جلس، لبس، ركب) وحروف المعاني: (من، في، و، بـ، لـ).

ومن ثم يتدرّج مع الحروف الأصعب نطقاً: (ر، ز، ذ، ح، خ، ق، ث، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، أ)

ويربطها قراءةً وكتابةً بكلمات مصوّرة أمامه. وهكذا يتلقّى الطالب مفردات مفيدة لمعجمه الأوّلي مثل: (كلمة، جُملة، دفتر، كتاب، كرسي، نقود، فندق)، ويُميّز نوعي الكلمة: مذكّر ومؤنّث، بفهم دور حرف التاء المربوطة: (مكتب، مكتبة، أستاذ، أستاذة، ملك، ملكة).

إن هذه المرحلة التمهيديّة أساس تمييز الطلاب للحروف المتشابهة بأصواتها والمختلفة بأشكال كتابتها، فتقع المسؤولية الكبيرة على عاتق المعلّم الذي يجب أن يَبينَ في نطق الحروف وإعطائها حقّها صوتياً، (١٩) ليسير معه الطالب وفق منهجيّة علم الأصوات بدلالاته ومنطقيته. كما يجب تقديم أشكال رسم الحرف المتعددة بأسلوب محفّز ليتعرّف الطالب إلى فنّ الخطّ العربي ومكانته وأهميته، فلا يتفاجأ عند رؤية رسم مختلف لما قدّمه له المعلّم أو المنهاج بين يديه: مثال: (الــجامعة، الجامعة) (الـمكتب، المكتب) (حرف السين بالنسخ أو بالرقعة).

علم اللغة التقابلي وتعلّم تمييز الحروف:

مُتعلّم اللغة العربية يحتاج بداية أن يُدرك الفرق في أصوات الحروف المتشابهة -التي يعتقد الكثيرون أنها تمثّل مشكلة خاصّة باللغة العربيّة-، لكنّها مِن الظواهر المتكرّرة بين اللغات، وسيستشعر ذلك بتقديم نماذج مفردات متقاربة الأصوات مِن أكثر مِن لغة. فيُساعد ذلك المتعلم على تقبّل الصّوت مع رمزه الشّكلي، ثم يصل للاقتناع بما قاله العالم اللغوي الكسائي في تفسيره لقواعد لُغويّة: «هكذا خُلِقت». فمع وجود المنطق في شرح كثير مِن الظواهر اللغويّة، إلا أننا نقف أحياناً أمام بعضها لنتقبّلها على حالها الذي تمّ التّوافق عليه وتوارثه أبناؤها. وكما جاء في دراسة «جدوى استعمال التّقابل في تعليم اللغة العربيّة لغير أبنائها»: «نتكلّم اللغة الثانية في ظلّ عاداتنا النطقيّة السابقة، فنُخطئ ونعتقد أنّنا على صواب، مِن هنا تدخل الدّراسات التّقابليّة إلى مسرح تعليم اللغة لنكشف على العادات المعوّقة للتعلّم بمقابلة الفونيم مِن اللغة المنبع بالفونيم مِن اللغة المصبّ للكشف عن نقل العادات أو تداخلها، وهما أمران معروفان في تراثنا

العربي معرفة تامّة »[٢٠].

والإشارة مفيدة في هذه الدراسة لما خصّصه العالم اللغوي ابن جني في القرن الرابع الهجري في كتابه «الخصائص» في هذه القضية اللغويّة القديمة الحديثة: فصلاً في العربي يتنقل لسانه، وفصلاً في تداخل اللغات [٢١].

فمن المهم بدايةً إقناع الطلبة المبتدئين في تعلّم العربيّة بتمييز أصوات الحروف المؤتلفة مِن خلال كلمات وحروف سيستخدمونها؛ بعضها مادي مصوّر، وبعضها الآخر يشرحه المعلّم تمثيلاً وترجمةً. [٢٢] مثال:

أَ : أَلـم ع: عَـلـم

مـا مـع

أن عـن

س: سـوف ص:صـوف

ساعة صعب

خـمـيـس قـمـيـص

ح :حـرم هــ :هـرم

حَـلال هِـلال

لَـوْح وَجْـه

ق : قـلـب ك : كـلـب

فَـقْـر فِـكْـر

راقب رَكبَ

ت : تِـيـن ط :طِـيـن

بَـيْـت خَـيْـط

قتال قطار

د : درَّب ض : ضرب

بَـرْد بَـيْـض

فَـرْد فَرْض

خ : خَـيْـمة غ :غَـيْـمة

خِزانة غَسالة

رَخيص رَغيف

ث :ثلاثة ذ : ذهب ظ : ظافر

لـيـث تـلـمـيـذ محافـظ

اء : مـاء سَـمـاء وَراء الزَّرْقاء

صَحراء شِـتـاء الثُّلاثاء بَـيْـضاء

أ، ؤ، ئ: سأل سؤال أسئلة

أ ، آ ، إ، ا ، ى : أب آلة إن ابن إلى

الـ : الـجامعة الـمـجـلَّـة الـكـتاب الـلـغـة الـعـربـية

الـصَّف الـطَّالب الـسَّـيّارة الـرِّحْـلَة الـطَّريـق

يساعد هذا التمرين على إدراك المتعلّم لصوت الحروف مركّبة، وبالتدريب على استخدامها في جُملٍ متمثّلاً رسمها فيقتنع باختلافها، وبتكرارها تخفّ درجة الالتباس عند سماعها. فيصلُ طلاب المستوى المتقدّم لمرحلة تمييز صوت الحرف مِن خلال معنى الكلمة وربطه بسياقها في الجملة والموضوع.

وللوصول إلى مرحلة إتقان متعلّم العربيّة التّمييز بين الحُروف أجمع الطلاب في الاستبيان على ضرورة الاستماع بتركيز إلى مخارج الأصوات لتمييزها، والأفضل لهم دائماً الاستناد إلى سياق الكلمة في الجملة لاستيعاب مدلولها. كما أشاروا إلى أهمية بيان المتحدّث وفصاحته في الحديث، لاسيما مِن أبناء اللغة، فكلّما حرص المتحدّث على إصدار صوت الحرف واضحاً وإعطائه حقّه اللفظي، تيسّر لهم فهم المعنى ومُتابعة

الكلام [٢٣]. واتفقوا على أن التدرّب اليومي على مهارة الاستماع مِن أنجح الوسائل للوصول إلى درجة الإتقان في فهم الكلمة ومعرفة حروفها عن ظهر قلب. والملاحظ في إجاباتهم استمرارية الإشكالية أحياناً بسبب تأثير اللغة الأم: مثل حرف «ر» و «ل» لدى طلاب الشرق الأقصى، حيث لا يوجد في اللغات اليابانية والكورية والصينية حرف «ر». وقد نجح ثلاثة عشر طالباً وطالبة أي نصف عينة الاستبيان في تمييز حرفي الألف والعين في المفردات التي سمعوها من المعلّم بشكل واضح، وكذلك استطاع أكثر مِن نصفهم كتابة الهمزة في وسط الكلمة وفي نهايتها بشكل صحيح. وأخطأ ثلثهم فقط في حرف الضاد وكتبوه دالاً. وتميّزت كتابة الجُمل بضبط أصوات الحروف، وهناك أخطاء في إهمال ألف واو الجماعة، وإضافة أل التعريف إلى المضاف، واستبدال واحد فقط للهاء بالحاء.

ومن ملاحظاتهم حول بعض مُشكلات تعلّم الحروف في تعلّمهم للعربيّة:

- «تغيّر طريقة كتابة الحرف حسب مَوقعه في الكلمة سواء في أول الكلمة أم منتصفها أم آخرها».

- «أصعب مرحلة كانت تركيب الحروف مثلاً: لم» بدلا مِن «لـــم»، أو «نحن» بدلاً مِن «نــحــن».

- «صعوبة في كتابة الهمزة وعلامات الترقيم، والتمييز بين الألف الممدودة والمقصورة».

- «أماكن الهمزات وكتابة الألف المقصورة أو الممدودة ».

- «الكتابة صعبة لأنها تختلف عن كتابة لغتي فتبدأ مِن اليمين إلى الشمال، واختلاف نطق الحركات وكتابة حروف المد».

- «مشكلة كلمات قليلة استثنائية لأنها تُكتب مختلفة عن قراءتها، ونفس المشكلات من المحادثة: نحتاج إلى حرف بعد الفعل أو شكل صحيح نسبة إلى النحو». (أي حروف المعاني)

- «أجد صعوبات في الشكل واللفظ والمجاز، لأن هذه الصعوبات مختلفة جداً عن الكتابة اليابانية»[٢٤].

- «صعوبتي أن أعبّر عن فكرة بالمفردات التي تعلّمتها ولكن بأسلوب غير صحيح، وأشعر بحاجز كلّما أكتب، وألجأ دائماً إلى القاموس لأستخرج منه الجُمل، فأجد صعوبة في الكتابة السريعة».

- «لا أستطيع أن أكتب باستخدام مفردات كثيراً، توجد المفردات التي أعرف ولكني لا أستطيع أن أستخدمها، أخطئ كثيراً في حرف الجر، وموضوع معرفة ونكرة »(٢٥).

- «مشكلتي مع الإملاء بشكل كبير وخاصة الهمزة والتنوين».

وقد عبَّر الطلاب في الاستبيان عن قدراتهم في تمييز الحروف العربيّة وخاصّة المتشابهة منها مع الممارسة والتدريب الكافي، وقد أثبت تمرين الإملاء ذلك بالفعل. ومما سجّلوه:

- «أجد صعوبة فقط بين (س، ص)، (ت، ط)، (د، ض)، لكن عندما أعرف الكلمة لا أجد مشكلة، وفي رأيي الشيء الذي يساعد أكثر على التمييز هو الممارسة اليوميّة في الشوارع مع العرب».

- «أميّز بين الحروف بأن أضعها في سياق الكلام لأفهمها، والتشابه دائماً مشوش خاصة بين حروف (ر، ل)، (غ، خ) فيُسبّب سوء الفهم».

- «إذا درسنا الفرق بين الحروف المتشابهة بشكل جيد فسنفهم المعنى بشكل أسهل، وسياق الجملة يساعدني على فهم معنى الكلمة والتمييز بين الحروف المتشابهة ».

- «عموماً أسمع في كلمة ما حرف واحد أقوى فأبحث عن الجذر، ولكل كلمة في اللغة العربيّة معان كثيرة، ومستحيل بالنسبة لي أن أفهم الكلمة دون سياق الجملة».

فيبدأ مُتعلّم اللغة العربيّة مِن الناطقين بلغات أخرى رحلته الاستكشافيّة لعالم هذه اللغة الجديدة وثقافتها باستيعاب أصواتها وتقريبها لأصواتٍ يألفها مِن خلال مهارة الاستماع. فالسمع أبو الملكات كما أطلق عليه ابن خلدون في مُقدّمته (٢٦). ثم تلعب الطبيعة الإنسانيّة دَورها في التّعلّم مِن خلال التقليد، فالإنسان يُردّد ما يسمع، ويُحاكي ما يستمع إليه(٢٧). وقد أثبتت دراسات لُغويّة لسانيّة علميّة أن طبيعة الإنسان السليم تؤهّله لنطق الأصوات كافّة، فعليه تعلّم كيفيّة نطقها بعد سماعها بالتدرّب عليها وتكرارها حتى يعتادها.(٢٨) ويكون نطق الأصوات الأمثل في صورة اللفظ المركّب واستيعاب معناه ومدلوله حتى تستقر صورته في الذهن مع إصدار الصوت. وفي هذا

عودة لقول ابن خلدون:[٢٩]«حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ مِن كلام العرب حتى يرتسم في خياله المنوال».

وهذه أمثلة تُبرز فائدة الدراسات التقابليّة بين اللغات: ففي اللغة الإنجليزية مثلاً أصوات متشابهة بين عدد مِن الحروف: K و c / f و ph / s وce.

هذا وقد أثبتت بعض الدراسات اللسانيّة وجود أصوات حروف عربيّة تُقابلها أصوات حروف متشابهة في الإنجليزية دون رموز شكلية مستقلّة، مثل:

صوت حرف «ص» في كلمات باللغة الإنجليزية: subway

وصوت حرف «ض» في كلمات باللغة الإنجليزية [٣٠]: double وdull وdone وهناك اختلاف بين صوتي die وday

وصوت حرف «ظ» في كلمات باللغة الإنجليزية: mother و father و although

ويتشابه صوت حرف «ذ» في اللغة الإنجليزية في كلمتي there وtheir وإن اختلفت أحرفهما.

وكذلك يتشابه صوت حرف «ث» في اللغة الإنجليزية في كلمات: three وthunder.

وقد تحدّث الجاحظ في القرن الثالث الهجري عن اللغات الخاصّة واللهجات موضّحاً كيف أن لكلّ لغة حروفاً تدور في أكثر كلامها كنحو استعمال الروم للسين، واستعمال الجرمقة للعين. كما قال الأصمعي: ليس للروم ضاد، ولا للفرس ثاء، ولا للسرياني ذال[٣١]. وكان ابن سينا في القرن الخامس الهجري سبّاقاً بتخصيص فصل في رسالته التفسيريّة في أسباب حدوث الحروف للحروف الشبيهة وليست في لُغة العرب، حيث عرض لحروف أعجمية (فارسية ويونانية وتركية) تُشبه بعض الحروف العربية مثل: P، V، G.[٣٢] وهناك رأي بوجود بعض هذه الحروف في لهجات عربيّة قديمة[٣٣].

ائتلاف الحُروف وتنافرها في دراسات لغويّة عربيّة

وعن ائتلاف الحروف وتنافرها في نسج الكلمة العربيّة، نستفيد مما ورد في دراسة إسهامات علماء التعمية في اللسانيّات العربيّة[٣٤]:«سبق الأقدمون مِن علماء العربيّة إلى دراسة أحكام نسج الكلمة العربيّة، وذكروا قدراً متفاوتاً مِن قوانين اقتران الحروف وتنافرها في الثنائيات، وأرجعوا علّة ائتلاف الحروف أو اقترانها أو مزجها إلى تباعد مخارج الحروف، وعلّة تنافر الحروف إلى قرب مخارجها، فالأولى تجعل التأليف حسناً، والثانية

تجعله قبيحاً أو ممتنعاً .ويُعَدُّ الكنديُّ (ت ٢٥٦ هـ) أسبقَ أهل التعمية في ذلك، وأكثرهم استقصاء، فقد شرح في رسالته القواعد الأساسية في تحديد ما يقترن مِن الحروف وما لا يقترن، فقسّم الحروف إلى أصلية (١٦) حرفاً، ومتغيّرة زائدة (١٢ حرفاً). ثم شرح قوانين التنافر مقصورةً على الحروف الأصلية مع السين مِن المتغيرة، ويستعرضها حرفاً حرفاً على الترتيب الهجائي، فيذكر مع كل حرف ما لا يقارنه مِن الحروف فاجتمع له مِن حالات التنافر أو قوانينه (٩٤ حالة)، ولا نعلم أحداً سبقه إلى مثل ذلك».

ولقد أدرك علماء العربية خاصيّة «توزيع الأصوات على مدارج النّطق في لغتهم بحيث تجيء الأصوات المؤلّفة للكلمة منسجمة متناسقة خالية مِن الثقل، ليس بينها تنافر يؤذي السّمع، أو عدم انسجام يُفقدها حلاوة النّغم وحُسن التلّقي والقبول. فوضعوا ما يُشبه أن يكون قواعد صوتيّة لما ينبغي أن يكون عليه تأليف الكلمة مِن أصوات. مثال: قرّروا أن العربيّة تتجنّب جمع (الزاي مع الظاء، والسين، والصاد، والذال) وجمع (الجيم مع القاف، والظاء، والطاء، والغين، والصاد) وجمع (الحاء مع الهاء) ووقوع الهاء قبل العين، والخاء قبل الهاء»[٣٥]. وقال الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) في البيان والتبيين:[٣٦]«ومِن صفات اللفظ الفصيح توافق الحروف ضمن الكلمة الواحدة. وهناك حروف لا تجتمع، فالجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين بتقديم ولا بتأخير. والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا بتأخير. وتقتضي الفصاحة أيضا عدم تنافر الكلمات ضمن الجملة الواحدة. وإذا تنافرت الألفاظ صعب النطق بها وبدت غير متلائمة وغير متوافقة. من ذلك قول الشاعر:

وقبر حرب بمكان قفر ... وليس قرب قبر حرب قبر

فقد رأى الكثيرون أن أحداً لا يستطيع إنشاد هذا البيت ثلاث مرات متتالية».

وألّف ابن جنّي (ت ٣٩٢ هـ) كتابه سر صناعة الإعراب ليشتمل على جميع أحكام حروف المعجم، وأحوال كل حرف منها، وكيف مواقعه في كلام العرب. فخصّص فصلاً في مزج الحروف بعضها ببعض، وما يجوز من ذلك، وما يمتنع، وما يحسُن، وما يقبح، وما يصحّ: «وأحسن التأليف ما بوعد فيه بين الحروف (المتقاربة)، فمتى تجاوزا مخرجا الحرفين فالقياس ألا يأتلفا»[٣٧].

وفي تعليم العربيّة للناطقين بغيرها تتدرج مشكلة تنافر الحروف بين حروف المباني (الحروف الهجائية التي تتكون منها الكلمات: أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ،....) في أحاديث الطلاب وكتاباتهم في المستوى المبتدئ فالمتوسط فالمتقدم، لتكون بارزة في بداية تعلّمهم، ولا تلبث أن تخفّ مع تقدّمهم الدراسي للغة ومهاراتها. وتزيد مشكلة تنافر الحروف في استخدامات حروف المعاني (حروف الجر: الباء، اللام، الكاف، مِن، إلى، في، على، عن، ....) بشكل أوضح مِن تنافر حروف المباني، حيث يختلف معنى الكلام باختلاف الحرف الرابط في الجملة.

وكان العالم اللغوي أبو الحسن علي بن عيسى الرّماني (ت ٣٨٨ هـ) كتب رسالة في منازل الحروف، ذهب فيها إلى حصر طائفة مِن حروف المعاني وبيان أغراضها مع ذكر شواهدها ما ورد في كلام العرب وأشعارهم. وبدأها الرماني باللامات وذكر منها اثنتا عشرة وهي: لام الابتداء، ولام القسم، ولام الإضافة، ثم انتقل إلى «الألفات»، فقال إنها إحدى عشرة، ثم «الباءات»، وما ورد في «ما» ووجوهها، و «مَن» وأحوالها، و «أن» المخفّفة، و «إن» المخفّفة المكسورة الهمزة، والفرق بين «إنْ» و«أنْ».

فاستيعاب متعلّم العربيّة لغة ثانية لأهميّة حروف الجر مع الأفعال تمثّل مرحلة أساسيّة في الوصول إلى الكفاية اللغويّة، وإن كان المعنى المقصود واضحاً في حديثه وكتابته. وكذلك استيعابه لأهمية «أل التعريف» مع الصفات المعرّفة، ومع الإضافة. والفرق بين «الباء» و «في». والفرق بين «اللام السببية» و «بسبب».

وهذه بعض نماذج إجابات الطلبة في الاستبيان كما وردت:

- «الأستاذ خرج الصف لطباعة الورقة».
- «سافرت إلى هنا لدراسة لغة العربية ».
- «عُلّمتُ بأمي».
- «لم أدرس الكتابة أو التحدّث أو نطق في الجامعتنا، والآن أنا أدرس هذه مهارات«.
- «سافرت للأردن للمنحة الدراسية ». «أنا مبعوث بالحكومة».
- «علّمتني أستاذتي كل شيء الذي أعرفه عن الأدب».
- «أريد أن أسافر على العالم كله».

وصول مُتعلّم العربيّة لدرجة البيان في المحُادثة والكتابة:

يقول الفارابي في كتابه «الحروف»:» يُرى أن يُحدث صناعة علم اللسان قليلاً قليلاً بأن يتشوّق إنسان إلى أن يحفظ ألفاظهم المفردة بعد أن يحفظ الأشعار والخُطب والأقاويل المركّبة، فيتحرّى أن يفردها بعد التركيب، أو أراد التقاطها بالسّماع مِن جماعتهم ومِن المشهورين باستعمال الأفصح مِن ألفاظهم ... فنقول إنّه ينبغي أن يؤخذ عن الذين تمكّنت عادتهم لهم على طول الزّمان في ألسنتهم وأنفسهم تمكّناً يحصّنون به عن تخيّل حروف سوى حروفهم والنّطق بها، وعن تحصيل ألفاظ سوى المركّبة عن حروفهم، وعن النّطق بها »[٣٨].

ومِن هنا فإن الطريقة الأفضل لمتعلّم العربيّة مِن الناطقين بغيرها أن يتعرّف إلى الحرف مِن خلال الكلمة، ثم يستوعب معنى الكلمة في سياقها في جملة قصيرة، ليُميّز تدريجياً المعنى والمدلول رابطاً في ذهنه الصّوت بالرّمز والشّكل مِن خلال مهارتي الاستماع والقراءة خاصةً.

فعند تعلّم كلمة جديدة، يجب على الطالب استيضاح معناها ومدلولها ومِن ثمّ استخدامها في سياقات متعدّدة في جمُل قصيرة مِن خلال مهارتي المحادثة والكتابة خاصةً. والحفظ في تعلّم اللغات واكتسابها سيّد الأساليب، ويتأتى ذلك بممارسة القراءة باللغة الهدف وتنوّع المادة مِن نُصوص أدبيّة كُتبت لأبناء اللغة، والواجب الكتابي اليومي، والتعبير عن الذات بها للتواصل والتفاعل. وفي البيان والتبيين ذكر الجاحظ ما سمعه عن أبي مسلم يقول[٣٩]: «سمعت الإمام إبراهيم بن محمد يقول: يكفي من حظ البلاغة ألا يؤتى السامع مِن سوء إفهام الناطق، ولا يؤتى الناطق مِن سوء فهم السامع».

وهذه أمثلة لمنهجية أتّبعها في تقديم المدلول المعنوي للكلمة بحروفها المؤتلفة مِن خلال السّياق:

سارت الأمور بسرعة / صارت الأمور مُعقّدة

حَرف في وسط الكلمة / حَرّف الكلم عن مواضعه

سلك طريقاً / هاتف لا سلكي / رفع السلك

شَقّ طريقه / شَقة جديدة في الطريق

صاحب الفكرة / صحبه إلى المطعم / سحب أوراقه /

قلّدهُ وسام الاستحقاق / راقب الممثّل ذلك الشخص ثم قلّده.

قُلْ كلمتك / كُلْ خُبزتك / كُلْ كُلَّ طعامك

قَبِلَ القرار / قَبْلَ فوات الأوان / قُبِلَ في الوظيفة / قَبَّلَ أمّه / قابلَ أصدقاءه /

أهمية الحركات في إبراز الحروف

سُئل أحدهم: مَنْ أَسْعَدُ النّاسِ؟ قال: مَنْ أَسْعَدَ النّاسَ (٤٠).

تمتاز اللغة العربيّة بكونها اللغة الصامدة وسط لُغات العالم في عصرنا الراهن بفضل حروفها، فبمعرفة الحروف العربيّة صوتاً وشكلاً يُمكن قراءة ما كُتب ودُوّن منذ ألف وخمسمائة عام. والحركات التي كتبها الخليل بن أحمد الفراهيدي في القرن الثاني الهجري؛ الفتحة والضمة والكسرة، ورَمْز السّكون، لا زلنا نستعملها ونحتاجها. وفي الحركات قال ابن جني: «اعلم أن الحركات أبعاض حروف المدّ واللين، وهي الألف والياء والواو. فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث. وإنما سُمّيت هذه الأصوات الناقصة حركات، لأنها تعلّق الحرف الذي تقترن به وتجذبه نحو الحروف التي هي أبعاضها. فالفتحة تجذب الحرف نحو الألف، والكسرة تجذبه نحو الياء، والضمّة تجذبه نحو الواو»(٤١). أمّا عن ظاهرة رمز «السكون» فيجب إيصال قيمتها الوظيفية لمتعلّمي العربية، فهي تُميّز الحرف الخالي مِن الحركات الثلاث، وهذا التمييز له أهمّيّة صوتيّة ونحوية، وللسكون وظيفة موسيقية (٤٢).

فبقدر أهمية الحركات الدلالية لتوضيح المعنى بدقّة، بقدر ما تُضيف مِن خصوصية فنّيّة جماليّة لشكل الحروف العربيّة. ومتعلّم العربيّة بشكل عام يحتاج لمشاهدة الحركات فوق الحروف ليُحسن القراءة، بقدر ما يحتاج لسماع أصواتها ليُحسن الاستيعاب، ولاسيما طلاب العربية مِن الناطقين باللغات الأخرى. فالبدء بتعلّم الحروف بصحبة الحركات والأشكال أثبت سرعة الأخذ بها وإتقانها. «وإذا كان كثيرٌ مِن أبناء العربية يتعثّرون في نطق الكلمات وفقاً للشكل الصحيح لبُنيتها اللغويّة فإنّه مِن غير المُستهجن

أن يقع متعلّمو العربيّة لغةً ثانية في كثير مِن هذه الأخطاء التي قد تنتقل بأداءاتهم اللغويّة مِن الصّحّة اللغويّة إلى الخطأ أو الخطأ الفاحش أحياناً. وهي أخطاء يمكن ملاحظتها في محورين اثنين: إنتاج الكتابة، والمحور الثاني: استهلاك الكتابة »[٤٣].

وقد كانت هناك تجربة في منهاج الجامعة الأردنية قبل عقد ونصف لتقديم الحروف دون الأشكال والحركات، فكان هناك تساؤل مستمر حول فروقات أصوات الحروف نفسها في كلمات مختلفة؛ مثال: دَرَسَ، دَرَّسَ، دَرْسٌ، دُرِسَ .... فيسمعونها ويُحاولون تمييزها ولا يفهمون المنطق دون شرح وجود هذه الحركات والأشكال التي تغيّر مدلول الكلمة وإن تماثلت حروفها. وقام مؤلفو المنهاج بتطويره في الطبعة الثانية لتُقدَّم الحركات والأشكال مع الحروف مباشرة، فتماشى الطلاب مع هذه الطريقة المباشرة بشكل أفضل.

وقد عبّر غالبية طلاب المستوى المتقدّم في الاستبيان عن اضطرارهم للتفكير في جذر الكلمة ومِن ثم مكانها في السياق وللكلمتين قبلها وبعدها ليفهموا المعنى بوضوح دون وجود الحركات، كما هو الحال في لغة كتب المناهج الدراسية، والصحف والروايات والقصص.

ويتساءل عددٌ مِن متعلّمي العربيّة لغة ثانية عن سبب تخلّي غالبية أبناء اللغة العربيّة عن الحركات والأشكال في كتاباتهم الرسمية، وهي مما يُميّز العربيّة كلغة اشتقاق، ومما يُضفي جمالاً في رسم الخطوط وتشكيلها؛ فالنّص يُزيّن بالحركات والأشكال.

فتمثّل ضرورة الالتزام بوضع الحركات والأشكال لأنها تُجنّب المتعلّم تحريف الكلم عن مَواضعه. ونستشهد بما أنشده العالم اللغوي ابن السكيت[٤٤] صاحب كتاب الحروف التي يتكلم بها في غير موضعها:

يُصابُ الفَتى مِن عثرةٍ بِلِسانِهِ وليس يُصاب المرءُ مِن عثرةِ الرِّجْلِ
فعثرته في القولِ تُذهبُ رأسَهُ وعثرتُهُ في الرِّجْلِ تبرا على مَهْـــلِ

خاتمة

كما هي الحروف في الكلم، وجه البيان والمعاني للتواصل باللغة، تتآلف وتتنافر، كذلك الأرواح في الأجساد جُنودٌ مجنّدة ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف(٤٥). فالحروف وجه التفاعل الإنساني بأصواتها في مهارتي المحادثة والاستماع، وبرموزها في مهارتي الكتابة والقراءة. وبالحرف وحده لا تظهر الدلالة المعنوية، وإن كان الفراهيدي أطلق أسماء للحروف مستقلة، إلا أن الحرف وحده يُضفي معنى جوهرياً للكلمة بائتلافه مع حرف آخر أو أكثر، ومع الحركة الملازمة له أو ساكناً.

وللحروف العربيّة قُدسية صبغتها ارتباطها بالنّصّ السماوي والكتاب المحفوظ(٤٦)، وهو ما يدعو أبناءها لتقدير خصوصيتها ورفع شأنها بمزيد مِن الاهتمام بنطقها نطقاً سليماً، وبإعطاء كل حرف حقّه في الكلمة، وبالعناية بكتابتها بأشكالها في رسم واضح وجميل، وبالإبداع في قراءتها قراءة تبرز أنغام أصواتها مع الحركات والسكون، وبالاستمتاع في الاستماع لألحانها على ألسنة مُتحدّثيها مِن أبناء العالمين.

فالحروف سرّ مِن أسرار الخلود الإنساني، وبها نُعرف، وبها نتواصل، وبها نحفر إنجازاتنا لتُحدِّث عنّا مَن يأتي بعدنا فيقرأ آثارنا.

والدعوة ملحّة اليوم إلى الاهتمام بتطوير منهجيّة مناهج تعليم العربيّة لكلٍّ مِن أبنائها وللناطقين بغيرها، وواجب على المتخصّصين في العربيّة لُغويّا واجتماعياً وتربوياً وعلمياً تيسير اكتساب الجوانب الصوتية في تقديم اللغة بمفرداتها وتراكيبها، والاستفادة مِن هذا التقدّم التكنولوجي بتوظيف الوسائل الحديثة داخل القاعة الصفية وخارجها، فالمنهج والمعلّم والطالب تمثّل الركائز الثلاث الأساسيّة للعمليّة التعليميّة(٤٧). فبإتقان متعلّمي العربية للحروف بدايةً وربطها في مفردات فجُمل ففَقرات يصلون للكفاية المبتغاة في مهارات الاستماع والتحدّث والقراءة والكتابة.

ملحق:

أسئلة الاستبيان:

- ما هي الصُّعوبات التي واجهتك في تعلّم الكتابة العربيّة؟
- كيف يُتقن مُتعلّم العربيّة الكتابة مِن خلال تجربتك؟
- كيف تفهم المُفردات دون حركاتها؟
- هل تضع الحركات في كتابتك بالعربيّة؟
- هل تعلّمت أشكال الخُطوط المُتنوّعة بكتابة الحُروف العربيّة منذ بداية دراستك للعربيّة؟
- كيف تميّز بين الحروف المتشابهة عند سماعها مثل: (س، ص) (ق، ك) (د، ض)؟
- هل يُسبّب التشابه في أصوات بعض الحروف صُعوبة في فهم المعنى؟
- هل يُساعد المنهاج الدّراسي على تمييز أصوات الحروف وضبط كتابتها؟
- هل تقرأ الكلمة في سياق الجملة لتفهم معناها وتنطقها بشكلٍ صحيح؟
- ماذا فعلت في عطلة نهاية الأسبوع الماضي؟
- من خرج من الصف؟
- لماذا سافرت للأردن؟
- ضع هذه المفردات في جُمل قصيرة:
- عِلم عَلَم عَلِمَ عَلَّمَ عُلِمَ عالِمٍ عالم
- اكتب ما تسمع:
- أعلم –أعلام –علّام –عامِل –عُمّال
- غرفة –رغيف –رغدة –روضة –غريق
- درسي صعب –ضرسي يؤلمني
- شيء –سيئ –براءة –كفاءة –شاطئ –مئذنة

• اكتبوا الجُمَل الآتية:

• الطلاب قرأوا نصوص كتاب المستوى السادس

• وناقشوا مقالات من صحيفة الرأي الأردنية

• وكتبوا عن مناهج العربيّة التي درسوها في السابق

• وتحدّثوا عن أعلام يتذكرونهم في الحضارة العربيّة الإسلامية

• وحكوا في موضوعات ثقافيّة وأدبيّة وعلميّة

• واستمعوا إلى تسجيلات للشخصيات التي تعرّفوا إليها في الدروس

• كل يوم يُحضّرون واجباتهم ليتحاوروا مع زملائهم، ويتعلّمون مادّة جديدة.

الهوامش:

(١) الحروف للخليل بن أحمد الفراهيدي (وفاته ١٧٥ هـ)، الحروف لأبي الحسن علي بن حمزة الكسائي (وفاته ١٨٩ هـ)،

الحروف يُقال إنّه للنضر بن شميل (وفاته ٢٠٣ هـ)، الحروف في اللغة لأبي عمرو إسحاق بن مرار الشيباني (وفاته ٢٠٥ هـ)، الحروف لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت (وفاته ٢٤٤ هـ)، الحروف لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (وفاته ٢٨٥ هـ)، الحروف للفارابي (وفاته ٣٣٩ هـ) وكتابه الألفاظ، معاني الحروف لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (وفاته ٣٣٩ هـ)، الحروف في اللغة لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي (وفاته ٣٧٠ هـ)، الحروف لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني (وفاته ٣٨٤ هـ)

معاني الحروف وأقسامها لأبي القاسم حسين بن الوليد بن العريف (وفاته ٣٩٠ هـ) الحروف في النحو لأبي عبد الله محمد بن جعفر القزاز (وفاته ٤١٢ هـ) الحروف لأبي الحسن المزني (وفاته ٤٣١ هـ) معاني الحروف لعبد الجليل بن فيروز بن الحسن الغزنوي النحوي. شرح معاني الحروف لعلي بن فضال بن علي المجاشعي (وفاته ٤٧٩ هـ) الحروف لأحمد بن محمد الرازي (وفاته حوالي ٦٣١ هـ)، معرفة الفرق بين الضاد والظاء لابن الصابوني الصدفي الإشبيلي (وفاته ٦٣٤ هـ).

(٢) درّست الباحثة اللغة العربية وثقافتها وآدابها خلال عقدين من الزمان لأبناء اللغات الأخرى في المستويات المبتدئة والمتوسطة والمتقدمة، ولأبناء العربية في مواد متطلبات جامعية، ودراسات عليا.

(٣) أول ما يلتقيه المتعلم من اللغة صوتاً وشكلاً ورمزاً للتعبير بها عن مدلوله الذهني. «فالحرف منتهى الجسم. انظر وجوه الكلمة في بصائر ذوي التمييز ٢ / ٤٥٢، ومختصر الوجوه في اللغة للخوارزمي ٢٩ - ٣٠، والمنجد ١٧٨». رمضان عبد التواب، ص ١٤٦.

(٤) في الصحاح للجوهري: حرْفُ كل شيء طَرَفُه وشفِيرُه وحَدُّه، ومنه حَرْفُ الجبل وهو أَعْلاه الـمُحدَّدُ.

(٥) في لسان العرب: الحَرْفُ في الأَصل: الطَّرَفُ والجانِبُ، وبه سمي الحَرْفُ من حروف الهِجاء.

(٦) في لسان العرب: قال الأَزهري: كلُّ كلمة بُنِيَتْ أَداةً عارية في الكلام لِتَفْرِقَة المعاني واسمُها حَرْفٌ، وإِن كان بناؤها بحرف أَو فوق ذلك مثل حتى وهل وبَلْ ولعلّ.

(٧) هو من قولهم: حرف حرفاً: أي كسب.

(٨) ورد في معجم «العباب الزاخر واللباب الفاخر للصغاني» الحرفة -بالكسر-: الطعمة وهي الصناعة التي منها يرتزق. وكل ما اشتغل به الإنسان وضري به من أي أمر كان فإن العرب يسمونه صنعة وحرفة، يقولون: صنعة فلان أن يفعل كذا، وحرفة فلان أن يفعل كذا، يريدون: دأبه وديدنه».

(٩) وردت كلمة «حرف» في الكتاب الحكيم ست مرات، أربع مرات منها بمعنى تغيير المعنى عن المدلول المراد باللفظ، ومرة بمعنى جهة ما. ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾(سورة النساء، الآية ٤٦). و ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾(سورة المائدة الآية ١٣) و﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ (سورة المائدة الآية ٤١).ومرة بمعنى التحايل: ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهَّ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾(سورة الأنفال الآية ١٦). ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللهَّ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾(سورة الحج الآية ١١). أَي إذا لم يرَ ما يحب انقلب على وجهه، قيل: هو أَن يعبده على السرَّاء دون الضرَّاء. وقال الزجاج: على حَرْف أَي على شَكّ.

(١٠) أبو نصر الفارابي (٢٦٠ -٣٣٩ هـ / ٨٧٤ -٩٥٠م) الفيلسوف المعلم الثاني، يبحث في كتاب «الحروف» في أصل اللغة ونشوئها وعلاقتها بالفلسفة والملة، ويُفسّر فيه الكتاب الموسوم بالحروف لأرسطوطاليس «فيما بعد الطبيعة». ص ٣٦، وص ١٧٣.

(١١) واليوم نتمثل هذه التجربة حيث تَوافَق شبابُ الأمّة العربيّة في عصر العولمة الذي نعيشه على وضع رُموزٍ لأصواتِ حروف في مكانِ بعض حُروف الأبجديّة العربيّة المتوارثة. وقد لجأوا في هذا التّطوير للتفاعل بين اللغات والمزج بين أشكالٍ مِن أكثر مِن لغة، مِن أجل تيسير مهارة الكتابة -خاصةً-مع انتشار وسائل التكنولوجيا الحديثة.

وكان الهدف مِن وراء ذلك -غالباً-تمييز أصوات الحروف المتشابهة في اللغة العربيّة مع ما يُقاربها باللغة الإنجليزيّة -لُغة العولمة في هذا العصر-لعدم وجود حروف تُبرز تلك الأصوات. فكانت الاستعانة بالأرقام (التي هي أرقام عربيّة أصلاً؛ مِن الإرث التاريخي) مثال: حرف «ء» = ٢، و «ع» = ٣، وحرف «خ» = ٥، وحرف «ط» = ٦، وحرف «ح» = ٧، وحرف «ق» = ٨، وحرف «ص» = ٩. وكذلك توافق بعض العرب على تمييز صوت حرف «P» بوضع ثلاث نقاط أسفل «ب»، وحرف V»» بوضع ثلاث نقاط فوق «ف».

(١٢) خصّص مَجمع فؤاد الأول للغة العربية بالقاهرة مؤتمره سنة ١٩٤٤ لموضوع تيسير الكتابة العربية، بعد سلسلة مِن الدورات منذ عام ١٩٣٨.

(١٣) الرازي، أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار، أبو العباس (وفاته عام ٦٣١ هـ) الفقيه الحنفي الصوفي المفسّر.

(١٤) رمضان عبد التواب، ثلاثة كتب في الحروف، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص ١٤٧.

(١٥) أحمد مختار عمر، الدراسات الصوتية وتعليم اللغة العربيّة للأجانب، وقائع تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، المدينة المنورة، جمادى الأولى ١٤٠١ هـ. ص ٨٣، ٨٨.

(١٦) شاركت الباحثة في تأليف أربعة كتب من منهاج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في مركز اللغات بالجامعة الأردنية منذ عام ٢٠٠٠م.

(١٧) للمزيد انظر:

Basma A. S. Dajani & Fatima M. A. Omari. A Critical Study of Three Textbooks for Teaching Arabic to Non-Native Speakers. Procardia-Social and Behavioral Sciences. P 477.

(١٨) فاطمة محمد أمين العمري وبسمة أحمد صدقي الدجاني، مقاربة في أسس تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، أشغال الندوة الدولية ديداكتيك التعدد اللغوي تعليم وتعلم اللغات، جامعة محمد الخامس بالرباط، ٢٧-٢٨/ ١١/ ٢٠١٢. منشورات التدريس ٢٠١٥.

(١٩) لمزيد انظر: بسمة أحمد صدقي الدجاني، معلم اللغة العربية للناطقين بغيرها: القابلية والتمكّن، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، عمادة البحث العلمي بالجامعة الأردنية، المجلد ٤٠، العدد ٢، ٢٠١٤.

(٢٠) تمام حسّان، جدوى استعمال التقابل في تعليم اللغة العربية لغير أبنائها. وقائع ندوات تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، الجزء الثاني، المدينة المنورة، ١٤٠١ هـ.ص ٧٨.

(٢١) للمزيد انظر ابن جني، الخصائص، وتمام حسّان، ص ٩٣.

(٢٢) هذه منهجية أقدمها للطلاب لتساعدهم في تمييز الحروف العربية المؤتلفة صوتاً بجانب تقديم بعض الكلمات الإنجليزية التي تتآلف صوتياً وتختلف في المعنى والمدلول لتوضيح دور الحرف في تغيير معنى الكلمات متشابهة الأصوات، مثال: /for, four were, where / see, sea/ right, write/ too, two/ hi, high/ by, buy, bye/ /her, hair, heir, hare/ I, eye / there, their . وللمزيد انظر:

Basma A. S. Dajani & Fatima M. A.

Omari. A Comparison between the Arabic and the English Language. Procedia- Social and Behavioral Sciences. P. 705.

(٢٣) عند الاستماع إلى عدد كبير مِن أبناء اللغة العربيّة، يُلاحظ سرعتهم الزائدة في نطق المفردات فلا يأخذ الحرف صوته كاملاً، وتتداخل الحروف، فيفقد المستمع، وخاصةً مِن متعلّمي العربيّة لغة ثانية، القدرة على متابعة الحديث.

(٢٤) كتبت الطالبة اليابانية المجتهدة في المستوى المتقدم كلمة مختلفة (مخترفة) لأن حرف اللام غير موجود في اللغة اليابانية، وهي ظاهرة إشكالية عامة بين أبناء تلك اللغة.

(٢٥) للمزيد عن أخطاء المعرفة والنكرة انظر: حاجة رفيزة بنت حاج عبد الله وبسمة أحمد صدقي الدجاني، أخطاء الطلبة البروناويين في استعمال التعريف والتنكير في اللغة العربية: دراسة وصفية تحليلية، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، قبول نشر في ٩/ ٦/ ٢٠١٦.

(٢٦) ابن خلدون، المقدمة، دار إحياء التراث الإسلامي، ص ٥٤٦

(٢٧) تجربة إنسان الغابة نموذج في التواصل بين مخلوقين مختلفين في القدرات بالاعتماد على محاكاة الأصوات الغالبة. وهذا ما صوّره ابن طفيل في قصته الإبداعية «حي بن يقظان» في القرن السادس الهجري.

(٢٨) سمير شريف استيتية: محاضرة حول دراسة تقابلية بين أصوات حروف اللغتين العربية والإنجليزية.

(٢٩) ابن خلدون، المقدّمة، ص ٥٦١.

(٣٠) يرى كمال بشر في كتابه «دراسات في علم اللغة» أن صوت الضاد الشبيه في اللغة الإنجليزية ليست له قيمة الضاد العربية، فصوت الضاد يأتي في رأيه في قمة السمات الصوتية التي تنفرد به اللغة العربية. ص ١٩٨.

(٣١) يوهان فك، «العربية: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب» ترجمة» رمضان عبد التواب، ص ١١٩.

(٣٢) ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد حسان طيان ويحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٨٣، ص ٨٦.

(٣٣) فهد خليل زايد، المستوى الصوتي الحروف ودلالاتها في اللغة العربية، دار الصفوة للنشر والتوزيع، عَمّان، ٢٠١١، ص ٤٨.

(٣٤) يحيى مير علم، ص ٢٣، ٢٤، ٢٦.

(٣٥) كمال بشر، دراسات في علم اللغة، ص ١٩٦.

(٣٦) الجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ، ص ١٦.

(٣٧) أبو الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، الجزء الثاني، ص ٨١٢.

(٣٨) الفارابي، كتاب الحروف، ص ١٤٥.

(٣٩) الجاحظ، البيان والتبيين، ص ٦١.

(٤٠) حكمة متداولة.

(٤١) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ص ١٩، ص ٣٠.

(٤٢) كمال بشر، دراسات في علم اللغة: السكون في اللغة العربية، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٧٦، ١٧٨.

(٤٣) فاطمة محمد أمين العمري وبسمة أحمد صدقي الدجاني، مقاربة في أسس تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، أشغال الندوة الدولية: ديداكتيك التعدد اللغوي تعليم وتعلم اللغات، جامعة محمد الخامس بالرباط، كلية علوم التربية، ٢٧-٢٨/ ١١/ ٢٠١٢، منشورات التدريس، ٢٠١٥.

(٤٤) ابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) إمام اللغة والنحو والأدب.

(٤٥) حديث نبوي شريف.

(٤٦) افتتحت تسع وعشرون سورة في الكتاب الحكيم بحروف مقطّعة كآيات وكأجزاء آيات.

(٤٧) للمزيد انظر: حمزة المسند وبسمة أحمد صدقي الدجاني، منهاج تعليم العربية للناطقين بغيرها: تعليم الأصوات أنموذجاً، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة زيان عاشور الجلفة بالجزائر، العدد ٢٤، سبتمبر ٢٠١٦.

المراجع والمصادر

- القرآن الكريم.

- معجم الصحاح للجوهري.

- معجم لسان العرب.

- معجم العباب الزاخر واللباب الفاخر للصغاني.

- ابن خلدون، المقدمة، دار إحياء التراث.

- ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله، الشيخ الرئيس، رسالة أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد حسّان طيّان ويحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٨٣.

- أبو الحسن علي بن عيسى الرُّمّاني، رسالتان في اللغة، حقّقهما وعلّق عليهما وقدّم لهما إبراهيم السامرائي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمّان، ١٩٨٤.

- أبو الفتح عثمان بن جني، سرُّ صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ١٩٨٥.

- أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص.

- أبو نصر الفارابي، كتاب الحروف، حقّقه وقدّم له وعلّق عليه محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ١٩٦٩.

- أحمد مختار عمر، الدراسات الصوتية وتعليم اللغة العربية للأجانب،

- بسمة أحمد صدقي الدجاني، معلّم اللغة العربيّة للناطقين بغيرها: القابلية والتّمكّن، مجلة دراسات العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الأردنيّة، المجلد ٤٠، العدد ٢، ٢٠١٣.

- تمام حسّان، جدوى استعمال التقابل في تعليم اللغة العربية لغير أبنائها. وقائع ندوات تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، الجزء الثاني، المدينة المنورة، ١٤٠١ هـ. ص ٧٣ -٩٣.

- الجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ.

- حاجة رفيزة بنت حاج عبد الله وبسمة أحمد صدقي الدجاني، أخطاء الطلبة البروناويين في استعمال التّعريف والتّنكير في اللغة العربيّة: دراسة وصفيّة تحليليّة. مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة. مقبول للنشر في ٢٠١٦.

- حسن عبّاس، خصائص الحروف العربيّة ومعانيها، منشورات اتحاد الكُتّاب العرب، دمشق، ١٩٩٨.

- حمزة المسند وبسمة أحمد صدقي الدجاني، منهاج تعليم العربيّة للناطقين بغيرها: تعليم الأصوات أنموذجاً، مجلة دراسات وأبحاث جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر، العدد ٢٤، سبتمبر ٢٠١٦.

- الخليل بن أحمد وابن السكيت والرازي، ثلاثة كُتُب في الحروف، حقّقه وقدّم له وعلّق عليه رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٨٢.

- رمضان عبد التواب، ثلاثة كتب في الحروف، مكتبة الخانجي، القاهرة.

- ف عبد الرحيم، أخطاء دارسي اللغة العربيّة في النّطق، وقائع تعليم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها، الجزء الأوّل: المادّة اللغويّة، المدينة المنوّرة، ١٤٠١ هـ، ص ٩١ -٩٩.

- فاطمة محمد أمين العمري وبسمة أحمد صدقي الدجاني، مُقاربة في أسس تعليم اللغة العربيّة للناطقين بغيرها، أعمال الندوة الدوليّة ديداكتيك التّعدّد اللغوي، تعليم وتعلّم اللغات، جامعة محمد الخامس بالرباط، ٢٧ -٢٨/ ١١/ ٢٠١٢. ص ٨٧-٩٨.

▼ فهد خليل زايد، المستوى الصوتي الحروف ودلالاتها في اللغة العربيّة إعرابها، ودلالاتها، مخارجها، دار الصفوة للنشر والتوزيع، عمّان، ٢٠١١.

▼ كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨.

▼ Basma A. S. Dajani & Fatima M. A. Omari. A Critical Study of Three Textbooks for Teaching Arabic to Non-Native Speakers. Procedia-Social and Behavioral Sciences.



تَرْتيبُ الحروفِ العربيةِ ومراتبُها: الأبجديّ والهجائيّ والصوتيّ

د. عبد العاطي هواري

أستاذ مساعد بجامعة جورج واشنطن -واشنطن دي سي، الولايات المتحدة الأمريكية.

الملخص

تأتي أهمية موضوع ضبط قائمة الحروف العربية من ثراء هذا القائمة، ولانتشار استعمال منظومة الحروف العربية في لغات متعددة؛ إذْ إنها تحتل المركز الثاني- بعد منظومة الحروف اللاتينية -بين أكثر منظومات الحروف المستخدمة في نظم الكتابة انتشارا في العالم [1].

وموضوع هذا الفصل هو درس طرائق ترتيب الحروف العربية ومراتبها المتنوعة بتنوع السياق البحثي اللساني النظري والتطبيقي؛ فيرصد الطرائق المختلفة لترتيب قائمة الحروف العربية، وتباين مراتبها وفقا لمنطلقات النظر إليها والغاية منها. فيبدأ الفصل - بعد تمهيد مصطلحي مفهومي -باستعراض لجوانب منظومة الكتابة العربية، ووحداتها المختلفة (graphemes)، حروفا أصلية، وحروفا / رموزا مستحدثة، والرموز الصوتية التي تضبط النطق كرموز التشكيل ورموز الكتابة العثمانية. ثم يتناول طرائق الترتيب المختلفة؛ الهجائية، والأبجدية، والصوتية المخرجية. ويسعى لاستخلاص معايير الترتيب؛ الصوتية المخرجية، والشكلية، والإيتيمولوجية / التأثيلية. كما يناقش التفسيرات المفترضة لمحتوى كل نوع من أنواع الترتيب وغاياته؛

التعليمية والبحثية، واستخداماته وتوظيفه على المستويين؛ البحثي النظري، والتطبيقي. فعلى المستوى النظري يؤسس الفصل لكل طريقة من طرق الترتيب؛ فيستخلص المعايير التي بنى عليها، وفلسفته، وجدواه. وعلى الجانب التطبيقي، يقدم الفصل فحصا لتوظيف ترتيب منظومة الحروف العربية في المجالات التطبيقية مثل تعليم اللغة للمبتدئين، والصناعة المعجمية، والفهرسة(indexing). وإذْ يُعَد النظام الهجائي / الأورثوجرافي (orthographic system) التمثيل البصري للنظام الفونولوجي؛ فإن حديثنا عن الحروف العربية لابد أن يتطرق بنا للحديث عن التقابلات المتنوعة بين الوحدات الفونولوجية (الفونيم)، والوحدات الهجائية / الأورثوجرافية (الجرافيم) لدى تمثيل الوحدات الفونولوجية بالحرف العربي، أو برموز من لغات أخرى. كما في الألفبائية الصوتية الدولية (IPA).

تمهيد

تُعرَّف اللغة، في بعض تعريفاتها، بأنها «أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم»[٢]. ومثل هذا التعريف يركز – في غير قليل من التجريد –على الجوانب الصوتية؛ المسموعة والمنطوقة، إضافة إلى الوظيفة الذرائعية. وفي مستوى تحليلي أبعد؛ تُحَوَّل هذه الأصوات إلى رموز بصرية، لتكوين قائمة بحروف اللغة، أو الأبجديّة[٣] الّتي تشتمل على رموز اللغة الكتابية (منظومة الكتابة)، وقواعد لهجاء كلماتها(الإملاء)؛ لتكون اللغة مكتوبة مقروءة. ولعل أول تحليل لساني حقيقي للغة كان محاولة تحويلها إلى لغة مكتوبة؛ وذلك باختراع منظومة الكتابة الأبجدية؛ حيث كان ذا عملا تحليليا، تم فيه التوصل إلى لائحة الوحدات الصوتية (الفونيمات) المكونة لـ(كلمات) اللغة، إضافة إلى كل التنوعات الصوتية الممكنة لكل فونيم.

ولقد استعملت اللغةُ العربيةُ الأبجدية السامية، رغم قصورها مقارنة بعدد حروف العربية. وقد زادت الثقافة العربية الحروف الستة التي لم تجدها في الأبجدية السامية. ثم استحدثت إصلاحات متعددة لمنظومة الكتابة العربية؛ تطورت بتطور الحضارة العربية والإسلامية؛ حتى انتشرت اللغة العربية؛ واتسعت جغرافية الحرف العربي لتكتب بها لغات كثيرة غير العربية.

ولقد ارتبط الحرف العربي بالهوية الإسلامية والعربية؛ للدرجة التي يمكن الزعم فيها بأن دعوةً إلى هجر الحرف العربي أو دعوة مناهضة تقاتل من أجل التمسك به؛ إنما تعودان في دوافعهما إلى موقف أيديولوجي. الحرف الشريف: فارتباط الحرف العربي بالقرآن جعل الدول الإسلامية غير العربية التي دخلها الإسلام تطلق على الحرف العربي اسم الحرفَ الشريف. كما أن التحول المجتمعي الذي حدث في تركيا في النصف الأول من القرن العشرين؛ إنما صاحبه ما يسمى بالانقلاب اللغوي الذي وقع بقانون يفرض استخدام الحروف اللاتينية لكتابة اللغة التركية، وطرح استخدام الحرف العربي الذي كانت تكتب به من قبل. حدث هذا في إطار عام لمحاولة نزع تركيا من محيطها الإسلامي والأسيوي والعربي، إلى الفضاء الأوروبي وحرفه. كما نجد عددا من العلوم والفنون تهتم بدرس الحرف العربي من زوايا مختلفة؛ مثل: علم الأصوات، والفونولوجيا، وعلم الكتابة، والإملاء، وفن الخط.

أما البحوث والدراسات التي عنيت بدراسة الحروف وترتيبها ومراتبها وتصنيفها فمتعددة، وتتنوع بحس منطلقاتها ومجالها البحثي. فهناك أعمال تراثية اهتمت بالحديث عن الحروف العربية وطرائق ترتيبها. نذكر منهم، على سبيل المثال: القلقشندي في موسوعته عن الكتابة الإنشائية: «صبح الأعشى في صناعة الإنشا» [٤]. وكتاب أبي عمرو الداني: المحكم في نقط المصاحف، في «باب ذكر القول في حروف التهجي، وترتيب رسمها في الكتابة»[٥]. ومن الباحثين المعاصرين نذكر عدنان الخطيب الذي خصص أقساما من كتابه المعجم العربي بين الماضي والحاضر[٦] لموضوعات الترتيب الأبجدي والهجائي. إضافة إلى بحث لمحمود مبارك عبد الله عبيدات بعنوان «أصوات العربية من الترتيب الأبجدي إلى الترتيب الصوتي[٧]. تناول فيه أنواع الترتيب الثلاثة بالتركيز على الترتيب الصوتي. على أن هناك أعمال ركزت على الكتابة والحرف من وجهة نظر فنية، غير أنها تطرقت للحرف نشأته وتطوره وقضاياه أيضا. إضافة إلى أعمال عديدة تمت في إطار علمي التجويد والأصوات، وتطرقت إلى الحديث عن الحرف العربي وترتيب أبجديته.

وتأتي بنية الفصل على الترتيب التالي:

- التمهيد
- مدخل مصطلحي: الفونيم، الحرف، الصوت، الألوفون، الجرافيم، الألوجراف.
- منظومة الكتابة العربية: مهامها، تصنيفها، مكوناتها، مشكلاتها، تطويرها.
- ترتيب الحروف العربية: فلسفة الترتيب، أنواعه، توظيفه.
- الترتيب الأبجدي
- الترتيب الهجائي
- الترتيب الصوتي

١-١ مدخل مصطلحي:

١) الحرف:

لكلمة الحرف في المعجم العربيّ معان متعددة بوصفه وحدة معجمية [٨]، كما أن له، بوصفه وحدة مصطلحيةً، في المجال اللساني العربي أكثر من مفهوم يمكن عرضها فيما يلي:

أ) الحرف بوصفه وحدة فونولوجية:

الحرف بوصفه وحدة فونولوجية ينتمي إلى منظومة الفونولوجيا، حيث تعبر عن الحرف مجردا؛ وباعتباره وحدة صغرى يقوم عليها تمايز الكلمات. فما يجعل من السين في قولنا «سار»، والصاد في قولنا «صار» فونيمين مختلفين هو ما أحدثه التقابل بين الحرفين فأحدث تغيرا في الكلمتين؛ لتصبحا وحدتين معجميتين مختلفتين. والحرف بهذا المفهوم هو ما يطلق عليه اللغويون حروف المباني، أو حروف المعجم، أو حروف الهجاء Alphabet، بغض النظر عن طريقة نطقه [٩]. ويعرف الزجاجيُّ حروفَ المعجمِ بأنها «أصوات غير متوافقة، ولا مقترنة، ولا دالة على معني من معاني الأسماء والأفعال والحروف إلا أنها أصل تركيبها»[١٠].

ب) الحرف بوصفه وحدة كتابية (letter, character):

الحرف بوصفه وحدة كتابية grapheme هو رمز أو صورة بصرية يعبر عن الحرف / الفونيم. والحرف بهذا المفهوم يمكن اعتباره وحدة حرة لغويا؛ أي أنه يمكن أن يستخدم من قبل أكثر من لغة. وكثيرا ما يتم الخلط بين مفهومي الحرف بوصفه وحدة كتابية graph، والفونيم بوصفه وحدة فونولوجية phoneme؛ لكون أقرب الوحدات اللغوية إلى تمثيل الفونيم هي الوحدة الكتابية (الحرف). فعلى سبيل المثال نجد التنوعات الجرافيمية allograph لحرف الهمزة (ء، أ، إ، ؤ، ئ) كلها تمثل فونيم الهمزة.

ج) حروف المعاني (particles): الحرف بوصفه مقولةً من مقولات أقسام الكلام Part of Speech:

فقد اعتاد نحاة العربية أن يقسموا كلام اللغة العربية إلى ثلاثة مقولات رئيسة؛ هي الاسم والفعل والحرف. وهم يقصدون بمصطلح الحرف؛ حروفَ المعاني التي تشمل حروف الجر، حروف العطف، والأدوات ... الخ.

٢) الصوت

الصوت هو أصغر وحدة صوتية منطوقة؛ بغض النظر عن تأثيرها في معنى الكلام، أو في تغيير الوحدات المعجمية. وهي مادة درس علم الأصوات Phonetics. يدرسها بغرض تحديد مخرج كل صوت، وتعيين صفاته. فمصطلح الصوت أكثر استعمالا في سياق التحليل الصوتي للغة. ويميز تمام حسان بين الصوت والحرف، فيرى أن حروف الهجاء الصحيحة في العربية الفصحى ثمانية وعشرون، وأن حروف العلة ثلاثة، لك منها كميتان، إحداهما قصيرة أو حركة، والثانية طويلة أو لين فمجموع الحروف في العربية الفصحى واحد وثلاثون حرفا بناء على هذا الفهم، أما أصوات العربية الفصحى فأكثر من ذلك» [١١].

٣) الفونيم والألوفون[١٢].

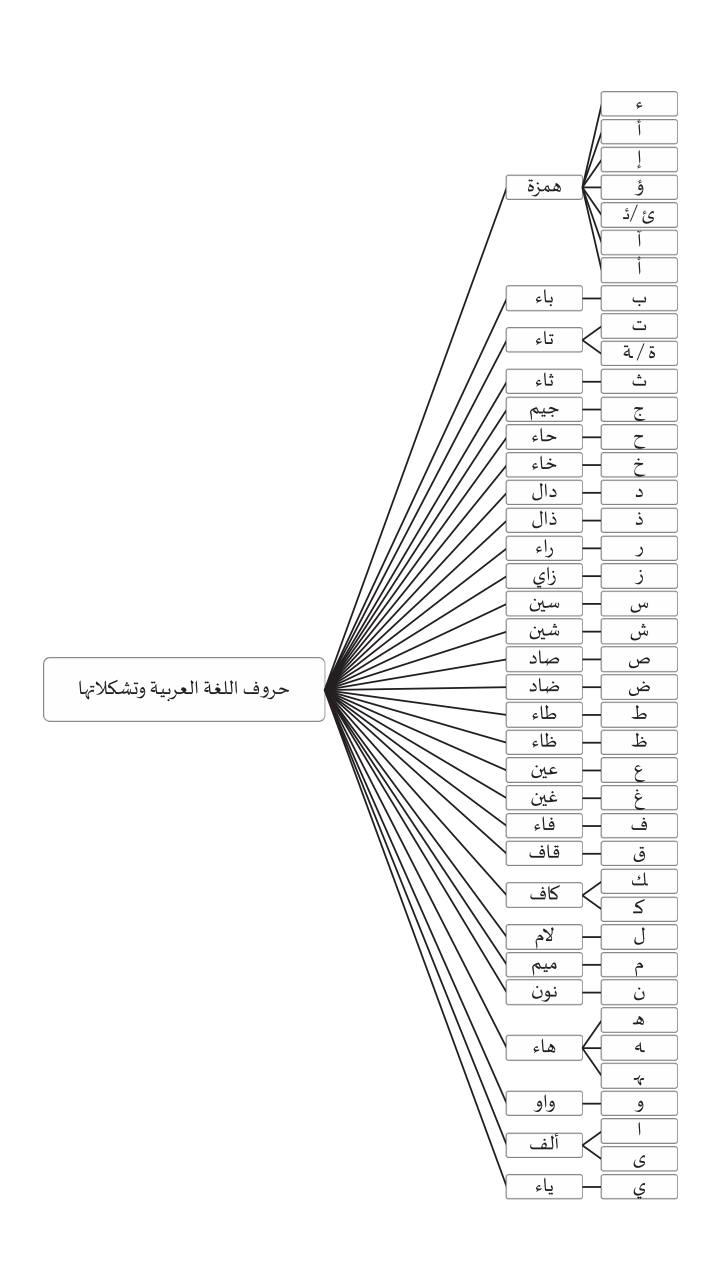
- الفونيم (Phoneme): هو الوحدة الصوتية التحليلية الصغرى في المنظومة الفونولوجية للغة. ويعرف بأنه «صوت نموذجي، صورة عقلية للصوت، أصغر وحدة صوتية يؤدي استبدالها إلى تغيير معنى الكلمة، وحدة صوتية تجريدية تتحقق عن طريق الألوفونات المختلفة»[١٣].

- الألوفون (Allophone): هو مصطلح تحليلي يعبر به عن التنوعات النطقية الممكنة للفونيم. فقد يكون للفونيم أكثر من ألوفون. ومثال ذلك التنوعات المختلفة للام؛ مرققة أو مخففة هي طرق لنطق فونيم اللام، ما أن تبادلهما لا يغير في معنى الكلمة.

٤) الجرافيم والألوجراف[١٤]:

الجرافيم (Grapheme): هو الوحدة الكتابية الصغرى التي تمثل فونيمات اللغة، ضمن منظومة الكتابة Orthography. كما يُعَرَّفُ الجرافيمُ بأنه «رمز مخطوط، أو مطبوع، يقوم مقام صوت، أو مقطع، أو معنى كالحروف، الأبجدية في لغة ما»[١٥] على أن الجرافيم في ذاته مستقل لغويا؛ أي أنه قد يستعمل في أكثر من لغة. كما أن كثيرا من الأبجديات تستطيع تمثيل أكثر من لغة، كما في الأبجدية العربية التي تمثل عددا كبيرا من اللغات كالعربية والفارسية والأردية ... الخ. وكما في الأبجدية اللاتينية التي تمثل الإنجليزية والفرنسية والإسبانية... الخ. كما يشمل الجرافيم إلى جانب الحروف الهجائية، الأرقامَ، وعلاماتِ الترقيمِ، الرموزَ الكتابيةَ.

- الألوجراف (Allograph): مصطلح يعبر عن كل التنوعات الممكنة للجرافيم الواحد. فالحرف الواحد قد يكون له أكثر من صورة يمكن أن يتخذها أو يتشكل فيها؛ بناء على السياق الذي يرد فيه. والشكل رقم (٢) يبين التنوعات الممكنة لحروف العربية.



شكل رقم: ١ قائمة حروف اللغة العربية الفصيحة وتشكلاتها

٢-١ منظومة الكتابة العربية:

١-٢-١ مهام معالجة منظومة الكتابة:

وتتضمن مهام معالجة منظومة الكتابة، على مستوى التحليل اللساني أو الرمزيّ؛ عددا من المهام يمكن، تجريدا، أن نذكر منها ما يلي:

أ) التحليل الفونيمي Phonemic Analysis:

وهذا الإجراء عمل فونولوجي، غايته استخلاص الفونيمات أو قائمة حروف اللغة. ولعل أول درس لساني منظم حدث للغة، هو عملية استخلاص قائمة حروف اللغة أو استخلاص أبجديتها. فهذه عملية تقتضي استقراءً واعيا للأصوات التي تتكون منها كلمات اللغة، وتمييز الألوجرافات Allographs المتنوعة للفونيمات phonemes وهو عمل يقوم به علماء الأصوات المحدثون لدى دراسة لغة مجهولة؛ فيقومون بتحديد قوائم الألوفونات Allophones للتوصل إلى قائمة الفونيمات التي تنبني منها اللغة. وهذا ما دفع تمام حسان لأن يذهب إلى أن طريقة العرب في استخلاص الحروف قد سارت عكس ما تسير عليه مناهج البحث الفونولوجي الحديث[١٦].

ب) اختيار الرموز Symbols التي تمثل حروف اللغة والتي تنبني منها بعد ذلك. وقد تستعير لغة قائمة رموز لغة أخرى كما في اللغات غير العربية، التي تستعمل الحرف العربي.

ج) تسمية الحروف: فلكل حرف اسم، ورمز.

د) ترتيب الحروف: تنظيم الحروف بطريقة تسهل حفظها وتعلمها. وقد تعتمد التشابه البصري أو التقارب المخرجي الصوتي، أو أن ترتب ترتيبا اعتباطيا.

ه) قواعد الإملاء:

وتشمل قواعد تراكب الحروف في إطار الكلمات، وتحديد قواعد تأثير السياقات على استخدام ألوجرافات الحرف(الجرافيم) الواحد.

و) الخط العربي:

هو الجانب الجمالي للحرف؛ ويعنى به الخطاطون؛ باعتباره فنا مستقلا عن اللسانيات.

ز) حوسبة الحرف:

فبعد اختراع الحاسوب، وانتشاره. أصحبت هناك حاجة إلى معالجة الحرف؛ لكي يتمكن الحاسوب من التعامل معها. ولقد ظهرت مجالات موضوعها تنظيم حروف اللغات المختلفة على لوحة المفاتيح، التعرف الآلي على الحرف المكتوب من خلال التعرف الآلي على الحروف OCR.

ح) التحويل لرموز أخرى: ويشمل التحويل الصوتي / الألوفوني Transcription كما في تحويل المنطوق إلى الألفبائية الصوتية الدولية. أو التحويل الحرفي / الفونيمي transliteration، إلى قائمة رموز صوتية أخرى؛ كما في رومنة الحرف العربي المكتوب.

٢-٢-١ منظومة الكتابة العربية بين أنظمة الكتابة العالمية المختلفة.

في إطار درس الأنظمة الكتابية للغات العالم، ظهرت محاولات علمية متعددة لوضع تصنيف عام لأنظمة الكتابة يعتمد الشكل والمحتوى اللساني للكتابة[١٧]. ولكي نتعرف طبيعة منظومة الكتابة العربية، وموقعها بين أنظمة الكتابة العالمية المختلفة؛ يمكن أن نعرض لأحد تصنيفات الأنظمة الكتابية، وهو تصنيف دي فرانسيز DeFrancis' (١٩٨٩)[١٨]، الذي يذهب إلى وجود ستة أنظمة متباينة نعرضها في الجدول رقم (١) .

#	أنظمة الكتابة		أمثلة
١	أنظمة مقطعية خالصة	(pure) syllabic systems	الكانا اليابانية، الشيروكية
٢	أنظمة مورفيمية -مقطعية	morpho-syllabic systems	الصينية، المايا
٣	أنظمة صامتية -مقطعية	morpho-consonantal systems	(المصرية) القديمة

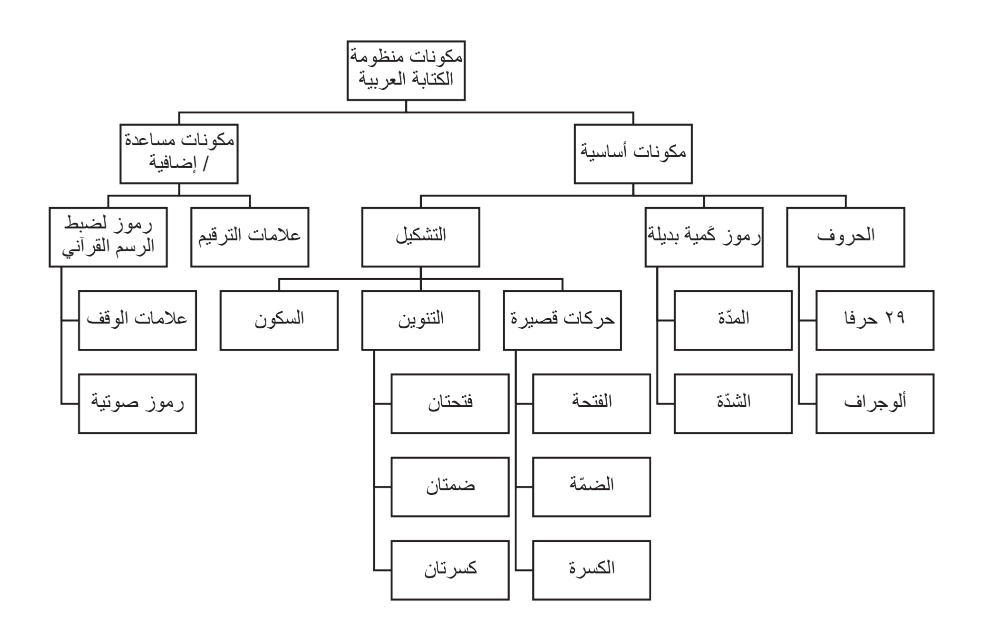
#	أنظمة الكتابة		أمثلة
٤	أنظمة صامتية خالصة	(pure) consonantal	اللغة العربية، اللغة العبرية
٥	أنظمة فونيمية خالصة	(pure) phonemic systems	اللاتينية، اليوناني، الفنلندية
٦	الأنظمة مورفيمية -فونيمية	morpho-phonemic systems	الإنجليزية، الفرنسية، الكورية

جدول رقم: ١ أنظمة الكتابة بحسب تصنيف DeFrancis' (١٩٨٩)

فمنظومة حروف العربية هي منظومة تعتمد الصوامت Consonants دون الصوائت Vowels. وقد أضيفت الصوائت في مرحلة تاريخية لاحقة؛ إصلاحا لمنظومة الكتابة العربية؛ غير أنها لم تدرج ضمن منظومة الحروف؛ بل اكتفي بها رموزا تشير إلى الحركات القصيرة أو غيابها (السكون)، إضافة إلى الرموز الدالة على التنوين ورموز المد والتضعيف.

٣-٢-١ مكونات منظومة الكتابة العربية

لا تقتصر منظومة الكتابة العربية على قائمة الحروف وتشكلاتها المختلفة فحسب؛ بل تشمل أيضا إلى جانب ذلك؛ عددًا من الرموز الأخرى، مثل حركات التشكيل التي تستهدف ضبطَ النطق بالكلمات، والرموز الكمية البديلة عن الحروف المضعفة وألف المد، وعلامات الترقيم.



شكل رقم: ١ مكونات منظومة الكتابة العربية

والشكل رقم (٢) يعرض لمكونات منظومة الكتابة العربية يلخص مكونات منظومة الكتابة العربية في مجموعتين؛ مكونات أساسية، ومكونات إضافية، ويمكن تفصيلها فيما يلي:

المكونات الأساسية لمنظومة الكتابة: وتشمل:

٢٩ حرفا وتشكلاتها (الألوجراف Allograph). كما يظهر في الشكل رقم (٢)

• رموز كَمِّية بديلة للحروف: ونعني بها الرموز التي جعلت للدلالة على تكرار كمّي للحرف، مثل الشدة التي تدل على أن الحرف التي توضع فوقه مضعفا، وألف المد التي تشير إلى تكرار همزتين الثانية منهما ساكنة، مثل (آمَن [صفةً على وزن أفْعَل أَأْمن])، أو همزة وألف مدّ مثل (آمَنَ [فعلا ماضيا])

• رموز التشكيل: وتعبر عن ست حركات تلحق الحرف، ثلاثة منها هي الفتحة والضمة والكسرة تمثل الحركات القصيرة، وثلاثة أخرى (فتحتان، ضمتان، كسرتان)؛ لتمثيل التنوين بالفتح أو الضم أو الكسر. إضافةً إلى رمز السكون الذي يشير إلى القيمة

السلبية للحركة (أي لا حركة).

• مكونات مساعدة / إضافية لمنظومة الكتابة:

وهي مكونات إضافية لضبط طريقة النطق أو القراءة، وتشمل ما يلي:

• رموز ضبط الرسم القرآني: وهي رموز صوتية ألحقت بكلمات القرآن الكريم؛ تبين مواضع الغنة والمدود، وخلافهما، وعلامات الوقف والوصل.

• علامات الترقيم (punctuation): وغايتها التنظيم البصري لضبط القراءة، وهي تكون مرتبطة بالبنية التركيبية (syntactic structure) والدلالية للعبارات (Phrases) والجمل (Sentences) في سياق النص.

٤-٢-١ مشكلات الكتابة العربية ومحاولات إصلاح الأبجدية العربية

لكل أبجدية مشكلاتها؛ فلم تعرف بعد لغةٌ ليس لها مشكلاتها التي تنبع من طبيعة رموزها الكتابية وعددها. وقد واجهت اللغة العربية كثيرا من المشكلات، ابتداء من عدم كفاية الأبجدية السامية لتمثيل حروف العربية؛ وليس انتهاء بإدخال علامات الترقيم على منظومة الكتابة العربية، أو بالحرب المجمعية التي كان موضوعها إصلاح الكتابة العربية[١٩].

ويمكن الإشارة إلى أهم مشكلات منظومة كتابة اللغة العربية في النقاط التالية:

خلو الأبجدية العربية – كما في الأبجدية السامية – من حروف للحركات القصيرة. ومتكلم اللغة العربية بحاجة إلى معرفة الحركات التي تلي كل حرف في الكلمة بنية وإعرابا.

• التصحيف / التحريف: وسبب التصحيح والتحريف هو تشابه كثير من حروف العربية. وتتضح أهمية مشكلة التصحيف والتحريف في إطار الثقافة العربية؛ من خلال ملاحظة كثرة المؤلفات التي صنفت في هذا الموضوع. ونذكر منها، على سبيل المثال، كتاب «شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف» للحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري[٢٠]، وكتاب التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة بن حسن الأصفهاني[٢١].

• تطوير قائمة الحرف العربي لملاءمة خصائص ومتطلبات اللغات الأخرى التي تستخدم الحرف العربي.

• الطباعة وحوسبة الحرف العربي.

٥-٢-١ تطوير منظومة الكتابة العربية

بعد حقبة شفاهية للغة العربية؛ بدأت الثقافة العربية في اقتباس الأبجدية الفينيقية السامية؛ لتستعملها في تدوين اللغة العربية. وزادت الثقافة العربية الحروف الست الروادف في ذيل الأبجدية السامية، في أول تطوير لمنظومة الكتابة العربية. وبظهور الإسلام وانتشاره بين غير العرب؛ احتاج المسلمون الجدد إلى قراءة القرآن الكريم، والتعامل بالعربية؛ فنشأت متطلبات فرضت إصلاحات في منظومة الكتابة العربية. يمكن أن نورد أهم علامات تطور / تطوير منظومة الكتابة العربية في النقاط التالية:

• إضافة ستة الحروف العربية؛ الروادف (ث خ ذ ض ظ غ) إلى لائحة الأبجدية السامية.

• نَقْط الإعراب: وهو نقط ينسب إلى أبي الأسود الدؤلي ت ٦٩. وغايته ضبط بنية كلمات القرآن الكريم، وضبط والإعراب والتنوين.

• نَقْط الإعجام: على يد نصر بن عاصم ت٨٩ ويحي بن يعمر العدواني ت ١٢٩. وغاية هذا النقط فك اللبس الذي تسببه الحروف المتشابهة شكلا.

• ونتج عن الإعجام إعادة ترتيب حروف الهجاء بجمع الحروف المتشابهة معا بعد نقط بعضها.

• التشكيل: تحويل نقاط الإعراب إلى رموز صغيرة على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٥ هـ.

• تعديلات على الحروف: وشملت إضافة الشدة والمدة، إضافة إلى التمييز التاء المربوطة والتاء المفتوحة، والهاء المربوطة.

• علامات الوقف ومصطلحات الضبط بالمصحف الشريف.

• علامات الترقيم punctuation: ينسب إلى أحمد زكي[٢٢] أنه أول من حاول إدخال علامات الترقيم إلى منظومة الكتابة العربية؛ تأثرا باللغتين الإنجليزية والفرنسية.

• تطويع الحرف العربي للطباعة ثم للحوسبة(٢٣). ويمكن إيراد بعض القضايا التي يُعنى بدرسها في سياق حوسبة الحرف العربي فيما يلي:

• الترميز الموحد في الحواسيب (اليونيكود Unicode).

• التعرف الآلي على الحرف العربي (المكتوب يدويا والمرقون)

• تعرف الحرف العربي آليا Optical Character Recognition (OCR)

• تقنيات التعرف على الكتابة اليدوية Handwriting Recognition (HR)

• توليد / إنتاج الحرف العربي حاسوبيا.

• التعامل الحاسوبي مع ترتيب الحروف العربية، واستخدام المعيار الإحصائي لتوزيع الحروف في النصوص العربية: التوزيع الإحصائي للحروف.

• مراتب الحروف العربية على مستوى المعالجة الحاسوبية.

٢- ترتيب الحروف العربية

عَرَفَتْ الثقافةُ العربيةُ ثلاث طرائقَ لترتيب حروف لغتها؛ هي طريقة الترتيب الأبجدي، تلتها في الظهور طريقة الترتيب الهجائي الألفبائي، ثم طريقة الترتيب الصوتي المخرجي. على أن الترتيبين الأبجدي والهجائي هما الأقرب لمجال الكتابة والإملاء، أما الترتيب الصوتي فارتبط - إلى جانب الدرس الصوتي وعلم التجويد - بحقبة من تاريخ تأليف المعاجم العربية ابتدأها الخليل بن أحمد بمعجمه «العين»؛ وهو ما جعل البعض يقتصر على الترتيبين الأبجدي والهجائي لدى الحديث عن طرق الترتيب. وهو ما نراه لدي القلقشندي في كتابه «صبح الأعشى»؛ إذ يقول «واعلم أن ترتيب الحروف على ضربين؛ مفرد، ومزدوج»(٢٤) يَقْصِدُ بالمفرد الترتيبَ الهجائيَّ؛ ربما لأنه يُحفَظُ حروفا مفردةً، وبالمزدوج الترتيبَ الأبجديَّ؛ ربما لكونه يُحفَظ مجموعا في كلمات (أبجد هوز...الخ).

ولأهمية الترتيب في التوحيد الثقافي دعا عبد الهادي التازي(٢٥) المغربي إلى توحيد ترتيب الأبجدية العربية بقرار ملزم من مجمع اللغة العربية، على أن يطبق على كل اللغات التي تستعمل الحرف العربي. وقد قارن التازي بين اتفاق الغرب على طريقة ترتيب حروفهم واختلاف منهجية ترتيب الحرف العربي، عادا ذلك من مظاهر اتحادهم

في مقابل اختلافنا على ترتيب موحد. ورصد آثار الاختلاف في الترتيب على تفسير وقراءة التراث والمنجز الثقافي. ولقد ضرب عدة أمثلة لذلك.

كما ظهرت أهمية الحديث عن ترتيب أشكال التنوعات الخاصة بكل حرف Allophones، مع توظيف الحاسوب في عملية الفهرسة والترتيب الآلي. فحرف مثل الهمزة له أكثر من صورة كما يلي (آء أ إؤ ئ). ومثل الهمزة التاء المربوطة (ت، ة) والألف المقصورة (ى، ا)

٢-١ فلسفة ترتيب الحروف العربية

وُجِدَتْ تفسيراتٌ كثيرةٌ لطرائقِ ترتيب الحروف العربية، تفاوتت فيما بينها في منطقيتها، ومدى تأسيسها على استنتاجات علمية. ولعل أكثر طرائق الترتيب العربية استنادا إلى الأسس العلمية هي طريقة الترتيب الصوتي المخرجي. وفي المقابل نجد مغالاة وميلا للأسطورية في تفسير أسس الترتيب الأبجدي. والترتيب الهجائي الذي ابتكره نصر بن عاصم بصري بالأساس؛ اعتمد الصورة أو الشكل؛ لجمع الحروف التي تتشابه في صورها وتمييزها بنقط الإعجام.

٢-٢ توظيف ترتيب الحروف في الثقافة العربية.

يمكن اعتبار الهدف الرئيس لكل من الترتيبين؛ الأبجدي والهجائي هو هدف تعليمي؛ بتسهيل تعلم متعلمي اللغة الحروفَ وتيسير حفظها واستدعائها. ويصدق ذلك على الترتيب الأبجدي، رغم ارتباط حروف الترتيب الأبجدي بقيم عددية، تُعطَى لها، اعتمادا على موقعها في الترتيب.

أما الترتيب الصوتي المخرجي، فغايته علمية؛ تهدف إلى رصد قواعد تراكب الأصوات العربية التي تسمح بتكون كلمات عربية مستعملة، وتمييز الكلمات الدخيلة التي لا تخضع لقواعد التراتب.

- في الفهرسة Indexing والعمل المكتبي Bibliography

يُعتمد على الترتيب الهجائي في عمليات الفهرسة في أعمال النشر ويشمل ذلك مسارد الكلمات والمصطلحات والأعلام وترتيب المراجع. كما يعتمد عليه في مجال التصنيفات

المكتبية الببليوجرافية. ولقد انتقل ذلك بدوره إلى العمل الحاسوبي؛ فيتم اعتماد ترتيب الألفباء الخاصة بكل لغة لترتيب المادة، وبناء الفهارس آليا.

- في صناعة المعاجم Lexicography والموسوعات Encyclopedia

ارتبطت الصناعة المعجمية بترتيب الحروف، حتى ربط البعض مصطلح «المعجم» بكونه كتابا مرتبا ترتيبا هجائيا، ولعل هذا ما يفسر لنا أن مصطلح المعجم قد استخدم من قبل علماء الحديث "الذين أطلقوه على الكتب المرتبة هجائيا التي تجمع أصحاب الصحابة والرواة"[٢٦]. وتشمل صناعة المعاجم أنواعا متباينة من المصادر المعجمية تعتمد في بنائها على الترتيب الهجائي، مثل المسارد، والفهارس الأبجدية، والكشافات، والأطالس اللغوية.

- في الكتابة العلمية. يَستخدِم الباحثون والكُتاب الترتيبَ الأبجديَّ، وأحيانا الهجائي، في تنظيم سردهم للمادة العلمية، وتعديد النقاط والفِقَر داخل النص العلمي. كما يستخدم هذا الترتيب في ترقيم مقدمات بعض الأعمال العلمية لتمييز ترقيمها عن الترقيم العام للكتاب.

في حساب الجمَّل: ويستخدم الترتيب الأبجدي فيما يعرف بحساب الجمَّل، للتأريخ به شعرا أو نثرا، أو في الفلك.

٣- الترتِيبُ الأبْجَدِيّ

إن أهم ما يبرر البدء بدرس الترتيب الأبجدي أمران؛ الأول باعتباره أقدم مناهج ترتيب الحروف الذي تبنته الثقافة العربية. والثاني ارتباطه بالأصول التاريخية لنشأة الكتابة العربية، وتنظيم حروفها، والعلائق القائمة بين العربية وأسرة اللغات السامية. ولعل أهم قضايا البحث في الترتيب الأبجدي يتم دراستها في إطار درس الساميات: أصول الأبجدية ذاتها، أصول هذا الترتيب وفلسفته، كفايته، توافقه مع اللغة العربية. ويطلق على هذا الترتيب ذي الأصل الساميّ الترتيب الأبجدي نسبة إلى المقطع الأول منه (أبْجَدْ). على أن كلمة «الأبجدية» قد صارت علما على أي قائمة حروف لأي لغة، فنقول الأبجدية اللاتينية. ونظرا لأولية الترتيب الأبجدي صار علما على الترتيب. كما

تم التوسع الدلالي بالاستعمال المجازي للدلالة على معنى الأساس كما في الاستعمال المجازي: «أبجد العلوم».

١-٣ الترتيب الأبجدي: في سياق الساميات: الحقبة السامية

ولقد تم تطوير الترتيب الأبجدي في بيئة غير عربية، فظهرت قائمة الحروف مرتبةً؛ لتشمل اثنين وعشرين حرفا، هي المتضمنة في الكلمات التالية (أَبْجَدْ، هَوَّزْ، حطِّي، كَلَمُنْ، سَعْفَصْ، قَرَشَتْ، ثَخَذْ، ضَظَغْ). ولعل إهمال الأبجدية السامية لألف المد دون الواو والياء يعود إلى اعتداد الأخيرين حرفي لين لا مد، على أن الألف حرف مد فقط، فلم يتم إدراجها. وعلى هذا فإنه يمكن اعتبار زن الأبجدي السامية تهمل حروف المد الطويلة إلى جانب القصيرة.

ولقد أُعطيت الحروف -في سياق الترتيب الأبجدي -وظيفةً إضافيةً، هي وظيفة الدلالة على الأرقام أو العد؛ فكانت الحروف رموزا للأرقام[٢٧] لذا كان لترتيبها أهمية لما يستتبعه عدم الالتزام بالترتيب على الأرقام والأعداد. وكانت فكرة استخدام الحروف الأبجدية كرموز كتابية للأرقام.

الجدول رقم(٢) يبين المحتوى العددي للترتيب الأبجدي في مجموعات ثلاث؛ الآحاد، والعشرات، والمئات.

الآحاد	أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط
	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩
العشرات	ي	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
	١٠	٢٠	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠
المئات	ق	ر	ش	ت					
	١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠					

جدول رقم: ٢ الترتيب الأبجدي في السياق السامي وقيمها العددية

٢-٣ الترتيب الأبجدي: في السياق العربي:

ولقد تم تطوير الترتيب الأبجدي في بيئة غير عربية، فظهرت قائمة الحروف مرتبة لتشمل اثنين وعشرين حرفا؛ هي المتضمنة في الكلمات التالية (أَبْجَدْ، هَوَّزْ، حطِّي، كَلَمُنْ، سَعْفَصْ، قَرَشَتْ، ضَظَغْ). وقد احتفظت الثقافة العربية بهذا الترتيب الأبجدي، وتبنته طريقة لترتيب لغتها، رغم عدم كفايته للحروف العربية. وكان لزاما عليها أن تتخذ قرارا في الحروف الست التي توجد بالعربية وليست موجودة في الترتيب الأبجدي؛ فكانت إضافة هذه الحروف المسماة بالروادف، في صورة كلمتين في آخر الترتيب (ثَخَذْ، ضَظَغْ)(٢٨).

ولقد استتبع إضافةَ الحروف الروادف إلى قائمة الحروف الأبجدية، افتراضُ قيمٍ عددية لكل حرف من هذه الحروف الروادف؛ بالنسج على منوال الأبجدية السامية في تحديد القيم العددية للحروف. فجاءت قيم هذه الحروف كما يظهر في الجدول التالي رقم (٣):

الحرف	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ
القيمة العددية	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠

جدول رقم: ٣ حروف الروادف في الترتيب الأبجدي -السياق العربي وقيمها العددية

ولعل مردّ تبني الثقافة العربية الأبجديةَ الساميةَ إلى إن العرب لم يكونوا مهيئين بعدُ لأن يجترحوا ترتيبهم الخاص، أو لأنهم لم يجدوا المبررَ المُلِحّ لأن يكون لهم ترتيبُهم الخاص. على أن هذا المبرر قد وُجد، وصار ضرورة عندما فشا التصحيف والتحريف بعد دخول غير العرب في الإسلام.

ورغم أن الترتيب الأبجدي لم ينشأ في البيئة الثقافية العربية؛ نجد عددا من التأويلات العربية للكلمات التي نظم فيها الترتيب الأبجدي.

وما نراه ف تفسير ترتيب وكلمات الترتيب الأبجدي أنها إنما جُعِلت لأغراض عملية تعليمية، وهو ما ذهبت إليه دائرة المعارف الإسلامية في أن ترتيب حروف هذه الألفاظ الثمانية إنما جعلت للتذكير فقط، وأنها «لا معنى لها البتة»(٢٩) ، وأن «كل ما ذهبوا إليه في هذا الموضوع خرافي على طرافته»(٣٠). وهو رأي قال به عدد من الباحثين العرب المحدثين مثل أنيس فريحة الذي يرى أن هذه التفسيرات لا تعدو كونها أساطير وخرافات ليس لها من الحقيقة أي نصيب(٣١). على أن عددا من العلماء العرب كالمبرد والسيرافي لم تقنعهم التفسيرات العربية «الخرافية للأبجدية وأعلنوا في صراحة أن هذه الكلمات لابد أن تكون من أصل أجنبي»(٣٢).

٣-٣ تأثير الترتيب الأبجدي في الترتيب الهجائي والصوتي:

أثَّر الترتيب الأبجدي على أنواع الترتيب الأخرى التي جاءت بعده في عدة أمور منها:

• التركيز على الصوامت: تجاهل اللغات السامية حروف المد الثلاثة. إضافة إلى إهمال الحركات القصيرة ولعل إهمال الأبجدية السامية لألف المد دون الواو والياء يعود إلى اعتداد الأخيرَين حرفَي لين؛ لا مد، بخلاف الألف؛ إذ أنا لا تكون حرف لين؛ بل حرف مد فقط، فلم يتم إدراجها. وعلى هذا فإنه يمكن اعتبار أن الأبجدية السامية تهمل حروف المد الطويلة. على أن كثيرا من العلماء العرب عدّ الألف حرفا معتبرا، مكملا التاسع والعشرين.

• الاختلاف حول عدد حروف العربية.

٣-٤ توظيف الترتيب الأبجديّ

ارتبط الترتيب الأبجدي بقيم عددية أعطيت لكل حرف بناء على ترتيبه، على أن يبدأ بالواحد للألف حتى إتمام العشرة، ثم تزاد الحروف عشرات، حتى بلوغ المائة، فتزاد الحروف مئات حتى الوصول إلى آخر حروف الأبجدية السامية عند حرف التاء وقيمته العددية ٤٠٠. ورغم انتشار الترتيب الهجائي في الثقافة الإسلامية، ما زال الترتيبُ الأبجديُّ موجودا مستعملا، ولكن في سياقات ثقافية بعينها. والذي أبقى على الترتيب الأبجدي أنه قد تم توظيفه في عدة مجالات منها: حساب الجمل(٣٣): وهو استخدام

القيم العددية الخاصة بالحروف الأبجدية. وأما حساب الجمل نفسه فيشمل أكثر من مجال في الثقافة العربية والإسلامية نذكر منها: التأريخ بالحروف في الأدب والشعر، والترقيم في متن الكتابة العلمية: فعند تقسيم الفقر وتعديد النقاط داخل النص العلمي يلجأ الباحثون إلى الترتيب الهجائي باعتباره نوعا من الترقيم؛ فتقسم الفقر كما يلي: أ، ب، ج، د ...إلخ. كما تستخدم في مجالات التأريخ والفلك.

٥-٣ مناهج الترتيب الأبجديّ

وللترتيب الأبجدي في الثقافة العربية طريقتان مختلفتان، طريق الترتيب الأبجدي المشرقي وطريقة الترتيب الأبجدي المغربي. والجدول رقم (٤) يوضح الاختلافات بين الترتيب الأبجدي المشرقي والترتيب الأبجدي المغربي على مستويي الترتيب والقيم العددية لكل حرف بحسب حساب الجمل.

فأما الترتيب المشرقي فيلتزم الترتيب الأبجدي الآرامي الساميّ (أَبْجَدْ، هَوَّزْ، حطِّي، كَلَمُنْ، سَعْفَصْ، قَرَشَتْ) ويضيف إليها على التوالي الروادف العربية، مجموعة في كلمتين هما (ثَخَذْ، ضَظَغْ).

وأما الترتيب المغربي؛ فيأتي كما يلي:(صَعَفَضْ، قَرَسَتْ، ثَخَذْ، ظَغَشْ)؛ مخالفا الترتيبين الأبجدي الساميّ، والأبجدي المشرقيّ فيما يخص ترتيب الحروف الروافد. وهاتان المخالفتان هما ما جعلا عدنان الخطيب يحكم بأن الترتيب الأبجدي المشرقي أقدم وأصح(٣٤).

#	الترتيب المشرقي	الترتيب المشرقي	القيمة العددية في حساب الجُمَّل		
١	أ	أ	١		
٢	ب	ب	٢		
٣	ج	ج	٣		
٤	د	د	٤		
٥	ه	هـ	٥		

#	الترتيب المشرقي	الترتيب المشرقي	القيمة العددية في حساب الجُمَّل		
٦	و	و	٦		
٧	ز	ز	٧		
٨	ح	ح	٨		
٩	ط	ط	٩		
١٠	ي	ي		١٠	
١١	ك	ك		٢٠	
١٢	ل	ل		٣٠	
١٣	م	م		٤٠	
١٤	ن	ن		٥٠	
١٥	ص	ص		٦٠	
١٦	ع	ع		٧٠	
١٧	ف	ف		٨٠	
١٨	ص	ض		٩٠	
١٩	ق	ق			١٠٠
٢٠	ر	ر			٢٠٠
٢١	ش	س			٣٠٠
٢٢	ت	ت			٤٠٠
٢٣	ث	ث			٥٠٠
٢٤	خ	خ			٦٠٠
٢٥	ذ	ذ			٧٠٠
٢٦	ض	ظ			٨٠٠
٢٧	ظ	غ			٩٠٠

#	الترتيب المشرقي	الترتيب المشرقي	القيمة العددية في حساب الجُمَّل		
٢٨	غ	ش			١٠٠٠

جدول رقم: ٤ مقارنة بين الترتيب الأبجدي المشرقي والترتيب الأبجدي المغربي

ويتضح تأثير الاختلاف بين المشرق والمغرب في طريقة الترتيب الأبجدي فيما يخص الأعمال المرجعية والموسوعية؛ مثل المعاجم والموسوعية. وهو الذي دفع عبد الهادي التازي المغربي إلى أن يدعو لتوحيد الترتيبين المشرقي والمغربي بقرار مجمعي يصدره معجم اللغة العربية القاهري[٣٥].

٤- الترتِيبُ الهجائيّ

يعتبر الترتيب الهجائي ترتيبا عربيا خالصا، فقد تم تطويره في السياق الثقافي العربي؛ بعد أن فرضه الواقع المجتمعي للغة العربية. ومن ثم يمكن الربط بين الترتيب الهجائي والسياسة اللغوية التي أنجزت في إطارها الإصلاحات المنهجة لمنظومة الكتابة العربية.

وتتعدد المصطلحات الدالة على هذا النوع من الترتيب، فتشمل المصطلحات التالية: الترتيب الهجائي، الترتب على حروف المعجم، ترتيب الألفباء، الترتيب الألفبائي، الترتيب الأبتثي (نسبة إلى الحروف الأربعة الأولى من الترتيب الهجائي، وقياسيا على «الأبجدي»)، ترتيب نصر بن عاصم (نسبة إلى واضعه)، حروف ألف ب ت ث[٣٦]. ولقد شاع هذا النوع من الترتيب في الثقافة العربية حتى صار النظام المعتمد في تعليم اللغة العربية، وفي تنظيم العدد الأكبر من معاجم العربية؛ فباستثناء مدرسة الترتيب الصوتي التي تنتظم عددا قليلا من المعاجم، نجد بقية المدارس المعجمية تنتهج في تنظيم مادتها الترتيب الهجائي (الجدول ٥).

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض
١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	
ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	هـ	و	ا	ي	

جدول رقم: ٥ الترتيب الهجائي المشرقي

٤-١ مكانته مقارنة ببقية أنواع الترتيب:

يعتبر هذا الترتيب أكثر تواترا في الاستعمال؛ ولقد عده الزمخشري الترتيب الأشهر والأسهل؛ إذْ يقول في مقدمة الكشاف مبررا اختياره طريقة الترتيب الألفبائي لتنظيم وترتيب مادة معجمه: «وقد رُتِّب الكتابُ على أشهر ترتيبٍ مُتَدَاوَلاً، وأسهلِه مُتَنَاوَلًا؛ يَهْجُمُ فيه الطالبُ على طَلِبَتِه موضوعةً على طَرَفِ الثُّمامِ وحَبْلِ الذراع، من غير أن يحتاج في التَّنْقِيرِ عنها إلى الإيجاف والإيضاع وإلى النظر فيما لا يُوصَلُ إلا بإعمال الفكر إليه، وفيما دقق النظرَ فيه الخليلُ وسِيبوَيْه»[٣٧].

ومما يميز الترتيب الهجائي أنه الأشهر والأسير، وأنه مصنوع تطبيقا لسياسة لغوية، إضافة إلى أنه اعتُمِد في بنائه على الشكل بصورة كبيرة.

٤-٢ نشأة الترتيب الهجائي

كان لإعجام الحروف التأثير الأكبر في نشأة الترتيب الهجائي، وكان الدافع إلى الإعجام، هو شيوع التصحيف والتحريف؛ بسبب أن الأبجدية العربية كانت تعبر عن أكثر من صوت بشكل كتابي واحد، أو بشكلين كتابيين متشابهين؛ لذا فقد طلب الحجاج بن يوسف الثقفي (ت ٩٥) من نصر بن عاصم الليثي (ت ٩٠ هـ) ويحيى بن العدواني (ت ١٢٩ هـ) إعجام الحروف المتشابهة؛ ومن ثمّ قاما بترتيب الحروف الهجائية وفقا لصورتها.

٤-٣ منهجية الترتيب الهجائي

الترتيب الهجائي هو ترتيب مصنوع عن وعي لدى نصر بن عاصم (وزميله يحيي)؛ لذا نجد كثيرا من الباحثين قد حاولوا تفسير أو تعليل خطة إنجاز هذا الترتيب، والتوصل إلى المبادئ التي حكمت طريقة ترتيب الحروف العربية الهجائية. ومن أهم من كتب في ذلك باستفاضة أبو عمرو الداني في كتابه نقط المصاحف[٣٨]. ومن باحثي العصر الحديث أفاد عدنان الخطيب[٣٩] مما كتبه الداني وحاول إعادة صياغته؛ لاستيضاح فلسفة نصر

بن عاصم في إعادة ترتيب الحروف العربية والمبادئ التي حكمت قراراته بتقديم حرف أو مجموعة حروف أو تأخيرها. ونظرا لارتباط ها الترتيب بعملية الإعجام ينبغي أن نبدأ بإلقاء الضوء على منهجية الإعجام قبل تناول قواعد الترتيب نفسه.

٤-٤ منهجية إعجام الحروف العربية

• يمكن القول بأن منهجية إعجام الحروف العربية كانت تحكمها الأهداف التالية:

• فك اللبس المحتمل بسبب تطابق، أو تشابه بعض الحروف في الشكل؛ الأمر الذي قد يؤدي إلى التحريف أو التصحيف.

• استخدام الإعجام بالنقط لتمييز الحروف المتطابقة والمتشابهة في الشكل / الصورة. مع التنويع بين عدد النقط؛ وذلك بالاختيار بين أربع قيم: القيمة صفر: ما لم يكن للحرف شبيه في الصورة؛ فإنه لا يحتاج إلى إعجام. نقطة واحدة، نقطتان، ثلاث نقاط وموضع النقط؛ فوق الحرف أو تحته؛ كما يظهر في الجدول رقم (٦)

حروف منقوطة (معجمة)						حروف غير منقوطة (مهملة)
٣		٢		١		
أسفل	أعلى	أسفل	أعلى	أسفل	أعلى	
_	ث، ش	ي	ت، ق	ب، ج	خ، ذ، ز، ض، ظ، غ، ف، ن	أ، ح، د، ر، س، ص، ط، ع، ك، ل، م، هـ، و

جدول رقم: ٦ منهجية إعجام الحروف

يمكن التمييز بين ثلاث مجموعات من الحروف العربية، من حيث صورتها قبل الإعجام:

• المجموعة الأولى:

حروف متطابقة؛ لا يمكن تمييزها إلى في السياق، وتحتاج إلى سليقة عربية، أو معرفة لغوية.

• المجموعة الثانية:

حروف متشابه، إذ قد يؤثر وصل بعض الحروف في أن تتشابه مع حروف أخرى. فبعض الحروف قد لا تكون متطابقة في الصورة؛ لكنها قد تتشابه لدى وصلها مع حروف أخرى أثناء الكتابة. وهذا النمط من الحروف أثر على نسق ترتيب الحروف واتساق منهج الإعجام والترتيب. ومن أمثلة ذلك التشابه بين الواو والفاء موصولتين؛ جعل ثنائية الفاء والقاف تخلو من المهمل؛ لتجنب اللبس مع الواو موصولة. ومثال آخر تأثير اللبس الذي قد يقع بين الشين ومجموعة الباء؛ أدى إلى إعجام الشين بثلاث نقط، وخلو مجموعة الباء نفسها من حرف مهمل لئلا يلتبس بالسين. يقول أبو عمرو الداني «ورأيت بعض العلماء قد علل النقط، فقال: اعلم أن الباء والتاء والثاء والنون والياء خمسة أحرف متشابهة الصور في الكتابة. فلأجل ذلك احتيج أن يفرق بالنقط المختلف بينه. فواخوا بين الباء والنون، وبين التاء والياء. فنقطوا الباء واحدة من تحت، بقيت الثاء منفردة، لا أخت لها، فنقطوها ثلاثا من فوق، إذ خلت من أخت ولم تخل من شبه»[٤٠].

فالسين والشين تتشابه مع مجموعة الباء لذا يمكن تصور المجموعة في حالات الوصل كما يلي:

٠	١	١	٢	٢	٣	٣
سـ	بـ	نـ	تـ	يـ	ثـ	شـ

• المجموعة الثالثة:

حروف متفردة؛ لا شبيه لها؛ مفردة أو موصولة. لذا الحرف المتفرد في الصورة لا حاجة إلى إعجامه لانتفاء الداعي إلى ذلك؛ إذ لا لبس في قراءته.

ملامح الإطار العام الذي حكم طريقة تنظيم الحروف الهجائية العربية

يمكن استنتاج ملامح الإطار العام الذي حكم طريقة تنظيم الحروف الهجائية العربية على يد نصر بن عاصم ويحي بن يعمر كما يلي:

• اتخاد الترتيب الأبجدي إطارا عامّا:

أي أنه لا يتم اللجوء إلى التغيير في الترتيب الأبجدي إلا بغرض تجميع الأحرف

المتشابهة شكلا، أو لسبب آخر كما في ترتيب الواو والألف والياء. ويظهر هذا في ترتيب المجموعات [أ ب (ت ث) ج (ح خ) د(ذ)(ر ز)(س ش) (ص ض) (ط ظ) (ع غ)(ف ق) ك ل م ن (هـ و ي)] فقد احتفظ بمواقع الألف والباء في المقدمة، ثم آخى بين الباء ومشابهاتها. ثم حافظ على موقع الجيم، ليلحق بها أخواتها الحاء والخاء، وهكذا. كما حافظ الترتيب الهجائي على الترتيب الداخلي لمتتالية «كلمن» كما ظهرت في الترتيب الأبجدي.

- جمع الأشباه والنظائر لتكون متجاورة.

ويُظهِر الجدول رقم (٧) كيفية جمع الترتيب الهجائي للحروف المتشابهة. ويمكن ملاحظة منطقية الترتيب لجميع الحروف؛ باستثناء النون والياء اللذين يُفترض أن يكونا بجانب الباء والتاء والثاء.

؟	٣		٢							١			؟	١		؟
أ	ب/ ت /ث	ج /ح /خ	د/ ذ	ر/ ز	س /ش	ص /ض	ط /ظ	ع /غ	ف/ ق	ك	ل	م	ن	هـ	و	ي

جدول رقم: ٧ الأشباه والنظائر في الترتيب الهجائي

وفيما يلي نحاول استنتاج[٤١] أهم القواعد التي حَكَمَتْ ترتيب للحروف الهجائية العربية:

ترتيب المجموعات:

- البدء بالأكثر عددا من المتشابهات؛ فبدأ بالثلاثيات (مجموعتَي الباء والجيم)، ثم الثنائيات ثم الحروف المفردة (باستثناء النون والياء).
- الحفاظ على متتالية «ك ل م ن». (رغم تشابه النون مع مجموعة الباء).
- عدد الحروف المتشابهة؛ كما في أسرة الباء، أسرة الجيم، الثنائيات، الحروف المفردة الشكل.
- التكرار: أي درجة تردد الحرف في اللغة؛ كما في الألف[٤٢].
- تأخير الواو وألف الوصل والياء؛ نظرا لطبيعتها الصوتية.

الترتيب الداخل للمجموعات:

• المُهمَل يسبق المعجم من الحروف المتشابهة الثنائية؛ باعتبار الإهمال هو الأصل. على أن هذه القاعدة لم تنطبق على المتشابهات الثلاثية؛ فالمجموعة البائية لم يترك أحدها مهملا، والمجموعة الجيمية بدأت بالمعجم (الجيم) قبل المهمل (الحاء).

• طريقة نطق الحرف (جيم / خاء): يبرر أبو عمرو الداني وضع النقطة أسفل الجيم لكون الجيم مكسورة، بينما يبرر وضع النقطة أعلى الخاء لأن الخاء مفتوحة[٤٣].

مناهج الترتيب الهجائي

على أن الترتيب الهجائي نفسه قد ظهر في شكلين، كما يظهر في الجدول رقم (٨) الترتيب الهجائي المشرقي والترتيب الهجائي المغربي. فالترتيب المشرقي هو الترتيب الأشهر، وينتشر في المشرق العربي. أما الترتيب المغربي فأقل شهرة وينتشر في المغرب العربي؛ في شمال أفريقيا، وكان مستعملا في الأندلس أيضا. يقول عبد السلام هارون إن «الترتيب الهجائي للحروف الأندلسية والمغربية يخالف طريقة المشارقة؛ ومن هنا اختلف ترتيب بعض معاجمهم وكتب رجالهم عن ترتيب المشارقة»[٤٤].

#	الترتيب المشرقي	الترتيب المغربي	#	الترتيب المشرقي	الترتيب المغربي
١	أ	أ	١٦	ط	م
٢	ب	ب	١٧	ظ	ن
٣	ت	ت	١٨	ع	ص
٤	ث	ث	١٩	غ	ض
٥	ج	ج	٢٠	ف	ع
٦	ح	ح	٢١	ق	غ
٧	خ	خ	٢٢	ك	ف

#	الترتيب المشرقي	الترتيب المغربي	#	الترتيب المشرقي	الترتيب المغربي
٨	د	د	٢٣	ل	ق
٩	ذ	ذ	٢٤	م	س
١٠	ر	ر	٢٥	ن	ش
١١	ز	ز	٢٦	هـ	هـ
١٢	س	ط	٢٧	و	و
١٣	ش	ظ	٢٨	ا	ا
١٤	ص	ك	٢٩	ي	ي
١٥	ض	ل			

جدول رقم: ٨ مقارنة بين الترتيب الهجائي المشرقي والمغربي

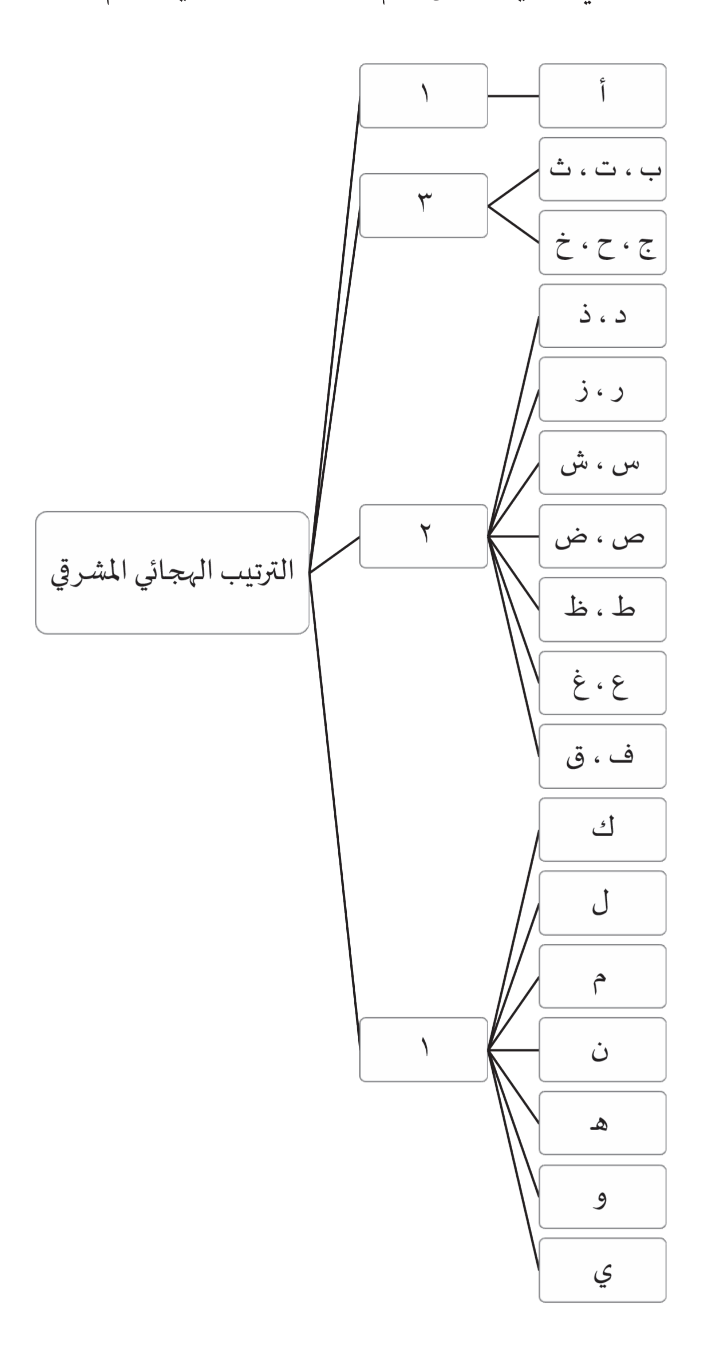
ملاحظات على الفروق بين الترتيب الهجائي المشرقي والمغربي:

• يشترك الترتيبان في المحافظة على المتشابهات الثلاثيات (ب، ت، ث)، (ج، ح، خ). إضافة إلى اتفاقهما في مواضع كل من الألف، والهاء، والواو، ولا، والياء.

• يشترك الترتيبان في المحافظة على المتشابهات الثنائيات (الحروف المزدوجة) فيما بينها كثنائيات؛ وان اختلفت مواضع كل زوج منها بين الترتيبين.

• يشترك الترتيبان في المحافظة على ترتيب متتالية «كلمن» فيما بينها، في كل من الترتيبين؛ وأن اختلف موقع هذه المتتالية بين الترتيبين. ولعل احتفاظ هذه المتتالية قائم بين معظم أبجديات الحروف السامية، كما يلاحظ عدنان الخطيب «أن هذه الحروف الأربعة حافظت على ترتيبها الأبجدي لدى أكثر الشعوب التي اقتبست حروفها من الأبجدية الفينيقية» (٤٥-٤٦).

- الترتيب المشرقي كما في الشكل رقم (٥) أكثر منطقية في تنظيم الحروف.



شكل رقم: ٣ منطقية الترتيب الهجائي المشرقي

توظيف الترتيب الهجائي:

أخذ الترتيب نصيب الأسد في الثقافة العربية. سواء في تعليم اللغة للمبتدئين، أو صناعة المعاجم، أو في مجال الفهرسة والببليوجرافيا. وسنتناول مجالات توظيف الترتيب الهجائي كما يلي:

التأليف المعجمي:

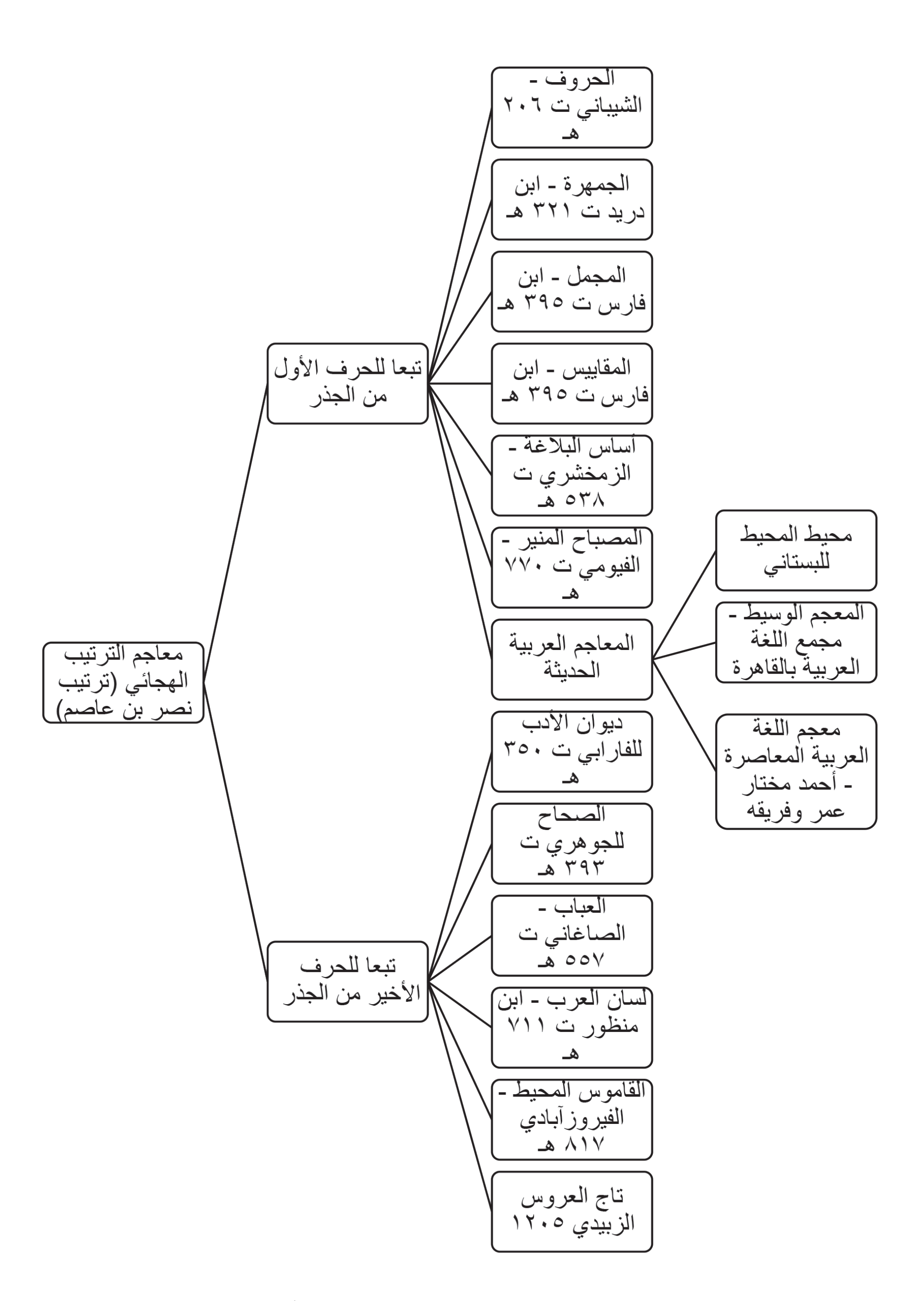
اعترافا بمركزية الترتيب الهجائي في تاريخ المعجمية العربية؛ عدّ عدنان الخطيب نصر بن عاصم الليثي ت ٨٩ هـ ؛ لإنجازه ترتيب حروف الهجاء(٤٧)؛ من بناة المعجم العربي، ووضعه على رأس جدول يضم أشهر المشتركين في بناء المعجم العربي. ولقد سيطرت طريقة الترتيب الهجائي في مجال المعجمية العربية، حتى أصبحت الطريقة الوحيدة المستخدمة في ترتيب مداخل المعجم وتنظيم بنيته الكبرى Macrostructure.

والشكل رقم (٧) يوضح نماذج لأهم المعاجم العربية العامة التي انتهجت طريقة الترتيب الهجائي(٤٨). ومن خلال تأمل المعاجم التي التزمت بطريق الترتيب الهجائي؛ يمكننا إيراد بعض الملاحظات على المعاجم العربية الهجائية فيما يلي:

• إن طريقة الترتيب الهجائي هي الأكثر انتشارا وشيوعا في تاريخ الصناعة المعجمية العربية، وذلك بعد الاختفاء التام لطريقة الترتيب المعجمي المخرجي / الصوتي.

• إن بعض المعاجم التي التزمت منهج الخليل في الأبنية أو التقاليب؛ قد هجرت طريقة الترتيب الصوتي المخرجي، مثل معجما المجمل والمقاييس لابن فارس، ومعجم الجمهرة لابن دريد الذي أبقى على الأبنية.

• أن بعض المعاجم؛ -لأغراض الصناعة المعجمية -غيرت في موقع باب الواو؛ فقدمته على باب الواو. والسبب في ذلك تمييز الواوي من اليائي من الكلمات. وقد فعلت بعض المعاجم ذلك في الباب والفصل أيضا.



شكل رقم: ٤ معاجم الترتيب الهجائي (الألفبائي)

٢) الفهرسة والببليوجرافيا:

يستخدم الترتيب الهجائي في بناء الفهارس والمسارد والمراجع والمصادر التي تأتي في خاتمة الأعمال العلمية. ويذكر كان علماء الحديث النبوي الشريف من أوائل الذين استخدموا هذا الترتيب في تنظيم أعمالهم. كما يستخدم الترتيب الهجائي، كذلك، في ترتيب أسماء الكتب والمصادر في المكتبات وتنظيم الأعمال المرجعية.

٣) تعليم اللغة:

يتم تلقين متعلمي اللغة العربية الحروفَ بالاعتماد على الترتيب الهجائي، فيتلقى التلاميذ الحروف شكلا واسما بالترتيب الهجائي؛ حتى أن اسمه ارتبط بالهجاء الذي يقول عنه الزمخشري في أساس البلاغة: تعلم هجاء الحروف وتهجيتها وتهجيها، وهو يهجوها ويُهَجّيها ويتهجّاها: يعددها[٤٩].

وفي «لسان العرب»: «والهِجاء تَقْطِيعُ اللفظة بحُروفِها. وهَجَوْتُ الحروف وتَهَجَّيْتُها هَجْواً وهِجاء وهَجَّيْتها تَهْجِيةً وتَهَجَّيتُ، كله بمعنى»[٥٠].

٤) الترتِيبُ الصوتيّ

يختلف الترتيب الصوتي عن الترتيبين الأبجدي والهجائي في كونه يعتمد أسسا صوتية، لا شكلية أو تاريخية؛ فهو ترتيب مخرجي يحدد رتبة الحرف في الترتيب العام لحروف اللغة بالنظر إلى موضع هذا الحرف على مدرج مخارج الحروف في الجهاز النطقي للمتكلم العربي. فهذا النوع من الترتيب ينتمي إلى علم الأصوات لا إلى علم الكتابة Orthography.

والترتيب الصوتي للحروف العربية هو الأحدث ظهورا، إضافة إلى كونه الأقل شيوعا مقارنة بالترتيب الهجائي والترتيب الأبجدي؛ إذ يمكن اعتبارُه ترتيبَ الخواص، يستعملونه في مجالات بعينها ترتبط بالدرس الصوتي، مثل علم الأصوات، وعلم التجويد، والصناعة المعجمية؛ فظل هذا المنهج محصورا داخل هذه التخصصات العلمية، ولم ينتشر بين العامة لتعليم الكتابة العربية أو التهجي والإملاء؛ إذ لم يقصد به أن يكون طريقة لتنظيم حروف اللغة العربية لتعليمها أو تسهيل حفظها، حتى أن بعضهم قد حاول توثيق ترتيب الحروف، بحسب كتاب العين، ليسهل تذكرها؛ فنظمها

في أبيات من الشعر. على أنه لا يمكن القول بأن هناك ترتيبا صوتيا واحدا متفقا عليه. فالترتيب الصوتي في الثقافة العربية به كثير من مواطن الاختلاف حول عدد الحروف، ومواضع المخارج، وصفات الأصوات. ومما يميز الترتيب الصوتي أيضا أنه مرتبط باللغة العربية ولا يكاد يصدق على اللغات الأخرى التي تتبنى الحرف العربي.

٤-١ المجالات المعنية بالترتيب الصوتي

وبالرغم من أن نشأة هذا الترتيب كانت في سياق الصناعة المعجمية؛ نجد أنها أقرب، بطبيعتها، إلى عِلمَيْ الأصوات والتجويد. فكلا العلمين يهدف – ضمن ما يهدف –إلى تحديد مخارج الحروف وترتيبها على أساس تجاورها.

فعلم الأصوات: يرتب الأصوات بحسب موضع المخرج في الجهاز النطقي ابتداء من أقصى الحلق إلى أطراف الشفتين؛ للتوصل إلى تصور للأصوات اللغوية مرتبة وموزعة على مواضع النطق.

وعلم التجويد: يعنى بتحديد الأصوات بحسب مواضع مخارجها في الجهاز النطقي أيضا مثل علم الأصوات. غير أن الفرق أن علم التجويد يقتصر عمله على مدونة لغوية واحدة متجانسة، هي القرآن الكريم وطريقة تلاوته وإعطاء الحروف حقها في النطق.

وأما صناعة المعاجم، فإن واحدة من أشهر المدارس المعجمية هي مدرسة الترتيب الصوتي التي أسسها الخليل بن أحمد؛ ترتب أبواب معاجمها بالاعتماد على ترتيب الأصوات بحسب موضع مخارجها. على أن هذه الطريقة في الترتيب لم تعد مستعملة في الصناعة المعجمية.

٤-٢ الخليل بن أحمد والترتيب الصوتي

ومخترع هذا النوع من الترتيب هو الخليل بن أحمد لدى تصديه لتأليف أول معجم عربي عام. فقد كان الترتيب الهجائي (ترتيب نصر بن عاصم) مستقرا في الزمن الذي ألف الخليل فيه معجمه. حتى أننا نجد في مقدمة معجم العين ما نصه: «يقول الخليل: «هذا ما ألفه الخليل بن أحمد البصري –رحمة الله عليه–من حروف: أ، ب، ت، ث، مع ما تكملت به، فكان مدار كلامهم وألفاظهم، فلا يخرج منها عنه شيء...»[٥١].

١-٢-٤ دوافع الخليل لابتكار هذا الترتيب

ما الذي حدا بالخليل أن يتبنى ترتيبا جديدا لمعجمه في الوقت الذي شهد استقرار الترتيب الهجائي الألفبائي؟ تعددت التفسيرات التي طرحت لتبرير ما فعله الخليل. وتراوحت هذه التفسيرات بين أن ذلك إنما جاء بمحض الصدفة وأن الخليل لم يكن يخطط له. وتفسير آخر رأي أن ما فعله الخليل إنما كان تقليدا لما علم به من اللغات الأخرى. ورأي ثالث رأى أن الخليل أراد للترتيب أن يكون مبنيا على أساس علمي. ويمكن استعراض هذه الآراء فيما يلي:

• أن الخليل لم يكن يرتب لهذا الترتيب ولم يقصد إلى ذلك.

يستخلص أصحاب هذا التفسير مما أورده الليث في مقدمة العين نفسه عند الحديث عن خطة الخليل في ترتيب مادة معجم العين. فقد ورد في مقدمة معجم العين روايةً عن الخليل أنه «لم يمْكنْه أن يبتدئ التأليف من أول (أ، ب، ت، ث) وهو الألف، لأن الألف حرف معتل، فلما فاته الحرف الأول كره أن يبتدئ بالثاني -وهو الباء-إلا بعد حجة واستقصاء النظر، فدبر ونظر إلى الحروف كلها وذاقها، فوجد مخرج الكلام كله من الحلق، فصير أَولاها بالابتداء أدخل حرف منها في الحلق[٥٢].

وهذا يعني أن الخليل لم يكن يرتب لهذا الترتيب ولم يقصد إلى ذلك بل ساقته محاولاته إلى ذلك. فيُرجِع البعض[٥٣] لجوءَ الخليل إلى الترتيب الصوتي إلى المصادفة، أو كأنه كان محاولة منه للهروب من الهمزة، ثم كرها في أن يبدأ معجمه بالباء. فما كان به – بحسب هذا البعض –إلا أن بدأ يفكر في طريقة مختلفة تماما فكان أن هُدِي طريقة الترتيب الصوتي المخرجيّ.

• أن الخليل إنما هو مقلد في مسألة الترتيب الصوتي:

ولعل وجاهة الطرح الخليلي لترتيب الأصوات، واكتماله بدون مقدمات تاريخية منطقية تمهد له؛ قد دفع البعض إلى أن يشكك في أصالة منهج الخليل للترتيب الصوتي. وقد لقيت أصالة هذا الترتيب جدلا. فدائرة المعارف الإسلامية ترجح تأثر الخليل في ترتيب معجمه بترتيب «حروف الهجاء عند النحاة السنسكريتية وهي التي تبدأ بحروف الحلق حتى تصل إلى حروف الشفة»[٥٤].

ويرى حسين نصار أنها «مشكلة جدلية لا يمكن الوصول فيها إلى يقين»[٥٥]؛ غير أنه يميل إلى عدم تأثر الخليل؛ لتشابه الظروف في كل من اللغتين السنسكريتية والعربية في تركز الدرس اللغوي في كلتا اللغتين على نص مقدس وأن فكرة الترتيب ليست بدعا في الثقافة العربية التي رتبا القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف[٥٦].

• الإحساس بمشكلات الترتيب الهجائي، والرغبة في إيجاد ترتيب مبني على أسس علمية:

وصاحب هذا الرأي هو مهدي المخزومي؛ إذْ يرى أن ما دفع الخليل إلى «العدول عن نظام ترتيب الأحرف المعروف في عصره وهو الترتيب الأبجدي والترتيب الألفبائي؛ هو أن الترتيب الموروث السابق لم يُبْنَ على أساس علمي، فهو حين أراد أن يصنفها على قدر مخارجها كان يرمي إلى إعادة تنظيمها ولكن على أساس علمي واضح»[٥٧] .

• أنها جزء من نظرية الخليل اللسانية والمعجمية:

ولعل تأملا في نظرية الخليل التي بنى عليها منهج معجمه تؤكد أنه قد لجأ إلى الترتيب الصوتي لأسباب نظرية؛ لا رغبة في هجر الترتيب الهجائي أو حتى الأبجدي؛ فهما ليسا منبنيان على أساس علمي يدعم منطلقاته النظرية. كما أن الخليل لم يرفض الترتيب الهجائي؛ بل يعترف بالترتيب الهجائي إلى جانب المخرجي[٥٨]؛ باعتبارهما متكاملين أو متباينين لا مترادفين أو متبادلين بل.

غير أنه يمكننا القول إن ما دفع الخليلَ إلى ابتكار هذا النوع من الترتيب لهو نظريته المعجمية، ومنهجه العام الذي اختطه لحصر كلمات اللغة المستعملة وتعيين الأبنية المهملة. فتطبيق التقليبات يحدد -إلى جانب حصر المستعمل والمهمل- القوانين الصوتية التي تحكم صياغة الكلمة العربية (Arabic Word Formation)؛ إذ يحكم ذلك عدد من العوامل هي طبيعة الحروف المكونة للكلمة، وطبيعة البنية أو طولها. وما يؤيد هذا الرأي أننا نجد الخليل يرصد الحروف التي ليس لها أن تتراكب؛ نظرا لطبيعتها الصوتية. ويمكن التدليل على ذلك بما قيل في حروف الذلاقة (اللام، والراء، والنون، والفاء، والباء، والميم)، في مقابل الحروف المصمتة، وهي باقي الحروف، ومن أن الأسماء ذوات (الأبنية)الرباعية أو الخماسية لابد أن تشتمل على حرف منها على الأقل؛ «فليس شَيْءٌ من بِناء الخماسيِّ التَّامِّ يَعْرَى منها أو من بعضها»[٥٩]؛ وإلا عدّت من الحروف الدخيلة على كلام العرب. «قال الخليل: فإن وَرَدَتْ عليك كلمة رباعيَّة أو خماسيَّة معرَّاة من

حروف الذَلَق أو الشفوية ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أنَّ تلك الكلمة مُحْدَثة مُبْتَدَعة، ليست من كلام العرب لأنك لست واجداً من يسمع من كلام العرب كلمة واحدة رباعيَّة أو خماسيَّة إلاَّ وفيها من حروف الذَلَق والشفوية واحد أو اثنان أو أكثر»(٦٠).

٣-٤ مناهج الترتيب الصوتي

لا يعد الترتيب الصوتي ترتيبا متفقا عليه اتفاقا تاما بين الباحثين؛ إذْ وقعت اختلافات بين اللغويين نظرا للاختلاف في تحديد مخارج بعض الأصوات. وأول المناهج الصوتية التي عرفتها الثقافة العربية هو ترتيب الخليل بن أحمد. وقد اختلف معه تلميذه سيبويه في عدد من المواضع، وفي عدد المخارج، فكان له منهج للترتيب الصوتي مختلف عن الخليل.

١) مجالات الاختلاف في الترتيب الصوتي

واستمر الاختلاف موجودا حول الترتيب قديما وحديثا؛ وتجلّى في عدد من الجوانب تتضمن: الاختلاف حول مخارج الحروف وعددها، والاختلاف حول عدد الحروف، والاختلاف حول صفات الأصوات(٦١).

٢) الاختلاف بين العلماء في عدد المخارج:

ويؤثر الاختلاف في عدد المخارج في ترتيب الحروف؛ إذ إنه ترتيب مخرجي، يعتمد على موضع الحرف لتحديد ترتيبه. ومحور هذا الاختلاف هو مخرج الأصوات الجوفية (الهوائية)، وهي (الألف، الواو، الياء). فهي عند الخليل، وابن الجزري والقراء ١٧ مخرجا. وعند سيبويه وابن جني ١٦ مخرجا. أما الباحثون المحدثون فتتفاوت تقديراتهم لمخارج العربية الفصحى بين كونها ٩ مخارج، أو ١١ مخرجا، أو ١٠ مخارج.

٣) الاختلاف حول عدد الحروف:

ويعود الاختلاف في عدد الحروف العربية إلى موقف العلماء من ألف المد؛ هل هي تنوعٌ أو شكلٌ من أشكال الهمزة أم أنها حرف مستقل؟ فعدد الحروف عند الخليل ٢٩ حرفا؛ حيث يقول الخليل: في العربيّة تسعة وعشرون حرفًا: منها خمسة وعشرون حرْفًا صحاحًا لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوْف وهي: الواو والياء والألف الليّنة والهمزة»(٦٢). ويتفق سيبويه مع الخليل في عد حروف الهجاء(٦٣)، كما ينص ابن جني

إلى أن هناك إجماعا على كونها تسعة وعشرين حرفا، فيقول: «اعلم أن أصول حروف المعجم عند الكافة تسعة وعشرون حرف، فأولها الألف وآخرها الياء على المشهور من ترتيب المعجم»(٦٤)، كما أنه فند الرأي الذاهب إلى اعتبار الألف هي نفسها الهمزة(٦٥). وممن ذهب إلى أن حروف الهجاء ثمانية وعشرون حرفا، من باحثي العصر الحديث، كمال بشر(٦٦)، وعدنان الخطيب(٦٧) وعبد العزيز أحمد علّام(٦٨).

٤-٤ منهجيات الترتيب الصوتي

ويمكن أن نعرض لأهم المنهجيات للترتيب الصوتي للغة العربية الفصيحة / الفصحى كما يلي:

١) الترتيب الصوتي لدى رواد البحث اللساني العربي:

يعد ترتيب الخليل أول ترتيب للأصوات العربية. حدد الخليل ١٧ مخرجا للأصوات العربية، وقد رتب الخليل أصوات العربية تبعا لمخارجها. فابتدأ من أقصى الحلق وصولا إلى الشفتين. يظهر الجدول رقم (٩) مخارج الحروف وترتيبها لدى الخليل ابن أحمد.

#	الصوت	المخرج	#	الصوت	المخرج
١	ع		١٧	ظ	
٢	ح		١٨	ث	لثويّ
٣	هـ	حلقيّ	١٩	ذ	
٤	خ		٢٠	ر	
٥	غ		٢١	ل	ذلقيّ
٦	ق	لهويّ	٢٢	ن	
٧	ك		٢٣	ف	شفويّ
٨	ج	شجريّ	٢٤	ب	

#	الصوت	المخرج	#	الصوت	المخرج
٩	ش	شجريّ	٢٥	م	شفويّ
١٠	ض		٢٦	و	هوائيّ أو جوفيّ
١١	ص	أسليّ	٢٧	ا	
١٢	س		٢٨	ى	
١٣	ز		٢٩	ء	
١٤	ط	نطعيّ			
١٥	د				
١٦	ت				

جدول رقم: ٩ مخارج الحروف عند الخليل في العين

أما سيبويه فقد اختلف مع الخليل في عدد المخارج إذْ عدها ١٦ مخرجا؛ ومن ثم خالفه في ترتيب الأصوات. الجدول رقم (١٠) يبين -في جانب منه -الفروق بين الترتيب الخليلي وترتيب سيبويه وابن جني.

٢) الترتيب الصوتي لدى الباحثين العرب المحدثين:

اعتمد البحث الحديث مناهج وأدوات حديثة في التحليل الصوتي؛ تحديدا لمخارج الأصوات ولصفاتها؛ وبالتالي ظهرت اختلافات في نتائج التحليل الصوتي أظهرت طرائق متباينة للترتيب الصوتي. والجدول رقم (١٠) يبين -في جانب منه -الفروق بين ثلاثة مناهج للترتيب الصوتي المخرجي، لثلاثة باحثين من العصر الحديث هم تمام حسان[٦٩]، وكمال بشر[٧٠]، والطيب البكوش[٧١].

ويميز تمام حسان[٧٢] بين اتجاه التحليل لدى كل من علماء العربية القدماء والمناهج الحديثة؛ فمناهج علماء العربية القدماء ينطلقون من الحرف إلى الصوت بينما يتجه البحث

الحديث من الصوت إلى الحرف. ولعل هذا مما يؤكد رسوخ ظاهرة الحروف وتحدد معالمها واكتمال التحليل الفونولوجي لأصوات العربية حتى إن الحروف كانت محددة لكل فونيم بما يتفرع تحته من ألوفونات. وحتى ليمكن الزعم بأن التحليل الفونولوجي لأصوات اللغة هو أول وأقدم مستويات التحليل اللساني للغة.

	نماذج للترتيب الصوتي في التراث اللساني			نماذج للترتيب الصوتي لباحثين معاصرين		
#	الخليل	سيبويه	ابن جني	الطيب البكوش	كمال بشر	تمام حسان
١	العين	الهمزة	الهمزة	الهمزة	الهمزة	الهمزة
٢	الحاء	الألف	الألف	الهاء	الهاء	الهاء
٣	الهاء	الهاء	الهاء	العين	العين	الحاء
٤	الخاء	العين	العين	الحاء	الحاء	العين
٥	الغين	الحاء	الحاء	القاف	القاف	القاف
٦	القاف	الغين	الغين	الغين	الخاء	الكاف
٧	الكاف	الخاء	الخاء	الخاء	الغين	الخاء
٨	الجيم	الكاف	القاف	الكاف	الكاف	الغين
٩	الشين	القاف	الكاف	الياء	الواو	الشين
١٠	الضاد	الضاد	الجيم	الجيم	الياء	الجيم
١١	الصاد	الجيم	الشين	الشين	الجيم	الياء
١٢	السين	الشين	الياء	الزاي	الشين	النون
١٣	الزاي	الياء	الضاد	الصاد	الراء	الراء
١٤	الطاء	اللام	اللام	السين	الزاي	اللام
١٥	الدال	الراء	الراء	الراء	السين	الزاي
١٦	التاء	النون	النون	اللام	الصاد	الضاد
١٧	الظاء	الطاء	الطاء	الضاد	التاء	الدال

	نماذج للترتيب الصوتي في التراث اللساني			نماذج للترتيب الصوتي لباحثين معاصرين		
#	الخليل	سيبويه	ابن جني	الطيب البكوش	كمال بشر	تمام حسان
١٨	الذال	الدال	الدال	النون	الدال	الطاء
١٩	الثاء	التاء	التاء	الطاء	الضاد	التاء
٢٠	الراء	الصاد	الصاد	الدال	الطاء	الصاد
٢١	اللام	الزاي	الزاي	التاء	اللام	السين
٢٢	النون	السين	السين	الظاء	النون	الثاء
٢٣	الفاء	الظاء	الظاء	الذال	الثاء	الذال
٢٤	الباء	الذال	الذال	الثاء	الذال	الظاء
٢٥	الميم	الثاء	الثاء	الفاء	الظاء	الفاء
٢٦	الواو	الفاء	الفاء	الواو	الفاء	الواو
٢٧	الألف	الباء	الباء	الميم	الباء	الميم
٢٨	الياء	الميم	الميم	الباء	الميم	الباء
٢٩	الهمزة	الواو	الواو		الواو	

جدول رقم: ١٠ ترتيب الأصوات العربية لدى نماذج من القدماء والمحدثين

توظيف الترتيب الصوتي

يهتم كل من علم التجويد وعلم الأصوات بالترتيب المخرجي للأصوات في ذاته باعتباره موضوعا لهما. وقد يوظف فيهما هذا الترتيب لتسهيل معرفة وحفظ الطلاب لمخرج كل صوت / حرف من أصوات اللغة.

أما مجال صناعة المعاجم فهو المجال المعرفي الذي يمكن أن يُعتَبر تعاملُه مع الترتيب الصوتي توظيفا لهذا الترتيب؛ وليس غاية في ذاته. فقد ارتبط الترتيب الصوتي في نشأته بصناعة المعاجم، عندما استخدمه الخليل في بناء معجمه العين. ولعل ارتباط هذا النوع من الترتيب هو الذي جعل كثيرا من الباحثين يعدونه نوعا من ترتيب الحروف الهجائية.

فالترتيب الصوتي لا يعد ترتيبا للعامة؛ إذ إنه -على سبيل المثال -لم يستخدم في تعليم اللغة كالترتيبين الأبجدي والهجائي. كما أنه لا يوجد عليه اتفاق عام أو شبه عام؛ فهو مرتبط بالاستقراء الخاص ببعض علماء الأصوات.

ولقد أسس الخليل بهذا المنهج مدرسة في مجال الصناعة المعجمية تبعته في منهجه أو في بعض من جوانبه. فقد اتبع عدد من المعاجم هذا الترتيب مما حدا بدارسي المعجم العربي إلى اعتدادها مدرسة معجمية[٧٣]. واشتهر هذا الترتيب لدى المهتمين بالعمل المعجمي والفهرسة بالترتيب العيني نسبة إلى معجم العين[٧٤]. وأهم ما يميز منهج الخليل في بناء معجمه «العين» هو اعتماده على مجموعة من الأسس المنهجية:

الترتيب الصوتي: وكان بترتيب أبواب المعجم وفصوله بناء على أسس صوتية؛ وقد رتب هذه الأبواب / الحروف على أساس مخرجها.

الأبنية: ويقصد بها تقسيم الباب إلى عدد من الأبنية؛ هي باب المضاعف، باب الثلاثي الصحيح، باب الثلاثي المعتل، باب اللفيف، باب الرباعي، باب الخماسي.

التقليب: ويقصد به تقليب الحروف الأول لاستقصاء كل الاحتمالات الممكنة ورصد المستعمل وتبيين المهمل من كل احتمال.

وما يهمنا في هذه الجوانب هو مسألة الترتيب. والجدول رقم (١٢) يعرض لأهم الأعمال المعجمية العربية التي تبنت منهج الترتيب الصوتي لأبواب المعجم وفصوله، (مرتبة زمنيا بحسب تاريخ وفاة المؤلف)، مع الإشارة إلى المعاجم التي خالفت الخليل في طريقة ترتيب الأصوات / الحروف، إن وجد اختلاف، ولم يختلف مع الخليل في هذا الترتيب إلا البارع للقالي[٧٥].

ملاحظات على منهج الترتيب الصوتي	المعجم	تاريخ وفاته	المعجميّ
ع ح هـ خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م وا ي أ	العين	١٧٠ هـ	الخليل بن أحمد
هـ ح ع خ غ ق ك ض ج ش ل ر و ن ط د ت ص ز س ظ ذ ث ف ب م و ا ى[٧٦]	البارع	٣٥٦ هـ	أبو علي القالي

ملاحظات على منهج الترتيب الصوتي	المعجم	تاريخ وفاته	المعجميّ
ترتيب الخليل [٧٧]	تهذيب اللغة	٣٧٠ هـ	أبو منصور الأزهري
ترتيب الخليل	مختصر العين	٣٧٩ هـ	أبو بكر الزُّبيْدىّ
ترتيب الخليل [٧٨]	المحيط	٣٨٥ هـ	الصاحب بن عباد
ترتيب الخليل [٧٩]	المحكم والمحيط الأعظم	٤٥٨ هـ	ابن سيده

جدول رقم: ١١ معاجم الترتيب الصوتي

خاتمة وتوصيات

خلص هذا الفصل لدرس طرائق ترتيب الحروف العربية ومراتبها المتنوعة بتنوع السياق البحثي اللساني نظريا وتطبيقيا؛ فرصد الطرائق المختلفة التي عَرَفَتْها الثقافةُ العربيةُ لترتيب حروف لغتها؛ وهي طريقة الترتيب الأبجدي، تلتها في الظهور طريقة الترتيب الهجائي الألفبائي، ثم طريقة الترتيب الصوتي المخرجي. على أن الترتيبين الأبجدي والهجائي هما الأقرب لمجال الكتابة والإملاء، أما الترتيب الصوتي فارتبط – إلى جانب الدرس الصوتي وعلم التجويد – بحقبة من تاريخ تأليف المعاجم العربية ابتدأها الخليل بن أحمد بمعجمه «العين». ولقد تناول الفصل –عرضا وتحليلا– طرق الترتيب الهجائية، والأبجدية، والصوتية المخرجية، وتباين مراتبها وفقا لمنطلقات النظر إليها والغاية منها. وسعى لاستخلاص معايير الترتيب؛ الصوتية المخرجية، والشكلية، والإيتيمولوجية / التأثيلية. كما ناقش التفسيرات المفترضة لمحتوى كل نوع من أنواع الترتيب وغاياته؛ التعليمية والبحثية، واستخدماته وتوظيفه على المستويين؛ البحثي النظري، والتطبيقي. فعلى المستوى النظري أسس الفصل لكل طريقة من طرق الترتيب؛ ليستخلص المعايير التي بنى عليها، وفلسفته، وجدواه. وعلى الجانب التطبيقي، قدم الفصل فحصا لتوظيف ترتيب منظومة الحروف العربية في المجالات التطبيقية مثل تعليم اللغة للمبتدئين، والصناعة المعجمية، والفهرسة(indexing).

وكان من أهم النتائج التي يمكن إيرادها ما يلي:

• أن الترتيب الهجائي تميز بأنه الأشهر والأسير، وأنه مصنوع تطبيقا لسياسة لغوية، إضافة إلى أنه اعتُمِد في بنائه على الشكل بصورة كبيرة، إضافة إلى أنه يعتبر ترتيبا عربيا خالصا. وقد أخذ الترتيب نصيب الأسد في الثقافة العربية. سواء في تعليم اللغة للمبتدئين، أو صناعة المعاجم، أو في مجال الفهرسة والببليوجرافيا.

• تم تطوير الترتيب الهجائي في السياق الثقافي العربي؛ بعد أن فرضه الواقع المجتمعي للغة العربية. ومن ثم يمكننا الربط بين الترتيب الهجائي والسياسة اللغوية التي أنجزت في إطارها الإصلاحات الممنهجة لمنظومة الكتابة العربية.

• إن طريقة الترتيب الهجائي هي الأكثر انتشارا وشيوعا في تاريخ الصناعة المعجمية العربية، وذلك بعد الاختفاء التام لطريقة الترتيب المعجمي المخرجي / الصوتي.

يختلف الترتيب الصوتي عن الترتيبين الأبجدي والهجائي في كونه يعتمد أسسا صوتية، لا شكلية أو تاريخية؛ فهو ترتيب مخرجي يحدد رتبة الحرف في الترتيب العام لحروف اللغة بالنظر إلى موضع هذا الحرف على مدرج مخارج الحروف في الجهاز النطقي للمتكلم العربي. لذا يمكن القول إن هذا النوع من الترتيب ينتمي إلى علم الأصوات لا إلى علم الكتابة Orthography. فالترتيب الصوتي للحروف العربية هو الأحدث ظهورا، إضافة إلى كونه الأقل شيوعا مقارنة بالترتيب الهجائي والترتيب الأبجدي؛ إذ يمكن اعتبارُه ترتيبَ الخواص، يستعملونه في مجالات بعينها ترتبط بالدرس الصوتي، مثل علم الأصوات، وعلم التجويد، والصناعة المعجمية؛ فظل هذا المنهج محصورا داخل هذه التخصصات العلمية، ولم ينتشر بين العامة لتعليم الكتابة العربية أو التهجي والإملاء؛ إذ لم يقصد به أن يكون طريقة لتنظيم حروف اللغة العربية لتعليمها أو تسهيل حفظها.

• أن لجوء الخليل بن أحمد إلى طريقة الترتيب الصوتي كان جزءا من نظرية الخليل المعجمية؛ فقد لجأ إلى الترتيب الصوتي لأسباب نظرية؛ لا رغبة في هجر الترتيب الهجائي أو الأبجدي؛ بل إن ما دفع الخليلَ إلى ابتكار هذا النوع من الترتيب هو نظريته المعجمية، ومنهجه العام الذي اختطته لحصر كلمات اللغة المستعملة وتعيين الأبنية المهملة. فتطبيق

التقليبات يحدد -إلى جانب حصر المستعمل والمهمل - القوانين الصوتية التي تحكم صياغة الكلمة العربية (Arabic Word Formation)؛ إذ يحكم ذلك عدد من العوامل هي طبيعة الحروف المكونة للكلمة، وطبيعة البنية أو طولها.

ويمكن أن نورد التوصيات التالية:

• ينبغي درس مراحل تطوير منظومة الكتابة العربية، والإفادة منها باعتبارها نموذجا ناجحا للسياسة اللغوية التي قصدت إلى تغيير في منظومة الكتابة العربية وفرضه على المجتمع اللغوي.

• يمكن متابعة تطوير منظومة الكتابة العربية بالقياس على ما تم إنجازه في مراحل التطوير المختلفة.

• يمكن للأعمال التي تنتهج الترتيب المغربي (أبجديا أو هجائيا) أن يلمحوا إلى الاختلافات بين الترتيبين المشرقي والمغربي في مقدمة أعمالهم المحققة أو المؤلفة وذلك لآثار الاختلاف في الترتيب على تفسير وقراءة التراث والمنجز الثقافي.

• يحتاج المنجز التراثي التنظيري الذي يتناول منظومة الكتابة العربية والحرف العربي - وما أكثره -إلى فحص علمي تحليلي؛ باعتبار مادة هذا المنجز مدونة قابلة للبحث والتحليل لاستخلاص الأطر النظرية التي حكمت عمليات الترتيب الهجائي، ومنهجية الإعجام.

• ينبغي إيجاد اتفاق على طريقة ترتيب أشكال التنوعات الخاصة بكل حرف Allophones، سواء داخل مجموعة تنوعات الحرف الواحد، أو في إطار قائمة رموز منظومة الكتابة العربية؛ خصوصا بعد توظيف الحاسوب في عملية الفهرسة والترتيب الآلي.

• ينبغي ان يتم التمييز، لدى التحليل اللساني، بين الحرف بوصفه وحدة فونولوجية تنتمي إلى منظومة الفونولوجيا، والحرف بوصفه وحدة كتابية grapheme هو رمز أو صورة بصرية يعبر عن الحرف / الفونيم. والحرف بهذا المفهوم يمكن اعتباره وحدة حرة لغويا؛ أي أنه يمكن أن يستخدم من قبل أكثر من لغة.

الهوامش

(1)Encyclopædia Britannica: Arabic alphabet https://www.britannica.com/topic/Arabic-alphabet

(٢)الخصائص، أبو الفتْح عثمان بن جنّيّ، تح: محمّد عليّ النّجّار ، دار الكتب المصريّة، القاهرة ١٩٥٧ م، ج ١، ص ٣٣

(٣) نقصد بالأبجدية – هنا –حروف الهجاء.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا. ٣/ ٢٣

(٥) أبو عمرو الداني: المحكم في نقط المصاحف. ص ص٢٥-٤١

(٦) عدنان الخطيب: المعجم العربي بين الماضي والحاضر. ص ٣٨

(٧) محمود مبارك عبد الله عبيدات: أصوات العربية من الترتيب الأبجدي إلى الترتيب الصوتي، مجلة جامعة دمشق – المجلد ٢٩ – العدد – ٣ / ٤، ٢٠١٣

(٨) من المعاني المعجمية للحرف: الحافة، والطرف، الجانب.

(٩) كما يطلق عليها أيضا: الحروف المعجمية، الحروف الهجائية، الحروف الألِفْبائيّة، حروف الهجاء / أو حروف ألف باء. الأبجدية، الألفباء.

(١٠) أبو القاسم الزجاجي: الإيضاح في علم النحو، تحقيق مازن المبارك، ط ٣، ١٩٧٩، ذار النفائس بيروت. ص ٥٤.

كما يميز الزجاجي بين الحرف في مفهوم الحرف في حالة الإفراد (حروف الهجاء)، وفي حالة التركيب (أبعاض الكلم)؛ فيقول «وأما الحروف التي هي أبعاض الكلم، فالبعض حد منسوب إلى ما هو أكثر منه، كما أن الكل منسوب إلى ما هو أصغر منه». أبو القاسم الزجاجي: الإيضاح في علم النحو. ص ٥٤

(١١) تمام حسن مناهج البحث في اللغة ص٩٠

(١٢) يعرب مصطلح الفونيم بعدة مقابلات عربية: صوتيم، وصوت، وصوت مجرد، وصوتية، ومصوت، وفونيمة ولافظ كما يعرب مصطلح الألوفون بعدة مقابلات هو

الآخر، منها: صوتم تعاملي، متغير صوتي. غير أن كثيرا من الباحثين – في مثل هذه الحالات –يفضل استخدام المصطلح الأجنبي، ومنهم – على سبيل المثال –مختار عمر، ويبرر لذلك بوضوح العلاقات اللفظية فيما بينها، ولسهولة تصريفها، ولأنها أصبحت مصطلحات عالمية. وفي المقابل نجد المصطلحات المعربة المقترحة ملبسة، وصعبة التصريف أو لعدم الاتفاق عليها. أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، ١٩٩٧، ص ١٦٥

(١٣) محمد على الخولي: معجم علم الأصوات، ط١ ١٩٨٢: فونيم ص ١٢٦

(١٤) ما قيل في تبرير تفضيل استخدام المصطلحين غير العربيين: الفونيم والألوفون؛ يمكن أن يقال – أيضا – في استخدام المصطلحين الجرافيم والألوجراف.

(١٥) مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ١٤٧

(١٦) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٥١

(١٧) لمراجعة موسعة لمحاولات إنجاز تصنيف عام لأنظمة الكتابة للغات العالم؛ ينظر:
Joyce, T., & Borgwaldt, S. R. (2011). Typology of writing systems: .Special issue introduction. Written Language & Literacy, 14(1), 1-11

(18) (DeFrancis, John (1989). Visible speech: The diverse oneness of writing systems. Honolulu: University of Hawaii Press. P: 3-4

وقد قمنا بتلخيص تصنيفه في الجدول أعلاه.

(١٩) كان أبرز أطراف هذه المعركة عبد العزيز فهمي الذي أعد ورقة بعنوان: اقتراح اتخاذ الحروف اللاتينية لرسم الكتابة العربية، وقدمها إلى مؤتمر المجمع –يناير سنة ١٩٤٤م. ويجدر بنا –من باب إبراز المفارقة –أن نشير إلى أبرز الأطراف المضادة لأفكار عبد العزيز فهمي، من الباحثين غير العرب، وهما: المستشرق الأمريكي ريتشارد لوتهيل، والمستشرق الإيطالي كارلو ناللينو الذي دحض الفكرة بالأدلة. أما الباحثون العرب الذين كانوا في جبهة الاحتفاظ بالحرف العربي فكثر.

(٢٠) يحدد العسكري موضوع كتابه بقوله: «شرحت في كتابي هذا الألفاظَ أو الأسماء المشكلة، التي تتشابه في صورة الخط، فيقع فيها التصحيف ويدخلها التحريف مما يعرض في ألفاظ اللغة والشعر". الحسن بن عبد الله العسكري: شرح ما يقع فيه

التصحيف والتحريف، تحقيق: عبد العزيز أحمد، ط١، ١٩٦٣، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. ص ١

(٢١) حمزة بن الحسن الأصفهاني: التنبيه على حدوث التصحيف. تحقيق: محمد أسعد طلس -عبد المعين الملوحي -أسماء الحمصي، دار صادر - بيروت، ١٩٩٢، ط ٢

(٢٢) أحمد زكي: الترقيم وعلاماته في اللغة العربية. ١٩١٢ ط ١ المطبعة الأميرية بمصر

(٢٣) لعرض لبدايات معالجة مشكلة حوسبة الحرف العربي يمكن مراجعة: محمد زكي محمد خضر (١٩٩٦): الحروف العربية والحاسوب، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني:
http://www.al-mishkat.com/khedher/wp-admin/Papers/paper4.pdf

(٢٤) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٩٢٢، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ج٣/ ٢٢ يقول القلقشندي: «واعلم أن ترتيب الحروف على ضربين؛ مفرد، ومزدوج، وبين أهل الشرق وأهل الغرب في كل من النوعين خلاف في الترتيب، أما المفرد: فأهل الشرق يرتبونه على هذا الترتيب: (أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، لا، ي). وأما أهل الغرب، فإنهم يرتبونه على هذا الترتيب: (أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، ط، ظ، ك، ل، م، ن، ص، ض، ع، غ، ف، ق، س، ش، هـ، و، لا، ي). وأما المزدوج: فأهل الشرق يرتبونه على هذا الترتيب: (أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ)، وأهل المغرب يرتبونه على هذا الترتيب: (أبجد، هوز، حطي، كلمن، صعفض، قرست، ثخذ، ظغش)

(٢٥) عبد الهادي التازي: ترتيب الحروف الهجائية بين المشارقة والمغاربة، مجلة مجمع اللغة العربية ج ٥٦، ١١٤٠٥هـ-١٩٨٥. ص ١٩٧-١٩٨

(٢٦) أحمد مختار عمر: صناعة المعجم الحديث ص ٢٣

(٢٧) أنيس فريحة: نظريات في اللغة. ص ٩٠

(٢٨) الحديث هنا عن الترتيب الأبجدي المشرقي؛ إذ إن طريقة الترتيب الأبجدي المغربي تختلف قليلا عن طريقة الترتيب الأبجدي المشرقي. وسنشير إلى ذلك في موضعه من البحث.

(٢٩) موجز دائرة المعارف الإسلامية، مدخل: (أبجد أو أبو جد)

(٣٠) دائرة المعارف الإسلامية. مدخل: (أبجد أو أبو جد). كما استشهدت دائرة المعارف الإسلامية على ضعف الآراء المفسرة لكلمات الترتيب، برأي «سلفستر دي ساسي» الذي انتقد في كتابه؛ «النحو العربي» أن كل الروايات لا تذكر إلا الكلمات الست الأولى وأن يوم الجمعة، مثلا، ليس «ثخذ» بل «عروبة»، وذلك ردا على من ربط بين كلمات الترتيب الأبجدي وأسماء الأسبوع.

(٣١) أنيس فريحة: نظريات في اللغة، ص٨٩. كما يرى – أيضا –أن حروف الآرامية وعددها اثنان وعشرون حرفاً، قد جمعت بحسب ترتيبها في كلمات (أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت)، وذلك بغية حفظها على هذا الترتيب؛ لأنها كانت تستخدم أيضا للأرقام قبل اقتباس الأرقام الهندية فكانت قيمة الألف واحدا، والباء اثنين، إلى حرف التاء وقيمته العددية (٤٠٠). أنيس فريحة: نظريات في اللغة، ص٩٠

(٣٢) موجز دائرة المعارف الإسلامية ص٦١ مدخل: (أبجد أو أبو جد)

(٣٣) ينظر الفصل الخاص بحساب الجمل في هذا الإصدار.

(٣٤) عدنان الخطيب: المعجم العربي بين الماضي والحاضر، صص٢١-٢٢، ويرى عدنان الخطيب إن «الترتيب الأبجدي المشرقي أقدم وأصح لأنه يتفق في الكلمات الست الأولى وع الأبجدية الفينيقي، كما أنه يجمع "الروادف العربية" في كلمتين مستقلتين عن الكلمات الأصلية، خلافا للترتيب المغربي الذي يخلط بينهما».

(٣٥) عبد الهادي التازي: ترتيب الحروف الأبجدية بين المشارقة والمغاربة، مجلة مجمع اللغة العربية؛ الجزء السادس والخمسون ١٩٩٨ ص: ١٩٧-١٩٨

(٣٦) وردت هذه التسمية في «المحكم في نقط المصاحف» لأبي عمرو الداني: «حروف: ألف ب ت ث إلى آخرها». أبو عمرو الداني: المحكم في نقط المصاحف، ص ٣٥

(٣٧) الزمخشري: أساس البلاغة، المقدمة، ص ٢

(٣٨) أبو عمرو الداني، المحكم فينقط المصاحف. ص ٢٦-٤٠

(٣٩) عدنان الخطيب: المعجم العربي بين الماضي والحاضر. ص ٢٥-٢٦

(٤٠) أبو عمرو الداني: المحكم في نقط المصاحف، ص ٣٧

(٤١) بعض هذه القواعد مستخلصة من أبي عمر الداني في كتابه المحكم في نقط المصاحف. باب ذكر القول في حروف التهجي، وترتيب رسمها في الكتابة ص ص٢٥-٤١

(٤٢) عن أبي عمرو الداني: المحكم في نقط المصاحف ص ٣٦

(٤٣) عن أبي عمرو الداني: المحكم في نقط المصاحف ص ٤١

(٤٤) عبد السلام هاون: تحقيق النصوص ونشرها، ط٧، ١٩٩٨ ص : ٢٨

(٤٥)

(٤٦) عدنان الخطيب: المعجم العربي بين الماضي والحاضر، ص,٢٧ حاشية رقم ٢

(٤٧) عدنان الخطيب: المعجم العربي بي الماضي والحاضر ص ٣٧

(٤٨) نظرا لكثر المعاجم العربية التي تبنت طريقة الترتيب الهجائيّ؛ أوردنا في الشكل أهم المعاجم العربية العامة، دون القصد إلى تحقيق الاستيعاب بإيراد كل معاجم هذا الاتجاه

(٤٩) الزمخشري: أساس البلاغة. مادة (هـ ج و)

(٥٠) ابن منظور: لسام العرب. مادة (هـ ج و)، وابن منظور ينقل هذا الشرح عن ابن سيده في المحكم: لابن سيده.

(٥١) الخليل بن أحمد، «العين»، تحقيق المخزومي والسامرائي، ج١ / ٤٧

(٥٢) السابق والصفحة.

(٥٣) يقول عبيدات» غير أن ترتيب الخليل أصوات العربية وفق هذا المعيار العلمي، لم يكن مقصوداً لذاته، وإنما كان بهدف ابتكار طريقة علمية عملية لترتيب مواد معجمه الذي ألفه. إذ لم يرغب الخليل في أن يبدأ معجمه بالألف التي هي أول الترتيب الألفبائي العربي، وأول الترتيب الأبجدي السامي، وذلك لأن الألف كما يقول حرف معتل، ثم كره أن ينتقل إلى الصوت الثاني وهو الباء إلا بعد حجة تسوغ له الانتقال إلى الصوت الثاني. محمود مبارك عبد الله عبيدات: أصوات العربية من الترتيب الأبجدي إلى الترتيب الصوتي، مجلة جامعة دمشق-المجلد ٢٩ - العدد ٣،٤ ٢٠١٣. وينقل السيوطي عن ابن كيسان أنه سمع خن يذك عن الخليل أنه قال: «لم أبدأ بالهمزة لأنها

يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولا بالألف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة، ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها، فنزلت إلى الحيز الثاني وفيه العين والحاء فوجدت العين أنصع الحرفين فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف" المزهر ١/ ٩٠

(٥٤) دائرة المعارف الإسلامية – طبعة الشارقة – مادة الخليل

(٥٥) حسين نصار: المعجم العربي نشأته وتطوره. ص ١٧٩

(٥٦) السابق والصفحة

(٥٧) مهدي المخزومي: الفراهيدي عبقري من البصرة ص ٣٤

(٥٨) الخليل بن أحمد: كتاب العين، تحقيق المخزومي والسامرائي. ٤١/ ١

(٥٩) الخليل بن أحمد: كتاب العين، تحقيق المخزومي والسامرائي. ٥٤/ ١

(٦٠) السابق والصفحة

(٦١) لن يخوض البحث الحالي في قضية الاختلاف بين العلماء في الصفات الأصوات؛ لأن ذا ليس من موضوعه أو أهدافه. على أن صفات الحروف تتضمن، مثل الجهر والهمس، الشدة والرخاوة والتوسط، الاستطالة والتفشي، الإطباق والاستعلاء، الانفتاح، الصفير، القلقلة، التكرير، الشدة.

(٦٢) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيديّ، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائيّ، ج ١، ص ٥٧

(٦٣) الكتاب، سيبويه، تحقيق وشرح: عبدالسّلام محمّد هارون، ج ٢، ص ٢٣١، ط ٣، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٨ م.

(٦٤) ابن جني: سر صناعة الإعراب ص ٤١

(٦٥) ابن جني: سر صناعة الإعراب ص ٤٢ وما بعدها.

(٦٦) كمال بشر، علم الأصوات، ص ٢٢٣

(٦٧) عدنان الخطيب: المعجم العربي بين الماضي والحاضر ١٨

(٦٨) عبد العزيز أحمد علّام: علم التّجويد القرآني في ضوء الدّراسة الصّوتيّة الحديثة. ص ٣٩

(٦٩) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها ص ٥٠-٥١

(٧٠) كمال بشر: علم الأصوات. ص ١٩٠

(٧١) الطيب البكوش: التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ط ١٩٩٢،٣، المطبعة العربية، تونس. ص ٤٤

(٧٢) تمام حسان في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها ص ٥٠-٥١

(٧٣) ينظر: حسين نصار: المعجم العربي نشأته وتطوره ص ص ١٧٣-٣٠٥

(٧٤) محمد سليمان الأشقر: الفهرسة الهجائية والترتيب المعجمي مع عناية خاصة بمشكلات الفهرسة والترتيب في اللغة العربية. ط١ ١٩٧٢ دار البحوث العلمية -الكويت، الدار العلمية – بيروت. ص ٥٨

(٧٥) ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق مصطفى السقا وحسين نصار ١٩٥٨، ط ١، مقدمة المُحَقِّقَيْنِ ص ١٦

(٧٦) أبو على القالي: البارع، تحقيق هاشم الطعان ١٩٧٥، ط١ بيروت، مقدمة المحقق ص٧٠

(٧٧) الأزهري: تهذيب اللغة، تحقيق محمد عبد السلام هارون، ط١، ١٩٦٤، تقديم المحقق ١/ ٢١

(٧٨) الصاحب بن عباد ت ٣٨٥ هـ: المحيط في اللغة، تحقيق الشيخ محمد آل ياسين، ١٩٩٤، ط١، ج ١/ ١٥ مقدمة المحقق.

(٧٩) ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق مصطفى السقا وحسين نصار ١٩٥٨، ط ١، مقدمة المُحَقِّقَيْنِ ص ١٦

المراجع

المراجع العربية:

▼ ابن جنّيّ، أبو الفتْح عثمان: الخصائص، تح: محمّد عليّ النّجّار(١٩٥٧)، دار الكتب المصريّة، القاهرة ١٩٥٧ م.

▼ ابن جنّيّ، أبو الفتْح عثمان: سر صناعة الإعراب تحقيق حسن هنداوي(١٩٨٥) دار القلم ط١ دمشق

▼ ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق مصطفى السقا وحسين نصار(١٩٥٨)، ط ١ القاهرة.

▼ ابن عباد، الصاحب: المحيط في اللغة، تحقيق الشيخ محمد آل ياسين(١٩٩٤)، ط١، ج ١/ ١٥ مقدمة المحقق.

▼ ابن منظور: لسان العرب، طبعة دار المعارف القاهرة.

▼ الأزهري؛ أبو منصور محمد بن أحمد: تهذيب اللغة، تحقيق محمد عبد السلام هارون(١٩٦٤)، ط١، ١٩٦٤.

▼ الأشقر، محمد سليمان(١٩٧٢): الفهرسة الهجائية والترتيب المعجمي مع عناية خاصة بمشكلات الفهرسة والترتيب في اللغة العربية. ط١ ١٩٧٢ دار البحوث العلمية - الكويت، الدار العلمية - بيروت.

▼ الأصفهاني، حمزة بن الحسن: التنبيه على حدوث التصحيف. تحقيق: محمد أسعد طلس(١٩٩٢)، دار صادر - بيروت، ١٩٩٢، ط ٢

▼ البكوش، الطيب(١٩٩٢): التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ط ١٩٩٢،٣، المطبعة العربية، تونس.

▼ التازي، عبد الهادي(١٩٨٥): ترتيب الحروف الهجائية بين المشارقة والمغاربة، مجلة مجمع اللغة العربية ج ٥٦، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥.

▼ الخطيب، عدنان (١٩٩٤): المعجم العربي بين الماضي والحاضر، مكتبة لبنان ناشرون ط٢. بيروت-لبنان

- الخولي، محمد على(١٩٨٢): معجم علم الأصوات، ط١ بيروت، ط ١
- الخولي، محمد على(١٩٨٢): معجم علم الأصوات، ط١ ١٩٨٢
- الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد: المحكم في نقط المصاحف، تحقيق عزة حسن (١٩٨٧)، ط ٢، دار الفكر المعاصر بيروت -دار الفكر دمشق -سورية،
- الزجاجي، أبو القاسم: الإيضاح في علم النحو، تحقيق مازن المبارك (١٩٧٩)، ط ٣، دار النفائس بيروت.
- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر: أساس البلاغة، مطبعة دار الكتب المصرية(١٩٢٢) -القاهرة
- السيوطي المزهر في علوم اللغة وأنواعها تحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم(١٩٨٦) المكتبة العصرية ١٩٨٦ م. -صيدا- بيروت
- العسكري، الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري: شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، تحقيق: عبد العزيز أحمد (١٩٦٣)، ط١، ١٩٦٣، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد الفراهيدي كتاب العين تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي (١٩٨٠). دار الرشيد بغداد
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد: العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي(١٩٨٨م)، ط ١، بيروت-لبنان
- القالي، أبو على: البارع، تحقيق هاشم الطعان(١٩٧٥)، ط١ بيروت.
- القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، (١٩٢٢)، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.
- بشر، كمال (٢٠٠٠) علم الأصوات دار غريب ط. القاهرة
- حسان، تمام (٢٠٠١) اللغة العربية معناها ومبناها دار الثقافة ط٢ الدار البيضاء

- حسان، تمام(١٩٥٥): مناهج البحث في اللغة. مكتبة الأنجلو المصرية -القاهرة
- خضر، محمد زكي محمد (١٩٩٦): الحروف العربية والحاسوب، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني http://www.al-mishkat.com/khedher/wp-admin/Papers/paper4.pdf
- زكي، أحمد(١٩١٢): الترقيم وعلاماته في اللغة العربية. ١٩١٢ ط ١ المطبعة الأميرية – مصر
- سيبويه: الكتاب، تحقيق وشرح: عبدالسّلام محمّد هارون (١٩٨٨)، ط ٣، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٨ م.
- عبيدات، محمود مبارك عبد الله(٢٠١٣): أصوات العربية من الترتيب الأبجدي إلى الترتيب الصوتي، مجلة جامعة دمشق-المجلد ٢٩ – العدد ٣،٤ ٢٠١٣
- علّام، عبد العزيز أحمد(١٩٩٠): علم التّجويد القرآني في ضوء الدّراسة الصّوتيّة الحديثة.ط،١ القاهرة
- فريحة، أنيس (١٩٨١) نظريات في اللغة دار الكتاب اللبناني-ط ٢ ١٩٨١م. بيروت
- مختار، أحمد عمر (١٩٩٧) دراسة الصوت اللغوي عالم الكتب، ط١، القاهرة
- مختار، أحمد عمر(١٩٩٨): صناعة المعجم الحديث عالم الكتب ط١، القاهرة
- نصار، حسين(١٩٨٨): المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، ط٤،
- موجز دائرة المعارف الإسلامية، طبعة الشارقة، ط١ - ١٩٩٨
- هارون، عبد السلام(١٩٩٨): تحقيق النصوص ونشرها، ط٧، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- وهبة، مجدي والمهندس، كامل(١٩٨٤): معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط٢، مكتبة لبنان- بيروت.

المراجع الأجنبية

- DeFrancis, John (1989). Visible speech: The diverse oneness of writing systems. Honolulu: University of Hawaii Press. P: 3-4
- Encyclopædia Britannica: Arabic alphabet https://www.britannica.com/topic/Arabic-alphabet
- Joyce, T., & Borgwaldt, S. R. (2011). Typology of writing systems: Special issue introduction. Written Language & Literacy, 14(1), 1-11.

***

القيمة التعبيرية للحروف العربية

د. زكي أبو النصر البغدادي

أستاذ اللغويات التطبيقية المشارك بمعهد اللغويات العربية–جامعة الملك سعود

ملخص البحث

لاحظ العلماء مناسبة حروف العربية لمعانيها، وأدركوا أن للحرف العربي قيمةً تعبيريةً موحيةً فلم يَعْنِهم من كل حرف أنه صوت، وإنما عناهم من صوت هذا الحرف أنه معبر عن غرض وأن الكلمة العربية مركبة من هذه المادة الصوتية التي يمكن حل أجزائها إلى مجموعة من الأحرف المعبرة، فكل حرف منها يستقل ببيان خاص مادام يستقل بإحداث صوت معين، وكل حرف له ظل وإشعاع وصدى وإيقاع. كما أن إثبات القيمة التعبيرية للصوت البسيط وهو حرف واحد لا أكثر، أو ثنائي ألحق به حرف أو أكثر، أو ثلاثي مجرد ومزيد أو رباعي منحوت، أو خماسي أو سداسي على طريقة العرب مشتق أو مقيس. وكما أن الإيقاع الموسيقى للحرف العربي يفجر لدى المتلقي طاقته الكامنة ويسبر أغواره ليخرج الدرر من أعماقه فيبعث السعادة والبهجة من خلال منظومة تفاعلية بين الطرفين المؤثر والمؤثر فيه، ينسجها التوافق والاتساق بين أطراف العنصر الجمالي حتى يجعل المتلقي عنصرا فاعلا في عالم الإبداع والتلاحم ولذلك فإن الجرجاني (ت: ٤٧١) يرى أن اللفظ العالي يُرَد إلى الحرف وصوته من حيث إنه» حلو رشيق، وحسن أنيق، وعذب سائغ، وخَلوب رائع، فاعلم أنه ليس ينبئك عن أحوال ترجع إلى أجراس الحروف، وإلى ظاهر الوضع اللغوي، بل إلى أمر يقع من المرء في فؤاده، وفضل يقتدحه العقل من

زِنَّاره»[1] وفي هذا السياق فقد اقتضت طبيعة البحث أن يسلك المنهجَ الوصفيَّ التحليليَّ؛ حيث يقوم الباحث باستقراء بعض النماذج من القرآن الكريم والأدب العربي ثم يقوم بدراستها وتحليلها، ليصل إلى نتائج علمية تكشف النقاب عما تتميز به الحروف العربية من قيمة تعبيرية وما تحمله من عناصر جمالية.

وسيتناول البحث المحاور التالية وهي:

- القيمة التعبيرية والوظيفة البيانية لحروف اللغة العربية.
- أهمية الصوت في تشكيل اللغة باعتباره اللبنة الرئيسية لها.
- علاقة الصوت بالمعنى من خلال الإيقاع والجرس الموسيقي.
- نماذج تحليلية عن التوافق الصوتي والتناسق الفني من: (القرآن الكريم-الشعر-النثر).
- ضرورة الاستفادة من خصوصية الصوت العربي في تعليم العربية للناطقين بغيرها من خلال الإيقاع الموسيقى.

تمهيد:

مما لاشك فيه أن اللغة العربية تتمتع بخصيصة تبهر الناظرين وتلفت نظر الباحثين ألا وهي؛ تقابل الأصوات والمعاني في تركيب الألفاظ وأثر الحروف في تقوية المعنى أو إضعافه والانسجام بين أصوات الحروف التي تتركب منها الألفاظ ودلالاتها مما حدا بابن جني في الخصائص(ص: ١٥٧) إلى قوله: «فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها فيعدلونها بها ويحتذونها عليها أكثر مما تقدره وأضعاف ما نستشعره من ذلك قولهم: (خضم) و(قضم) فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب والقضم للصلب اليابس فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب والقاف لصلابتها لليابس حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث» وقد أورد ابن جني أمثلة مشابهة نحو: (النضح والنضخ) و(الوسيلة والوصيلة) و(السد والصد) و(القسم والقصم) وهذه الفكرة التي تجلت عند ابن جني أوحت إلى كثير من الدارسين في العصر الحديث إلى نظرية (القيمة التعبيرية للحروف في الألفاظ العربية) تأكيدا على أهمية الحرف وقيمتها التعبيرية في تركيب الكلمة العربية

فمثلا الكلمة الثلاثية تعبر عن معنى هو ملتقى معاني حروفها نتيجة تمازجها وتداخلها كأن نقول مثلا أن (غ.ر.ق) يحصل معناها من تلاقي معاني حروفها؛ فالغين تدل على غيبة الجسم في الماء، والراء تدل على التكرار والاستمرار في سقوطه والقاف تدل على اصطدام الجسم في قعر الماء والمعنى الإجمالي الحاصل من اجتماع المعاني الجزئية للحروف هو مفهوم مادة (غرق)[٢]، وسنتناول ذلك بالتفصيل في هذا البحث.

المبحث الأول: القيمة التعبيرية والوظيفة البيانية لحروف اللغة العربية.

لم يَخْفَ على علماء اللغة الأقدمين أن» اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم» فلما أفاضوا في دراسة هذه المادة اللغوية الصوتية عرفوا لكل حرف صوته صفة ومخرجا مثلما عرفوا دلالة المعنى، ولقد لاحظ علماء اللغة مناسبة حروف العربية لمعانيها ولمحوا القيمة التعبيرية الموحية للحروف العربية، فلم يعنهم من كل حرف أنه صوت وإنما عناهم من كل حرف أنه معبر عن غرض وأن الكلمة العربية مركبة من هذه المادة الصوتية التي يمكن حل أجزائها إلى مجموعة من الأحرف المعبرة، فكل حرف منها يستقل ببيان معنى خاص مادام يستقل بإحداث صوت معين، وكل حرف له ظل وإشعاع إذ كان لكل حرف صدى وإيقاع (صبحي الصالح:١٩٦٢، ١٤٧-١٤٨)

إن مباحث ابن جنى ورأيه في المقابلة بين الخاصة الصوتية للحروف التي تتألف منها الألفاظ تشير إلى وظيفة الحرف المعنوية. وقد ذكر علماء العرب الأمثلة، واحتجوا بالشواهد، ومالوا إلى الاقتناع بوجود التناسب بين اللفظ ومدلوله، في حالتي البساطة والتركيب وطوري النشأة والتوليد، وصورتي الذاتية والاكتساب. ففي حال البساطة رأوا الحرف الواحد-وهو جزء من كلمة يقع على صوت معين، ثمّ يوحى بالمعنى المناسب، سواء كان في أوّل اللفظ أم وسطه أم آخره.

ومن أمثلته في أول الكلمة: سعِد وصعد، «سعِد» تدل على الارتقاء غير المحسوس وجعلوا السّين لضعفها، لما لا يظهر ولا يشاهد حسا، أما «صعِد» تدلّ على الارتقاء المحسوس وجعلوا الصّاد لأنّها أقوى لما فيه أثر مشاهد يرى ثم. خضِم وقضم، «خضم» (لأكل الرطب كالقـثّاء) -»قضِم» (لأكل الصلب اليابس كالشعير). ومن أمثلته في وسط الكلمة: (وسيلة) و(وصيلة) فوسيلة ليس فيها معنى أن يكون الشيء جزءا من

آخر، أما وصيلة ففيها معنى الترابط. ومن أمثلته في آخر الكلمة: نضح ونضخ «نضح» (للماء الضعيف) و«نضخ» (للماء الغزير). قال الله تعالى: «فيهما عينان نضاختان»[٤] فجعلوا الحاء لرقتها والخاء لغلظها لما هو أقوى منه.

بعد أن اهتدى العربي القديم إلى أصوات حروفه ومعانيها بقي على فطرته البدوية يتقمص الأشياء والأحداث لاستشفاف خصائصها الذاتية. وهكذا أخذ ينتقي الحروف التي تتلاءم إيحاءاتها الصوتية مع تلك الخصائص وفق ترتيب معين يماثل تراكيب الأشياء كما في كلمات (باب، بير، طبل)، أو يماثل حركات الأشياء كما في (رفرف، زلزل، لحس، بحس)، ليتحول المدرج الصوتي بذلك من أول الحلق داخلا حتى آخر الفم في الشفتين خارجا إلى حلبة رقص. وهكذا يتحول الصوت ذاته إلى راقص ينتقل برشيق أقدامه إلى مخارج الحروف إلى الأمام أو الوراء ليصور الصوت بذلك الأشياء والأحداث بحركات تمثيلية مسموعة غير منظورة؛ وهكذا تتحول اللفظة العربية إلى رقصة صوتية بارعة، لا تعبر عن معناها الأصيل فحسب بل تجسده أيضا مما لا يقدر على ذلك راقص ولا ممثل أو فنان (حسن عباس:١٩٩٨، ٢٨).

وفي السياق نفسه أخذ ابن جني يشرح قاعدته الذهبية: (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني)؛ فالعربي بعد أن يختار الحروف التي تتوافق مع الحدث الذي يريد التعبير عنه يقوم بترتيبها في اللفظة على أساس أن يقدم الحرف الذي يضاهي أول الحدث ويضع في وسطها ما يضاهي وسطه، ويؤخر ما يضاهي نهايته. وذلك (سوقا للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المراد) كما عرض ذلك في مثال (بحث) في كتابه: (الخصائص ج٢ ص:١٦٢-١٦٣).

لقد اعتمد ابن جني هذه القاعدة في تعليل الفرق بين (قد) طولا، و(قط) عرضا بقوله: (ذلك أن الطاء أخصر للصوت وأسرع قطعا له من الدال. فجعلوا الطاء المناجزة (أي ذات المخرج الصوتي القريب من مخرج القاف) للقطع عرضا. أما الدال المماطلة (أي ذات المخرج الصوتي البعيد عن مخرج القاف)، فقد جعلوها لما طال من الأثر، وهو قطعه طولا. (المرجع السابق:١٥٨).

لجأ العربي إلى تقمص أشياء العالم الخارجي وأحداثه للاهتداء إلى أصوات حروفه ومعانيها بوسيط من مشاعره؛ وهذا يتوقف على أن يتمتع العربي بحاسة فنية تذوقية قائمة على الاستبطان وذلك بانعكاس شعورنا على المشاعر والأحاسيس التي تثيرها أصوات

الحروف في نفوسنا. فلو تأملنا صدى صوت (الجيم) في نفوسنا مثلا أي لو استبطناه لأوحى لنا بالضخامة كإحساس بصري وبشيء من الطراوة والحرارة كإحساس لمسي. وهذا ما ينسجم مع ما يوحيه منظر الجمل وملمسه. وهكذا أطلق العربي بالفعل لفظة (الجيم الشامية) على الجمل الهائج. ولقد بدأت بهذا الحرف أسماء كثير من الحيوانات مثل: (الجاموس، الجحش، الجدي، الجرو، الجيأل للضبع، الجؤزر لولد البقرة الوحشية (حسن عباس: ١٩٩٨، ٣٨)

مما سبق عرضه في هذا الفصل نخلص إلى أن ابن جني لجأ إلى استخلاص معاني الحروف من معاني الألفاظ وأدرك الصلة الوثيقة بينهما، ولقد استهدى في ذلك بقاعدته الذكية: «لا ينكر تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني» أي تقارب الأصوات لتقارب المعاني، كما استهدى تارة أخرى بقاعدته الأذكى: «سوقا للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المراد» وفي المبحث التالي نستعرض الأهمية اللغوية للصوت باعتباره اللبنة الأساسية التي تشكل اللغة.

المبحث الثاني: أهمية الصوت في تشكيل اللغة باعتباره اللبنة الرئيسية لها

يشكِّل الصوت اللغوي المادة الخام للكلمة، وهو بذلك الأساس في الدرس اللغوي، حيث تتكونُ من الأصوات المتآلفة الكلماتُ، ومن الكلمات تتكون التراكيب وصولاً إلى الدلالة، وتحقيقاً لها بوصفها غاية الدراسات اللغوية جميعاً، وقد احتلت دراسة الأصوات جانباً كبيراً من جهود علماء العربية قديماً وحديثاً. (مختار عمر:١٩٨٨، ٧٥). يعدّ هذا المستوى من النظم، الحجر الأساس في بناء النص، والإطار التي تُبنى عليه البُنى الأُخرى من الكلام، فيعنى بالكيفية التي يتمُّ بها نظم الألفاظ صوتياً ودلالياً.

والذي يبدو أنَّ دراسة نظم أصوات الألفاظ في النص اللغوي، يساعدُ كثيراً في سَبر أغواره، ومعرفة أُسس بنائهِ، ومن ثم يقودنا ذلك إلى تمثُّل مميزاته وخصائصه. وتأكيدا على ذلك فإن (العقاد:٢٠١٢، ١٤) يرى أن أول الطريق إلى معرفة بلاغة الكلام تذوّقُ أصوات الحروف، من حيث طبيعتها النغمية حتى يحصل بها تصوُّر ذهني لطبائع الأصوات، فلكلِّ صوت من الأصوات العربية طبيعتهُ النغمية الخاصة به، فتناسقُ أصواتِ العربية على نوعٍ من التشاكُل النغمي هو من طبيعة اللغة العربية في تقسيم

أصواتها فلغتنا (مهيأة تماماً)؛ لأن تكون لغةً شاعرة، فهي لغةٌ إنسانيةٌ ناطقة، يستخدم فيها جهازُ النطق الحي أحسن استخدام يهدي إليه الافتتان في الإيقاع الموسيقي وليست هناك أداة صوتيةٌ ناقصةٌ تحسّ بها الأبجدية العربية.

وفي هذا السياق فإن إبراهيم أنيس (١٩٧٩، ٨). يؤكد على أن الصوت الإنساني هو اللبنة الرئيسية في تشكيل اللغة وهو ككل الأصوات ينشأ من ذبذبات مصدرها في الغالب الحنجرة لدى الإنسان. فعند اندفاع النفس من الرئتين يمر بالحنجرة فيحدث تلك الاهتزازات التي تنتقل عبر الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن وقد جعل العربي من حروفه ومعانيها مستودعاته الثقافية حيث وضع مفاتيحها الفنية بين أيدي أبنائه يأخذون منها جيلاً بعد جيل ما يحتاجون إليه من هذه المواد الصوتية لبناء الألفاظ تعبيراً عما يخطر في أذهانهم من معان وأفكار. فما أن تعترض أحدهم حاجة ما، أو حالة نفسية معينة، حتى يجد لديه ما يلزمه من أصوات الحروف في زمر منسقة الخصائص، فيوالف بينها في صيغ ملائمة للتعبير عن أحاسيسه ومشاعره وحاجاته، وفقاً لمقولَتي ابن جني «حذوا لمحسوس الأحداث على مسموع الأصوات» و«سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المراد». (حسن عباس:١٩٩٨، ٢٢٣).

وفي السياق نفسه تشير (صفية مطهري: ٢٠٠٣، ٣٢) إلى أن للجانب الصوتي تأثيراً بالغاً في تحديد المعنى وذلك مثل: وضع صوت مكان صوت آخر كقطف وقطش، فالقطف يكون للأزهار بينما يكون القطش للحشائش؛ ولهذا نلمس تحديداً للدلالة الصوتية من خلال صوتي الفاء والشين؛ فكلا الفعلين يدلان على القطع غير أن الفاء والشين قد حددتا نوع القطع ولهذا نجد تمايزاً دلالياً في صوتي الفاء والشين. ومثله التنغيم الذي يحدد درجة الصوت وفق عدد الذبذبات الناتجة عن الوترين الصوتيين التي تحدث نغمة موسيقية في الكلام تحدد معاني مختلفة ومتنوعة بتنوعها؛ منها الاستفهام مثلاً.

ولقد اتخذ اللغويون من الأصوات وصفاتها دليلا يستدلون به على فصاحة الألفاظ وأصالتها، أو شناعتها وغرابتها عن لغتهم، فوجدنا النحاة يعللون ويفسرون ما يطرأ على أبنية الصيغ والتراكيب من تغير وتبدل، بما توجبه قوانين الصوت ونظمه، وألفينا البلاغيين ينظرون في جيد الشعر والنثر ويحكمون عليه مستندين إلى خصائص الأصوات وجمالها وتناغمها وموسيقاها، وعلى الرغم من هذا فإن الدراسة الصوتية لم

تفرد بالتأليف في مطلع الدرس اللغوي بخلاف الدراسة النحوية التي نشأت واستوت على عودها في كنف القرآن الكريم، إذ كانت الغاية منها صون كتاب الله عز وجل من اللحن والخطأ، أما الدراسة الصوتية فلا تعدو نطاق الجمال في قراءة القرآن الكريم. (عمار:٢٠٠٧، ١٣٨).

• ويعد الجانب الصرفي من أهم الجوانب التي كان للأصوات فيها دور بارز حيث يتم تحديد الوحدات الصرفية من خلالها، فالأوزان والأبنية وكثير من الظواهر التركيبية في الصرف قائمة على أسس صوتية، ولم يكن «فيرث»(Firth) مبالغا حين قرر أنه «لا وجود لعلم الصرف بدون علم الأصوات» (كشك:١٩٨٣، ٧) ذلك أن مباحث الصرف مبنية في أساسها على ما يقرره علم الأصوات من حقائق وما يرسمه من حدود.

مما لاشك فيه أن للصوت أهمية واضحة في بنية الكلمة باعتبارها ظاهرة صرفية حيث تتألف الكلمات بضم الأصوات بعضها إلى بعض، والأصوات وهي صامتة ساكنة تكون خلوا من المعاني، بل لا يستطاع النطق بها حتى يتوصل إلى ذلك بحروف اللين أو الحركات، قال الخليل: «إن الفتحة والكسرة والضمة زوائد، وهن ما يلحق الحروف ليوصل إلى التكلم بها»، ومن ثم فقد أحس لغويو العرب بجمال لغتهم وسلاستها وجريانها على الألسنة سهلة مطواعة، فقرروا أن للفظ العربي شروطا لتتم فصاحته، ولذلك وجدناهم يميزون بين ما سموه الألفاظ المتلائمة والألفاظ المتنافرة، وقد كان الخليل دقيق الإحساس بجمال النغم، واتساق الحروف، فكان يحس بهجنة الألفاظ وشناعة الكلمات، إذا صك سمعه ثقل لم يألفه فيما استمع من فصحاء العرب، فقد روي عنه أنه قال: «سمعنا كلمة شنعاء وهي «الهعخع» (حسين:١٩٧٥، ٥٥) وأنكر تأليفها، ويعلل الرماني (ت٣٨٤ هـ) موقفه هذا فيقول: «أما التنافر فسببه ما ذكره الخليل من البعد الشديد أو القرب الشديد، وذلك أنه إذا بعد البعد الشديد كان بمنزلة الطفر، وإذا قرب القرب الشديد كان بمنزلة مشي المقيد، لأنه بمنزلة رفع اللسان ورده إلى مكانه، وكلاهما صعب على اللسان، والسهولة من ذلك الاعتدال» (المصدر نفسه: ٥٦) ومن أمثلة هذا التنافر الذي قد يحصل في الكلام، ما نسبه الجاحظ إلى الجن من الشعر، وقال أنه يصعب تكراره بسرعة وهو قولهم من الرجز:

وقبر حربٍ بمكانٍ قفرٍوليس قرب قبرِ حربٍ قبر (الجاحظ،٦٥).

خلاصة القول في هذا المبحث أن المؤلفين قد أولوا الصوت العربي عناية كبيرة لبيان أهميته في الدراسات اللغوية والجوانب التطبيقية لمباحث هذا العلم حتى قالوا: «إنه من الصعب أن تكون لغويا دون أن تكون لديك معرفة متينة بعلم الأصوات (مالبرك:ص: ٢٦٨): لأن «أي دراسة تفصيلية للغة ما تقتضي دراسة تحليلية لمادتها الأساسية، أو لعناصرها التكوينية، كما تقتضي دراسة تجمعاتها الصوتية» (عمر:١٩٩٧، ٣٤٧)؛ فاللغة قبل كل شيء أصوات تنتظم في كلمات وجمل، وتتوقف معرفة النظام الصرفي والنحوي للغة على معرفة دقيقة على معرفة نظامها الصوتي، ولدينا أمثلة كثيرة لما يمكن أن يتحقق من مراعاة الحقائق الصوتية عند بحث القضايا الصرفية والنحوية للغة العربية(بشر:٢٠٠٠، ٢٣٩).

مما سبق ذكره من آراء اللغويين -قديما وحديثا -يمكن القول: إن دراسة الصوت أمر ضروري لما له من أهمية كبيرة في بناء اللغة؛ فمن خلاله تتشكل جميع الأبنية اللغوية صرفية كانت أم تركيبية وأن معرفة النظام الصرفي والنحوي لا يمكن تحقيقهما إلا من خلال المعرفة الواعية للنظام الصوتي، كما أن دراسة الخصائص اللغوية للصوت أمر بالغ الأهمية لفهم المعاني والظلال المختلفة المحمولة في ثناياها. وفي المبحث التالي نتناول ذلك بالتفصيل.

المبحث الثالث: علاقة الصوت بالمعنى من خلال الإيقاع والجرس الموسيقي

أولا: نماذج للتحليل الصوتي من القرآن الكريم:

أ) التحليل الصوتي لبعض المفردات:

تعد قضية اللفظ والمعنى واحدة من القضايا المهمة في التاريخ اللغوي عند العرب؛ إذ شغلت هذه القضية النقاد والبلاغيين العرب منذ وقت مبكر يرجع إلى النصف الثاني من القرن الثاني الهجري وفي هذا السياق يقف الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) عند هذه القضية وقفة خاصة حيث يقول: «المعاني مطروحة في الطريق وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك؛ فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج، وجنس من التصوير» (الجاحظ:١٣١-١٣٢).

يلاحظ الباحث أن الجاحظ ينتصر للفظ ويجعل له أهمية كبيرة؛ واللفظ عند الجاحظ لا يعني أصوات الحروف فحسب وإنما يعنى تلك الأصوات التي تعبر عن المعنى بسهولة مخرجها، وسبكها ونسجها وصورها الدقيقة وظلالها الدالة على المعاني المختلفة. وفي الأسطر التالية يحاول الباحث تقديم نماذج تطبيقية عما تحمله الحروف العربية وحركاتها من قيم تعبيرية من خلال الوقوف على بعض الأمثلة من القرآن الكريم حيث اهتم العرب بطبيعة الحروف والحركات منذ زمن مبكر عندما بحثوا في الآيات القرآنية وقضايا الإعجاز، واستخراج الأحكام الشرعية، والاهتمام بالقضايا اللغوية؛ سواء عند علماء الفقه والأصول، أو عند المفسرين واللغويين إدراكا منهم بأهمية قضايا الاختلاف في الحركات والحروف والمعاني وما تفرزه من قيم دلالية تعين على فهم النص القرآني وبيان أوجه إعجازه اللغوي من جهة، وتؤكد ما للغة العربية من وسائل متعددة تحدد القيم التعبيرية للحروف والحركات داخل البنيان اللغوي والتراكيب المختلفة.

يعد ابن جني (ت ٣٩٢هـ) أول من تناول هذه القضية من زوايا متعددة متبعا المنهج الوصفي التطبيقي وقد استوعب فكر أسلافه كالخليل بن أحمد وسيبويه إلا أنه يعد علامة بارزة في هذا المجال من العلم؛ وقد عقد أبوابا من كتابه (الخصائص) في هذا الموضوع منها (إمساس الألفاظ في أشباه المعاني)، (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني)، (مساوقة الصيغ للمعاني)، (مضاهاة الألفاظ الحروف أصوات الأفعال التي عُبِّر بها عنها) وهو ما عرف عند المحدثين بـ: «Onomatopoeia» وهي عملية تجسيد الصوت للمعنى حيث يكون الشكل دالا على مضمونه (إسماعيل: ٢٠٠٨، ٢١٢).

يرى ابن جني (ابن جني: ٢٠٠٣، ٥٠٩) أن «مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث باب عظيم واسع ونهج متلئب عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر عنها؛ فيعدلونها بها، ويحتذونها عليها وذلك أكثر مما نقدره وأضعاف ما نستشعره».

ينتقل ابن جني إلى الحديث على علاقة الحرف بالمعنى في اللفظ المفرد ويوازن بين أزواج من الفونيمات مبينا سبب اختيار كل منها للتعبير عن معنى يناسب مخرجه فيقول: «من ذلك قولهم: (خضم) و(قضم)؛ فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس نحو: قضمت الدابة

شعيرها ونحو ذلك، وفي الخبر (قد يدرك الخضم بالقضم) أي: قد يدرك الرخاء بالشدة واللين بالشظف، وعليه قول أبي الدرداء: «يخضمون ونقضم الموعد لله» فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب والقاف لصلابتها لليابس «حذوا على مسموع الأصوات على محسوس الأحداث» (المرجع السابق). وفي الأسطر التالية نقدم نماذج تطبيقية من القرآن الكريم عن اختلاف المعاني لاختلاف الحروف على النحو التالي:

إن الاختلاف في الحروف يؤدي إلى الاختلاف في المعاني ومن ذلك قوله تعالى:

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾[٤] أي وكم قصمنا من أهل القرية[٥].

فالقصم: (دق الشيء، يقال: قصم الله ظهره) (ابن منظور١٢/ ٤٨٥ عن: إسماعيل: ٢٠٠٨، ٢١٣)، وقيل إن القصم كسر الشيء حتى يبين قصمه يقصمه قصما، فانقصم وتقصم، كسره كسرا فيه بينونة (ابن سيده: ١٩٧٨، ٦/ ٩٦) فهو أبلغ من الكسر وللقاف والصاد سر عجيب؛ إنهما تدلان على الكسر والمحق والإهلاك (درويش:٢٠٠٣، ٥/ ١٠).

يقول الطبري في تفسير هذه الآية: يقول تعالى ذكره: وكثيرا قصمنا من قرية، والقصم: أصله الكسر، يقال منه: قصمت ظهر فلان إذا كسرته، وانقصمت سنه: إذا انكسرت، وهو هاهنا معني به أهلكنا، وكذلك تأوّله أهل التأويل. «ففي الآية إشارة إلى شدة عذاب الله تعالى للقرى الظالمة بسبب ظلم أهلها وكفرهم به سبحانه وتعالى، كما ترسم شدة العذاب من خلال الصيغة والجرس اللذين يسهمان في تقريب الدلالة، ويعطيان هذه الدلالة أبعادها، وتعبر لفظة (قصمنا) بصيغتها وشدة جرسها وإيقاعها الموسيقي وثقل نطقها بالتدمير والفناء بشدة وقوة كما تعبر أيضا عن جبروت الخالق وغضبه وسخطه. (السلامي:١٩٨٠، ٩٨-٩٩).

أما الفصم: فهو الصدع في الشيء من غير بينونة كما جاء في قوله تعالى[٦]: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

نلاحظ أن لفظ «الفصم» قد ورد في الآية السابقة لأن الانفصام أبلغ فيما أريد به؛ فدلالة الألفاظ تدل على معنى اللفظة المستخدمة في السياق القرآني؛ فصوت

القاف في الفعل «قصمنا» أبلغ وأقوى في التعبير عن شدة عذاب الله-تعالى-وأخذه للظالمين من صوت الفاء في كلمة «انفصام». وفي هذا السياق يشير ابن جنى نقلا عن (النعيمي:١٩٨٠، ٢٧٧) إلى: «أن اختلاف الحرف الواحد في اللفظين يؤدي إلى اختلاف دقيق في المعنى المراد من اللفظ، وأن دقة المعنى تتفق مع جرس الحرف المختار؛ فكأن هناك اختيارا مقصودا للصوت يؤدي المعنى المختلف لما يؤديه الصوت الآخر، وهذه الظاهرة ليست محدودة في ألفاظ قليلة في العربية»

نلاحظ أن الفعل «قصم» يصور حالة الهلاك والعذاب وشدة التدمير؛ فالقصم أشد حركات القطع الحاسم، وجرسها اللفظي يصور معناها، ويلقي بظلاله كاشفا معاني الشدة والعنف والتحطيم والقضاء الحاسم على القرى التي كانت ظالمة فإذا هي مدمرة محطمة. إن الإيحاء الذي يحمله لفظ «قصمنا» يدع المخيلة تفتش في آفاقها، وتلج في منعرجاتها لتكشف عما يحمله اللفظ من أسرار ومعان دقيقة، فـ «كم» التي ابتدأ بها الآية وبعدها «قصمنا» توحي بنماذج حية متحركة، قصمها الله وأنشأ بعدها قوما آخرين، وأن من ينحرف عن كلمة الله لا يضر الله شيئا، بل يضر نفسه وحده، وأن الله غني عنه

يقول (إسماعيل:٢٠٠٨، ٢١٥) نقلا عن ابن الأثير[٧]: «ومن عجيب ذلك أنك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد، وكلاهما حسن في الاستعمال وهما على وزن واحد إلا أنه لا يحسن استعمال هذه في كل موضع تستعمل فيه هذه بل يفرق بينهما في موضع السبك، وهذا لا يدركه إلا من دق فهمه وجل نظره». وفي السياق ذاته يخلص ابن جني إلى أن هذا الاختلاف في الحروف أو الحركات كان مقصودا لدى العرب القدامى، وانبرى بالرد على من أنكر القصدية عندهم لأن ذلك ينافي ما دلت عليه من حكمة العرب التي تشهد بها العقول.

إن هذا الاختلاف في اختيار الحروف والحركات جاء للدلالة على المراد من المعنى المقصود والمطلوب؛ لذلك نجد ألفاظا مشتركة في جميع الحروف إلا حرفا واحدا مختلفا يختلف فيه مدلولا الكلمتين أحدهما عن الآخر بعض الاختلاف مع بقاء المعنى العام مشتركا فيهما، إلا أن هناك اختلافا يختص به كل لفظ عن الآخر مع اشتراكهما بالمعنى العام، وهذا هو الذي يميز بين الألفاظ واختلافها (المرجع السابق، ٢١٥).

حرص ابن جني على الإشارة إلى هذا الاختلاف في السياق القرآني وأشار إليه وهو

يتحدث عن لفظتي «القبص» و«القبض» فقال: «ولعلنا لو جمعنا من هذا الضرب ما مر بنا منه لكان أكثر من ألف موضع هذا مع أننا لا نتطلبه، ولا نتقرى مواضعه فكيف لو قصدنا وانتحينا وجهه وحرّاه»[٨]. فالأول يكون بأطراف الأصابع والثاني لأخذ الكف كلها (القنوجي: ١٩٨٧، ٩٨) فالقبض جمع الكف على الشيء ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً[٩] مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾[١٠].

فكل لفظ يختلف عن مقابله في معنى يكمن تحت معناها العام، وأنه من المحال أن تكون هذه الألفاظ التي اختلفت أصوات بعض حروفها لتؤدي المعاني الموافقة لتلك الأصوات قد خرج لفظها إلى الوجود، واطرد في الاستعمال من غير قصد قاصد حكيم إليه، وإرادة مريد عادل له (النعيمي: ١٩٨٠، ٢٧٨).

تشير الأمثلة السابقة إلى أهمية الأصوات وعلاقتها التلازمية بالمعنى فبتغيرها يتغير المعنى وذلك يرجع إلى خصوصية كل حرف وإيقاعه الموسيقى على الأذن؛ ومن ثم فاللغة أصوات وهي المادة الأولية في نشوء أي إنتاج كلامي وتركيبي، والصوت ودلالته يجتمعان في تخطيط المنهج واتجاه النص.

إن الجمال اللغوي للقرآن الكريم يتمثل في رصف حروفه، وترتيب كلماته الجامعة بين اللين والشدة، والخشونة والرقة، والجهر والخفية، على وجه دقيق محكم، وضع كل من الأصوات وصفاتها المتقابلة في موضعه، بميزان حتى تآلف من المجموع أساليب تعبير امتزجت فيها جزالة البداوة في غير خشونة، برقة الحضارة من غير ميوعة، ومن نتيجة الجمال اللغوي والنظام الصوتي أن يسترعي الأسماع ويثير الانتباه ويحرك داعية الإقبال في كل إنسان إلى القرآن (الزرقاني:١٩٩٥، ٢/ ٢٢٥).

ففي قوله تعالى:﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾[١١]، نحس صورة للهول واضحة في الآية، فلو أدخلنا أصوات الفعل «ترجف» في مختبر تحليلي لوجدناه يتشكل من صوت انفجاري (التاء) و(الراء) الذي وصف بالتكرار، أي تكرار الحدث، و(الجيم) الصوت المجهور الانفجاري الذي يضاعف في قوة الصوت وشدته، ثم حرف (الفاء) الصوت الاحتكاكي المسموع فحقق موازنة وانتقالا من الشدة إلى الرخاوة، أو الإظهار والانتشار عن طريقه إذ عده بعض القدماء[١٢] من أصوات

التفشي؛ أي أن الفاء قد حقق نشرا للصورة المرعبة (تحسين عباس: ٢٠١٥، ٢١-٢٢).

نلاحظ في الآية السابقة صورة مخيفة نبعت من أصوات حققت لها ما تريد إيصاله إلى المتلقي من خلال صيغة الفعل «ترجف» إنها صورة عظيمة في ثبات الأرض والجبال ثم هذا الطود الشامخ «الجبل» أصبح «مهيلا» وهو (الذي لايثبت مكانه حتى ينهال فيسقط... وشبهه بالرمل في كثرته)، ثم نتأمل في العلو والانخفاض في الرفعة من صورة الجبال الشامخة إلى أن أصبحت (مهيلا) فعبر عن صورة الذوبان هذه بالميم وهو صوت شفوي مجهور له عُلوٌّ صوتي، ثم الهاء الصوت الحنجري الاحتكاكي المهموس؛ فنلحظ الانتقال والانسجام في المخارج الصوتية.

وفي مقام آخر يستعمل القرآن الكريم صوت «الكاف» وهو صوت انفجاري يعكس التوافق بين الصوت والمعنى العام للآية ، ويظهر القيمة التعبيرية في توظيف الحرف للتعبير عن المعاني المقصودة كقوله سبحانه على لسان موسى عليه السلام:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(١٣).

نلاحظ أن المقام مقام تأنيب من موسى عليه السلام لقومه بسبب عبادتهم العجل لما له من ظلم لأنفسهم وعظم جرمهم هذا: ﴿تُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾. نجد جو الآية مشحونا بالتوتر والتأنيب والغلظة والقتل ومن ثم توبة، نلاحظ استعمال حرف الكاف في الآية بإحداثه رنة إيقاعية قوية تهز النفس لتبين واقع تلك النفوس الظالمة.

وفي قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾

تشن الآية حملة قوية على الكفار وتم استخدام «أدوات صوتية» تناسب عظم الحدث وهي الهزيمة التي تنتظر الكفار ومأواهم المخيف «جهنم» وبئس القرار. إن في الآية أكثر من نغمة خوف جاءت متلبسة بأصوات متوافقة معها تبدأ بالفعل «قل» المكون من حرفي القاف واللام؛ فالأول يحمل صفة الانفجار بسبب الانحباس الحاصل تلاه صوت «اللام» الصوت المجهور الذي تهتز عند نطقه الأوتار فيؤدي صوتا عاليا؛ وباجتماع هذين الصوتين في بداية الآية إشعار بمعان صعبة وثقيلة تحملها الآية الكريمة؛

فقد استعملت القاف مرة والتاء مرتين والكاف مرة، والهمزة مرتين، والجيم مرة، والدال مرة، والباء مرتين، ثم الختام بلفظ «بئس» المكون من صوتين انفجاريين «الباء والهمزة» والثالث «السين» وهو من الأصوات التي توصف بالأصوات الصفيرية»، ثم اختيار الصوائت الطويلة للتعبير عن المعنى بوضوح وهي : الياء التي استخدمت مرة، والواو التي استخدمت ثلاث مرات، وكذلك الألف التي استخدمت مرة واحدة.

إن الصوت هو آلة اللفظ وبه تتألف الجملة فهو المادة الخام لتكوين الكلام و«الصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف ولن تكون حركات اللسان لفظا وكلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت»(الجاحظ:١/ ٧٩).

إن الانسجام قائم بين العربية والقرآن؛ فالعربية في طبيعتها تقوم على التوازن في مجموع أصوات حروفها بسعة مدرجها الصوتي سعة تقابل أصوات الطبيعة في تنوعها وسعتها، وتمتاز من وجهة أخرى بتوزعها في هذا المدرج توزعا عادلا يؤدي إلى التوازن والانسجام بين الأصوات (تحسين عباس:٢٠١٥، ٢٨).

وفي هذا السياق يؤكد (بلقاسم:٢٠٠٩) على أن للصوت اللغوي أهمية في دراسة النص القرآني من حيث إنه البنية اللغوية الصغرى المكونة للكلمات والتراكيب والآيات؛ إلى جانب ذلك فهو عنصر أساسي في الإعجاز القرآني، والقرآن ينتقي الأصوات اللغوية بحسب الدلالات بهدف تجسيد المعاني في أحسن صورة.

لذلك فإن حلاوة القرآن وجماله نابعة من ألفاظه من حيث هي أصوات توحي إلى السمع بتأثيرات تجعل المعنى قريبا إلى فهم المتلقي، ولو أن ألفاظ القرآن كلها تستوي في الفصاحة، إلا أن الأساس في ذلك يكمن في انتقاء الأصوات المناسبة في تأدية المعنى من كل مناحيه سعيا وراء الدقة في التصوير مع ما يتناسب والسياق والموقف؛ فالانتقاء يكون دلاليا بواسطة توظيف البنية الصوتية الدالة على المعنى بإيقاعها وجرسها وإيماءاتها.

التحليل الصوتي لسورة الناس:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَٰهِ النَّاسِ (٣) مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)﴾

لم تكن صوتيات هذه السورة وهي تنبه على هذا الأمر الخطير المهلك إلا لترسم لك

صورة هذا الخطر؛ فتراه حيا بمعالمه على أكمل وجه، فمن بداية السورة يلفت سمعك بقطعة موسيقية قوية تتمثل في فعل الأمر «قل»؛ فللقاف جرسها الذي أوصل ابن سينا إلى القول: «إنها تسمع من شقِّ الأجسام وقلعها (مهدي عناد:٢٠١١، ١٣٧ عن ابن سينا ص:٩٣)، وفي هذا يدل على جاذبية هذا الجرس وتميزه. وللصامت الرنان «اللام» تمكُّنُهُ القوي من الأذن؛ فهو أوضح الأصوات اللغوية في السمع. وحسبك التنغيم الذي يكسو هذا الفعل؛ فهو يزيد وضوحه السمعي لاهتزاز الوترين الصوتيين مع التنغيم عند النطق. أضف إلى ذلك أن التنغيم عنصر مكمل للمنطوق، لا ينفك عنه وأمارة صحته، ووفائه بالمعنى المقصود وفقا لنوعيات التراكيب ومقامات الكلام (بشر:٢٠٠٠، ٥٤٧).

وفي الجدول التالي توزيع للعناصر الصوتية لسورة الناس[١٤]:

الصوامت				الحركات		نصفا الحركة	
الصامت	عدده	الصامت	عددها	الحركة	عددها	نصف الحركة	عدده
أ	٣	ص	١	aa	٨	الواو	٥
ب	٣	ع	١	uu	٢	الياء	١
ت	١	ف	١	ii	٢	المجموع= ٦ أنصاف حركات	
ج	١	ق	١	مجموع الحركات الطويلة= ١٢ حركة			
خ	١	ك	١				
د	١	ل	٨	a	١٢		
ذ	٢	م	٣	u	٥		
ر	٤	ن	١٦	i	١٤		
س	١٠	ه	١	مجموع الحركات القصيرة = ٣١حركة			
ش	١			مجموع الحركات= ٤٣			
المجموع= ٦٠ صامتا							
مجموع الأصوات اللغوية: ١٠٩							

تتشكل الأصوات اللغوية في سورة الناس من: (١٠٩) صوتا منها (٦٠) صامتا و(٤٣) حركة و(٦) أنصاف حركة؛ منها حرف الواو الذي ورد خمس مرات، والسين

(١٠) مرات وإلى هذين الصوتين رد ابن فارس هذه الكلمة فيقول: «(وس) الواو والسين كلمة تدل على صوت غير رفيع (جهير). يقال لصوت الحَلْي: وسواس، وهمس الصائد وسواس، وإغواء الشيطان ابن آدم وسواس». أضف إلى ذلك أن السين من الأصوات التي لاحظها الناس في أصوات أنفاسهم؛ فيجعلوها في بعض الألفاظ المرتبطة بهذه الأنفاس، كـ(نفس)، و(حس)، و(ناس) (علوية:١٩٩٢، ٥١).

وإذا كانت السين بملمحيها؛ الاحتكاك والهمس، تعكس طبيعة الوسوسة المتمثلة في الخفوت والخفية، فإن من شأن الصوامت الاحتكاكية المهموسة الأخرى في السورة أن تدعم إيحاءها بهذين الملمحين. ومما يؤكد قدرة الصوامت الاحتكاكية المهموسة على أن تعكس طبيعة الوسوسة في ذهن المتلقي فإن الاحتكاك يدل على التؤدة واللين كما يدل الهمس على اللطف والرقة وهذا يتفق مع الخفوت والخفية في سياق السورة. إن صوت السين صوت خافت، وبالرغم من خفوته فإنه واضح ومسموع بسبب علو ترداداته؛ وهذا يرجع إلى التركيب الصوتي للسين الذي يتلاءم مع دلالتها.

يشير (شاكر الأسدي: ٢٠١١، ١٤) إلى أن قراءة السورة قراءة متصلة تحدث وسوسة في الحلق مصحوبة بصفير وتخيل أن شيطانا من شياطين الإنس أراد أن يوحي بمَكْره وشره إلى شخص ما؛ ماذا تسمع لهما؟ حتما ستسمع لهما وسوسة وصوتا غير مفهوم مصحوبا بأزيز وصفير لأن شيطان الإنس يلقي كلامه بصوت خفي مهموس ومن هنا نفهم تكرار صوت السين في السورة تسع مرات مشفوعا بالصاد في (صدور الناس) حتى يتناسب الصوت الناتج عن قراءتها مع فعل الشيطان فتناسب الفكرة التي بنيت عليها السورة تركيبها الصوتي.

إن صوت السين في «الوسواس» صوت مكرر وفي هذا التكرار تفخيم صفات السين وتكرارها مرتين، ويدل ذلك دلالة واضحة على أن الوسواس لا ينفك عنك فما دمت في ذكر الله خنس واختفى وبمجرد أن تغفل عن ذكر الله عاد وظهر مرة ثانية، فالوسواس: الشيطان سمي بالمصدر كأنه وسوسة في نفسه لأنها صَنْعَتُهُ وشغله الذي هو عاكف عليه (عبد الصبور شاهين:١٩٨٥).

نلاحظ أن التراكم الصوتي للسين قد أحدث في السورة تراكما في الهمس وانخفاضا في النغم وضعفا ورقة في الصوت؛ وهو ما يتناسب مع ذكر الوسواس وطبيعته الخفية

وضعف كيده ومكره وخوفه وخذلانه لضحاياه، وضعف الناس وانخداعهم بما يوسوس في صدورهم وانسياقهم له، يقابله في السورة تراكم أصوات أخرى وهي (النون واللام) تليها (الراء والميم، وهذه الأصوات الأربعة تتصف بصفات مشتركة منها:

• جمعها بين صفات الأصوات الشديدة (الانفجارية) والرخوة (الاحتكاكية) التي لم تتم فيها صفة الشدة، ولم تتم فيها صفة الرخاوة، وإنما تجمع الصفتين (غالب فاضل: ١٩٨٤)، ويحدث عند إنتاجها اعتراض لمجرى النفس لكنه يتسرب من موضع آخر من آلة النطق فهي تبدو شديدة (انفجارية) في مبدئها، رخوة (احتكاكية) في منتهاها.

• أنها أصوات رنانة.

• خفتها على اللسان ولهذا اتخذها الخليل معيارا صوتيا للتعرف على أصالة أبنية معينة من الكلمات أو توليدها أو ابتداعها أو للحكم على عروبتها أو عدم عروبتها. ولخفتها كثر دورانها في الكلام، وشاعت في أبنية الكلام العربي (بشر: ٢٠٠٠، ٣٦٢).

• الوضوح السمعي وذلك نتيجة طبيعية لحرية مرور الهواء عند نطق هذه الأصوات جميعا.

• أنها أطول في التصويت من الأصوات الرخوة ذات الصفير أو الحفيف.

• قربها من أصوات اللين بما تحتويه من جهر ووضوح سمعي وحرية مرور الهواء عند النطق بها، ولهذا السبب عد القدماء الواو والياء والألف منها (عبد العزيز الصيغ:١٩٨٨) ولهذا سميت أشباه أصوات اللين وأشباه الحركات.

• إن هذه الصفات التي تتمتع بها هذه الحروف أعطت السورة وضوحا سمعيا وسهولة في النطق، ونغما ورنينا يقابل الخفاء والضعف والهمس الذي أحدثه صوت السين لان السورة تحمل نقيضين أحدهما الشيطان وفعله وصفاته، والآخر «الله» تبارك وتعالى وفعله، والله سبحانه وتعالى الأعلى القوي العزيز وكلمته هي العليا ومن ثم فصفاته هذه تتناسب مع الصفات التي تتميز بها هذه الأصوات من وضوح الصوت وقوته وسهولة جريانه على اللسان؛ مما يعطي السورة التي ذكر فيها لفظ الجلالة «الله» تناسبا بين أصواتها ودلالاتها.

يتبين مما سبق ذكره حول التحليل الصوتي لسورة الناس أنها تحمل صفتين صوتيتين

غالبتين هما الخفاء والوضوح وهما ناتجتان عن تراكم أصوات بعينها فالخفاء يمثله (السين) وبعض الأصوات المهموسة الأخرى، والوضوح تمثله حروف اللين والحروف الرنانة وبعض الأصوات المجهورة والقوية وهاتان الصفتان الصوتيتان الغالبتان في السورة تتناسبان مع نقيضين وردا فيها أحدهما: الوسوسة والآخر: الشيطان. وقد تبين الارتباط القوي ببين البناء الصوتي للمفردة القرآنية ودلالتها ومن ثم الترابط القوي بين الأصوات العربية في النص القرآني ودلالته العامة المعبرة والواضحة.

ثانيا: نماذج للتحليل الصوتي من الشعر العربي:

يحمل النص الأدبي عوامل صوتية من شأنها أن تؤثر إيجابا أو سلبا في أسلوبه وأدائه؛ ويتمثل ذلك في الملامح التمييزية لأصوات هذا النص؛ كالجهر، والهمس، والتفخيم، والترقيق، والتكرار، والنبر والتنغيم، إلى جانب مقاطعه الصوتية التي تنتظمه، كما تتمثل في الاختيار الصوتي للكاتب وفي التنظيم الذي يحكم هذا الاختيار. وفي هذا السياق سنتناول نموذجا للشعر العربي وهو «مقطع الفخر» في معلقة «عمرو بن كلثوم للوقوف على أهم القيم التعبيرية والمواطن الجمالية للحروف المستخدمة في النموذج المذكور على النحو التالي:

يقول عمرو بن كلثوم:

أَلاَ لاَ يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا   فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِيْنَا
بِأَيِّ مَشِيْئَةٍ عَمْرُو بْنَ هِنْدٍ   نَكُوْنُ لِقَيْلِكُمْ فِيْهَا قَطِيْنَا
بِأَيِّ مَشِيْئَةٍ عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ   تُطِيْعُ بِنَا الوُشَاةَ وَتَزْدَرِيْنَا
تَهَدَّدُنَا وَتُوْعِدُنَا رُوَيْداً   مَتَى كُنَّا لأُمِّكَ مَقْتَوِيْنَا
فَإِنَّ قَنَاتَنَا يَا عَمْرُو أَعْيَتْ   عَلى الأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِيْنَا
إِذَا عَضَّ الثَّقَافُ بِهَا اشْمَأَزَّتْ   وَوَلَّتْهُ عَشَوْزَنَةً زَبُوْنَا
عَشَوْزَنَةً إِذَا انْقَلَبَتْ أَرَنَّتْ   تَشُجُّ قَفَا المُثَقِّفِ وَالجَبِيْنَا
فَهَلْ حُدِّثْتَ فِي جُشَمَ بْنِ بَكْرٍ   بِنَقْصٍ فِي خُطُوْبِ الأَوَّلِيْنَا
فَهَلْ حُدِّثْتَ فِي جُشَمٍ بِنْ بَكْرٍ   بِنَقْصٍ فِي خُطُوْبِ الأَوَّلِيْنَا
وَرِثْنَا مَجْدَ عَلْقَمَةَ بْنِ سَيْفٍ   أَبَاحَ لَنَا حُصُوْنَ المَجْدِ دِيْنَا
وَرَثْتُ مُهَلْهِلاً وَالخَيْرَ مِنْهُ   زُهَيْراً نِعْمَ ذُخْرُ الذَّاخِرِيْنَا
وَعَتَّاباً وَكُلْثُوْماً جَمِيْعاً   بِهِمْ نِلْنَا تُرَاثَ الأَكْرَمِيْنَا
وَذَا البُرَةِ الذِي حُدِّثْتَ عَنْهُ   بِهِ نُحْمَى وَنَحْمِي المُلْتَجِيْنَا

وَمِنَّا قَبْلَهُ السَّاعِي كُلَيْبٌ   فَأَيُّ المَجْدِ إلاَّ قَدْ وَلِيْنَا
متى نَعْقِدْ قَرِيْنَتَنَا بِحَبْلٍ   تَجُذَّ الحَبْلَ أَوْ تَقْصِ القَرِيْنَا
وَنُوْجَدُ نَحْنُ أَمْنَعَهُمْ ذِمَاراً   وَأَوْفَاهُمْ إِذَا عَقَدُوا يَمِيْنَا
وَنَحْنُ غَدَاةَ أَوْقِدَ فِي خَزَازَى   رَفَدْنَا فَوْقَ رِفْدِ الرَّافِدِيْنَا
وَنَحْنُ الحَابِسُوْنَ بِذِي أُرَاطَى   تَسَفُّ الجِلَّةُ الخُوْرُ الدَّرِيْنَا
وَنَحْنُ الحَاكِمُوْنَ إِذَا أُطِعْنَا   وَنَحْنُ العَازِمُوْنَ إِذَا عُصِيْنَا
وَنَحْنُ التَّارِكُوْنَ لِمَا سَخِطْنَا   وَنَحْنُ الآخِذُوْنَ لِمَا رَضِيْنَا
وكُنَّا الأَيْمَنِيْنَ إِذَا التَقَيْنَا   وَكَانَ الأَيْسَرِيْنَ بَنُو أَبِيْنَا
فصَالُوا صَوْلَةً فِيْمَنْ يَلِيْهِمْ   وَصُلْنَا صَوْلَةً فِيْمَنْ يَلِيْنَا
فَآبُوا بِالنِّهَابِ وَبِالسَّبَايَا   وَأُبْنَا بِالمُلُوْكِ مُصَفَّدِيْنَا
إِلَيْكُمْ يَا بَنِي بَكْرٍ إِلَيْكُمْ   أَلَمَّا تَعْرِفُوا مِنَّا اليَقِيْنَا
أَلَمَّا تَعْلَمُوا مِنَّا وَمِنْكُمْ   كَتَائِبَ يَطَّعِنَّ وَيَرْتَمِيْنَا
عَلَيْنَا البَيْضُ وَاليَلَبُ اليَمَانِي   وَأَسْيَافٌ يَقُمْنَ وَيَنْحَنِيْنَا
عَلَيْنَا كُلُّ سَابِغَةٍ دِلاَصٍ   تَرَى فَوْقَ النِّطَاقِ لَهَا غُضُوْنَا
إِذَا وَضِعَتْ عَنِ الأَبْطَالِ يَوْماً   رَأَيْتَ لَهَا جُلُوْدَ القَوْمِ جُوْنَا
كَأَنَّ غُضُوْنَهُنَّ مُتُوْنُ غُدْرٍ   تُصَفِّقُهَا الرِّيَاحُ إِذَا جَرَيْنَا
وَتَحْمِلُنَا غَدَاةَ الرَّوْعِ جُرْدٌ   عُرِفْنَ لَنَا نَقَائِذَ وَافْتُلِيْنَا
وَرَدْنَ دَوَارِعاً وَخَرَجْنَ شُعْثاً   كَأَمْثَالِ الرِّصَائِعِ قَدْ بَلَيْنَا
عَلَى آثَارِنَا بِيْضٌ حسان   نُحَاذِرُ أَنْ تُقَسَّمَ أَوْ تَهُوْنَا
أَخَذْنَ عَلَى بُعُوْلَتِهِنَّ عَهْداً   إِذَا لاَقَوْا كَتَائِبَ مُعْلِمِيْنَا
لَيَسْتَلِبُنَّ أَفْرَاساً وَبِيْضاً   وَأَسْرَى فِي الحَدِيْدِ مُقَرَّنِيْنَا
تَرَانَا بَارِزِيْنَ وَكُلُّ حَيٍّ   قَدْ اتَّخَذُوا مَخَافَتَنَا قَرِيْناً
إِذَا مَا رُحْنَ يَمْشِيْنَ الهُوَيْنَا   كَمَا اضْطَرَبَتْ مُتُوْنُ الشَّارِبِيْنَا
يَقُتْنَ جِيَادَنَا وَيَقُلْنَ لَسْتُمْ   بُعُوْلَتَنَا إِذَا لَمْ تَمْنَعُوْنَا
ظَعَائِنَ مِنْ بَنِي جُشَمِ بِنْ بِكْرٍ   خَلَطْنَ بِمِيْسَمٍ حَسَباً وَدِيْنَا
وَمَا مَنَعَ الظَّعَائِنَ مِثْلُ ضَرْبٍ   تَرَى مِنْهُ السَّوَاعِدَ كَالقُلِيْنَا
كَأَنَّا وَالسُّيُوْفُ مُسَلَّلاَتٌ   ولَدْنَا النَّاسَ طُرّاً أَجْمَعِيْنَا
يدَهْدِهنَ الرُّؤُوسَ كَمَا تُدَهْدِي   حَزَاوِرَةٌ بِأَبْطَحِهَا الكُرِيْنَا
وقَدْ عَلِمَ القَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍّ   إِذَا قُبَبٌ بِأَبْطَحِهَا بُنِيْنَا
بأَنَّا المُطْعِمُوْنَ إِذَا قَدَرْنَا   وَأَنَّا المُهْلِكُوْنَ إِذَا ابْتُلِيْنَا

وَأَنَّا المَانِعُونَ لِمَا أَرَدْنَا ... وَأَنَّا النَّازِلُونَ بِحَيْثُ شِينَا
وَأَنَّا التَارِكُونَ إِذَا سَخِطْنَا ... وَأَنَّا الآخِذُونَ إِذَا رَضِينَا
وأَنَّا العَاصِمُونَ إِذَا أُطِعْنَا ... وَأَنَّا العَازِمُونَ إِذَا عُصِينَا
وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا المَاءَ صَفْواً ... وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدِراً وَطِينَا
أَلاَ أَبْلِغْ بَنِي الطَّمَّاحِ عَنَّا ... وَدُعْمِيًّا فَكَيْفَ وَجَدْتُمُونَا
إِذَا مَا المَلْكُ سَامَ النَّاسَ خَسْفاً ... أَبَيْنَا أَنْ نُقِرَّ الذُّلَّ فِينَا
مَلأْنَا البَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا ... وَظَهرَ البَحْرِ نَمْلَؤُهُ سَفِينَا
إِذَا بَلَغَ الفِطَامَ لَنَا صَبِيٌّ ... تخِرُّ لَهُ الجَبَابِرُ سَاجِدِينَا

التحليل الصوتي لمقطع الفخر من معلقة عمرو بن كلثوم:

استطاع الشاعر إغناء الجانب الصوتي الموسيقي في النصوص باستغلال إمكانيات المد والتكرار، والمجانسة اللفظية، والحرفية، والمقابلات المعجمية بصورة أسهمت بقدر واضح وملموس في صياغة تجربته وتجسيد مشاعره حتى حظيت القصيدة بالبقاء والاستمرار، فكان المطلع في بداية القصيدة دفقة شعورية وشعرية قوية قدم بها عمرو بن كلثوم لقصيدته. (رمضان عامر: ٢٠١٢، ٤٨)، ولقد اعتمد العربي في هذه المرحلة على أصوات الحروف العربية في النفس للتعبير عن شتى الحاجات والمعاني؛ فخاصية الشدة مثلا في صوت (الدال) وخاصية التحرك والترجيع والتكرار في صوت (الراء)، وخاصية الانبثاق والنفاذ والصميمية في صوت (النون)، وخاصية الاهتزاز والاضطراب والتشويه في صوت (الهاء)، وخاصية الصلابة والصقل والصفاء في صوت (الصاد)، وما إلى ذلك من خصائص أصوات الحروف، لا يستطيع القارئ أن يعيها، ولا أن يعي العلاقة بينها وبين معاني الألفاظ التي تشارك في تراكيبها إلا بعد تأمل هادئ عميق. إن الموسيقى لا تجد شرط تولدها في الأوزان المعروفة أو في وزن ما معين، بل تجد شرط تولدها أيضا -وربما بشكل أفضل- في تقطيعات وفي توازنات في الجانب الصوتي تجده في التقابل والتشاكل في التكرار على أنواعه: التكرار لحروف بذاتها أو لكلمات، وقد يكون المعنى هو حدود هذه المسافات أو فاصلتها؛ وذلك يظهر في التشكيل الهندسي للقصيد الشعري، فثمة تقنيات يمكن استخدامها لتوليد الموسيقى، وثمة تقنيات تتعلق بالتلفظ الصوتي وتقنيات تتعلق بالتنسيق الدلالي.

إن من أبرز ملامح معلقة بن كلثوم إيقاعها الصوتي المتماسك والذي تتركب أنغامه من أصوات شديدة مجهورة متجاورة ومتلاحقة تحمل مضامين النص؛ ولكن هذه الأصوات الشديدة المجهورة المتلاحقة المتضافرة، والآخذ أولها بتلابيب آخرها هي في نهاية الأمر وأوله جزء من نظام صوتي تقوم جماليته على السياق الدلالي وضجيجية المضمون، وعلى سياق الحال، فأفضى إلى نظام للتركيب الإيقاعي الداخلي الذي هو بمثابة الخزان الجمالي للإيقاع الخارجي والذي يأتي تتويجا لهذه الخلفية المتناغمة التي ازدانت بها منطوقات القصيدة.

نلاحظ أن المقطع الشعري الخاص بالفخر والذي بنيت عليه القصيدة وغرضها الذي كتبت من أجله قد احتوى على صوت (النون) حيث تكرر ٣٢٥ مرة؛ إضافة إلى معدل تكرار التنوين الذي وصل إلى ٧٦ مرة، وجاءت الألف تالية له فقد تكررت ٣٥٢ مرة . وقد تكرر صوت اللام ٢٣٧ مرة وصوت الياء ١٩٣، وصوت الواو ١٨٤ مرة، وصوت الياء ١٩٣ مرة، وصوت الواو ١٨٤، وصوت الهمزة ١٣٠ مرة والباء ١٢٦ مرة والراء قد تكرر ١٠٧ مرة، وصوت العين ٩١ مرة، والدال ٨٠ مرة، والتاء ٧٨ مرة، والقاف ٦٩ مرة، والهاء ٦٧ مرة، والفاء ٦٢ مرة، بينما صوت الظاء يكاد يختفي؛ حيث ورد في مقطع الفخر ٤ مرات فقط.

يلاحظ الباحث أن الأصوات الشديدة المجهورة قد سيطرت على القصيدة واحتلت مساحة كبيرة منه على اختلاف مقاطعها وهذا يتناسب مع «نبرة التعالي الشعوري» في النص، كما أن انتشار حروف اللين المجهورة تمنح بقية الأصوات امتدادا في النغمة وارتفاعا في نبرة إيقاعها، وكأن النص بخصائصه الصوتية ومخارجها يشبه «قرع الطبول»، فإيقاع الأصوات الشديدة المجهورة يناسب نبرة «التعالي والزهو» التي يعبر عنها الشاعر، وينسجم مع نبرة الصياح والصخب الشائعة في النص، ويسهم في تجسيد لحظة الفخر والانتشاء بالنصر، فإيقاع النص وأصواته يتساوق مع الدلالة الكلية للأبيات.

ومن ثم فإن التأثير الصوتي للنص -كما يشير إلى ذلك-(البريسيم: ٢٠٠٠، ٥٢) إنما يأتي من اتحاد الكلمات؛ التي يتضافر في تكوينها الصوت والمعنى، والتي تؤدي دورا كبيرا في تذوق المتعة في الأدب.

يشير ريتشارد في كتابه «مبادئ النقد الأدبي»(١٩٦٣، ١٩٢) إلى أثر الصوت في إنتاج الدلالة في النص الشعري؛ حيث يرى أن الصوت هو مفتاح التأثيرات في النص الشعري، كما نفى وجود مقاطع أو حروف متحركة تتصف بطبيعتها بالحزن أو الفرح، إذ تختلف الطريقة التي يؤثر بها الصوت في نفوسنا تبعا للانفعال الذي يكون موجودا فعلا في ذلك الوقت، بل إنها تختلف أيضا تبعا للمدلول.

كما أن صاحبي نظرية الأدب (ويلك وارين:١٩٧٢) يؤكدان على:«أن كل عمل أدبي فني هو قبل كل شيء- سلسلة من الأصوات ينبعث عنه المعنى؛ ففي العديد من الأعمال الفنية بما فيها الشعر طبعا تلفت طبقة الصوت الانتباه، وتؤلف بذلك جزءا لا يتجزأ من التأثير الجمالي»؛ وفي ذات السياق يؤكد رمضان عامر(٢٠١٢، ١١٥) على أن أي إيقاع حين ندرسه ونداخله لا مناص لنا من العودة إلى الخلفيات اللفظية، إننا هنا ندرس نصا أدبيا لا منظومة موسيقية، ولذلك فإن المادة الإيقاعية تتمثل في مادة الألفاظ، وما تأتلف منه من حروف تجسد أصواتا هي بمثابة الأنغام في علم الموسيقى التي تشكل هيكلية الصوت العام.

إن للوظيفة الصوتية في معلقة عمرو بن كلثوم صدى يبقى مستمرا بعد النطق بالحرف واعتماد المقاطع الممدودة بهذه الكثافة وفي النص إيقاع موسيقي نفث الشاعر من خلاله همومه وأحزانه ، وتجلت رغبته في الخروج من سجن المهانة والشعور بالذل، والرغبة في التخلص منه والتطهر من دنسه؛ ولو تأملنا في بعض الأبيات وحللنا بعض صورها لرأينا تآلفا عجيبا بين جرس الألفاظ والدلالة الصوتية للكلمات، هذا الترابط بين القيم الصوتية والقيم المعنوية في قصيدة عمرو بن كلثوم وغيره من الشعراء يجعلنا من الصعب الفصل بينهما فنزداد يقينا أن للقافية قيمة معنوية تضاف إلى وظيفتها الصوتية (رمضان عامر: ٢٠١٢، ١١٧).

المبحث الرابع: سُبل الإفادة من خصائص الأصوات والعبارات في تعليم العربية للناطقين بغيرها

في هذا المبحث يناقش الباحث-باختصار-مجالين مهمين يخصان متعلم العربية لاسيما في المراحل الأولى من التعليم ألا وهما: الأول: تعليم الأصوات (الحروف) ثانيهما: تعليم المفردات والعبارات؛ وسيحاول مناقشة موسيقية الأصوات والمفردات العربية بُغْيَةَ تحقيق الغاية التعليمية؛ «فحسن الإيقاع وسيلة الحفظ والتداول».

أولا: أهمية الإيقاع الصوتي في نسق الألفبائية العربية

تعد الألفبائية أول ما تقدمه اللغة في الإعلان عن نفسها، وما زالت الألفبائية العربية كما رتبت ترددها الأجيال منذ القرن الأول الهجري (شطناوي وخليل: ٢٠١٠، ٢٦٧)، وبالرغم من وجود تفسيرات متعددة لهذا الترتيب فإن التفسيرات لم تقف عند التفسير الشكلي أو المحافظة على نسق الأبجدية السابقة وإنما كان ذا صلة وثيقة بنظْم نسَق إيقاعي ذي جرس موسيقي يتجسد في إيقاعات تهجئة أسماء الحروف، لتحقق العربية بذلك غاية تعليمية في حسن تقديمها على هذا النسق؛ فيسهل حفظها وتعليمها. وكانت منهجية البحث عن الإيقاع في الألفبائية العربية من البنية المقطعية لأسماء حروفها، والوزن الصرفي لها، ثم فواصل أسماء حروفها والانسجام الصوتي بينها.

ويبدو أن هذا النسق من الإيقاع في الألفبائية من الضرورة بمكان؛ فهذه الألفبائية مدخل العربية، وهي أول ما يتعلمه المرء من اللغة، ومن ثم تتحقق الغاية التعليمية في حسن تقديم الألفبائية على هذا النسق فيسهل حفظها وتعليمها، تماماً كما حرصت اللغة على إيقاع الأمثال ليسهل تداولها، إذ إن حسن الإيقاع وسيلة الحفظ والتداول؛ وفي هذا السياق يقول ابن جني:(الخصائص:١٩٩٠، ٢١٧) «ألا ترى أن المثل إذا كان مسجوعاً لذَّ لسامعه فحفظه، فإذا حفظه كان جديراً باستعماله، ولو لم يكن مسجوعاً لم تأنس النفس به، ولا أنقت لمستمعه، وإذا كان كذلك لم تحفظه، وإذا لم تحفظه لم تطالب أنفسها باستعمال ما وضع له، وجيء به من أجله.»

تجدر الإشارة إلى أن الألفبائية نص لغوي، تتوزع إيقاعاته بالطريقة الأدائية، لا برسم الحروف فقط. بمعنى أن الإيقاع المنشود في هذه الألفبائية هو في ترداد أسماء حروفها: ألف، باء، تاء، ثاء، جيم، حاء، خاء، دال، ذال، راء، زاي، سين... إلخ وليس فقط برسم حروفها: أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ،... أي أننا معنيون بإيقاعات تهجئة أسماء الحروف، كما نحن معنيون بإيقاعات الحروف ذاتها؛ لأن الألفبائية تعني حكاية أصوات اللغة وتعداد تهجئة أسماء هذه الحروف وعليه فإن الإيقاع لا يخلو أن يكون علّة تُضاف إلى العلل العلمية الموضوعية في تعليل ترتيب حروف الألفبائية العربية. (شنطاوي وخليل: ٢٠١٠، ٢٧٩).

يمكن القول بأن الألفبائية العربية نص إيقاعي بما تبوح به موسيقاه الداخلية، وبما تحمله أوزان أسماء حروفها من تآلف وإيقاع حسن، وبعد عن التنافر وتقارب في المخارج، وخلوصها من الغرابة والثقل لتكون رقيقة عذبة إن نطقت وخفيفة سهلة إن سمعت؛ مما يساعد المتعلم على إدراكها واستيعابها الاستيعاب الكامل. ومن ثم فإن الباحث يرى إمكانية الإفادة من خصوصية الأصوات العربية في تعليم العربية لما تتميَّز به من إيقاع وجرس موسيقى تألفه الآذان وتميل إليه النفوس، ولِتَمَيُّزها بأصوات الإطباق حيث تستخدم الأعضاء الخلفية من جهاز النُّطق أكثر من غيرها من اللغات، فتوظِّف جذْر اللسان وأقصاه والحنجرة والحَلْق واللَّهاة توظيفًا أساسيًّا؛ ولذلك فهي تحتوي على مجموعة كاملة لا وجود لها في أيِّ لغة سامية، فضلاً عن لغات العالم، وهي مجموعة أصوات الإطباق: الصَّاد والضَّاد والطَّاء والظَّاء والقاف، ومجموعة الأصوات الخلفية، وتشمل الصَّوتين الجِذْريَّيْن الحَلْقيَّيْن: الحاء والعين، والصَّوت القصي الطَّبقي: الغين، والصَّوت القصي اللهوي: القاف، والصَّوت الحنجري: الهمزة.

ثانيا: الإيقاع الصوتي في نظم الكلمات والعبارات

اللغة العربية متميزة من الناحية الصوتية، حيث إن العربية أكثر أخواتها احتفاظاً بالأصوات السامية، فلقد اشتملت على جميع الأصوات التي اشتملت عليها أخواتها السامية، (ما عدا الباء والفاء) بل وزادت عليها بأصوات كثيرة لا وجود لها في واحدة منها مثل (الثاء والذال والغين والضاد)، كما أن للحروف العربية مخارجها الدقيقة والتي قد يقع الخلط في نطقها نتيجة لتقارب المخارج ، كما أن تميزها من الناحية الصوتية يتمثل أيضاً في ثبات أصوات الحروف فيها لدقة مخارجها، الأمر الذي جعل طريقة نطق الأصوات ثابتة عبر العصور والأزمان مما يسهل تعليمها وتعلُّمها.

اكتسبت اللغة العربية الجمال والإبداع من جمال حروفها عندما تُنطق وتُسمع وتُكتب؛ فعندما تكتب بالخط العربي فلا بدّ من لمسة فنية تزين أحرفها من زخارف، ونقوش، وحركات التشكيل كما تظهر في القرآن الكريم، أو تزين بها المساجد، أو كما ترسم في الكتب والصحف، وعلى بعض أنواع المجوهرات والحُليّ. عندما تتحرك بها الألسن تتجلى فيها البلاغة والفصاحة والصور البديعية، والكثير من المعاني، وهذا ما يتميز به القرآن الكريم الذي عندما نزل تحدى العرب، وخصوصاً قريش في البلاغة والفصاحة، وهذا ما تعجب منه فصحاء قريش عندما سمعوا تلاوة القرآن الكريم.

يتجلى جمال اللغة العربية في الشعر، والنثر، والخطابة، والقصة، والرواية، وفي النحو، والصرف، حيث يعتبر الشعر فناً أدبياً أقبل عليه الكثير من الشعراء الذي برعوا في كافة ألوان الشعر من غزل، ومدح، وذم، ورثاء، ومن أبرز شعراء العربية شعراء المعلقات السبع، والمتنبي، وأحمد شوقي، وأبو القاسم الشابي، فكل هؤلاء برعوا بالبلاغة وجزالة اللفظ والمعنى باستخدام القافية أو بحور الشعر، والمحسنات البديعية التي تضفي لمسة جميلة تطرب الآذان، وكل ذلك يستهوي المتعلمين؛ الأمر الذي قد يدفعهم نحو الاستمرار في برنامجهم التعليمي.

إن محمد المبارك(١٩٦٨:٢٦١) من اللغويين الذين ناصروا فكرة القيمة التعبيرية للحروف العربية في كتابه «فقه اللغة وخصائص العربية» حيث خصص مبحثين خص بهما القيمة التعبيرية للحرف الواحد في اللغة العربية، والوظيفة البيانية والقيمة التعبيرية للحروف في اللغة العربية؛ فبعد أن يستعرض كثيرا من أقوال ابن جني وغيره يخلص إلى القول بأن ثمة أمثلة كثيرة في العربية تدل على: التناسب الصوتي والتقابل الموسيقي في تركيب الكلمات وحروفها، ولكن هذه الملاحظات والأمثلة التي أوردها بعض اللغويين قديما وحديثا لا تكفي لإقامة نظرة عامة، واستنباط قانون عام قبل توسيع أفق الملاحظة والاستقراء؛ لكن رؤيته هذه تدل عموما على ما في اللغة العربية من خصائص موسيقية في تركيب كلماتها، وعلى ما بينها وبين الطبيعة من تقابل صوتي، وتوافق في الجرس الموسيقى؛ وذلك إنما يدل على أن العربية بنت الفطرة والطبيعة؛ ومن ثم فإن الباحث يرى ضرورة توظيف موسيقية اللغة وإيقاعاتها المميزة في ميدان تعليم اللغة من خلال إنتاج برامج تعليمية تستفيد من إمكانات الحاسوب التعليمة وبرامجه ووسائطه المتعددة في الصوت واللون والحركة والصور المجسمة متعددة الزوايا التي تثري خيال المتعلم.

يقول الدكتور بشر في كتابه علم الأصوات(٢٠٠٠، ١١):» إذا كانت دراسة أصوات اللغة المعينة ذات نفع لخدمة المعاني على مستوى المفردات كما في المعجم، فإنها بالضرورة أكثر نفعا، وأبعد قيمة وأهمية في هذا الشأن على مستوى الجمل والعبارات؛ وذلك أن المعجم-بهذا الوصف وبحكم وظيفته- ليس الوسيلة الأولى والأخيرة- لتفسير المعاني وتوضيحها؛ إنه بحكم موقعه في دراسة اللغة يقنع عادة بتسجيل المعاني العامة مهملا في أكثر الأحايين تلك المعاني الفرعية والدلالات أو الظلال المعنوية التي

قد تكتسبها الكلمة في السياقات المختلفة للكلام، هذه السياقات تفوق الحصر والعد سواء أكانت سياقات مقالية أو لغوية Linguistics Contexts أو سياقات حالية أو مقامية» . ومن ثم فإن الباحث يرى أهمية الاستفادة من الخصائص الفنية والموسيقية للأصوات العربية-باعتبارها المادة الأولى التي تشكل الكلمة والجملة-في تأليف كتب تعليمية وإنتاج برمجيات حاسوبية تأخذ في الحسبان تلك الخصائص.

الخاتمة

يمكن إجمال النتائج التي توصل إليها الباحث في النقاط التالية:

• للحرف العربي قيمة تعبيرية موحية، وأن الكلمة العربية مركبة من هذه المادة الصوتية التي يمكن حل أجزائها إلى مجموعة من الأحرف المعبرة، وأن لكل حرف ظلا وإشعاعا وصدى وإيقاعا؛ ومن ثم فقد لاحظ علماء اللغة مناسبة حروف العربية لمعانيها ولمحوا القيمة التعبيرية الموحية للحروف العربية.

• مال العلماء العرب إلى الاقتناع بوجود التناسب بين اللفظ ومدلوله، في حالتي البساطة والتركيب وطوري النشأة والتوليد، وصورتي الذاتية والاكتساب، كما لجأ العربي إلى تقمص أشياء العالم الخارجي وأحداثه للاهتداء إلى أصوات حروفه ومعانيها بوسيط من مشاعره.

• إن أول الطريق إلى معرفة بلاغة الكلام تذوّقُ أصوات الحروف، من حيث طبيعتها النغمية حتى يحصل بها تصوُّر ذهني لطبائع الأصوات، فلكلِّ صوت من الأصوات العربية طبيعتهُ النغمية الخاصة به، فتناسقُ أصواتِ العربية على نوعٍ من التشاكُل النغمي هو من طبيعة اللغة العربية في تقسيم أصواتها.

• اللغة قبل كل شيء أصوات تنتظم في كلمات وجمل، وتتوقف معرفة النظام الصرفي والنحوي للغة على معرفة دقيقة على معرفة نظامها الصوتي.

• أشار ابن جنى إلى «أن اختلاف الحرف الواحد في اللفظين يؤدي إلى اختلاف دقيق في المعنى المراد من اللفظ، وأن دقة المعنى تتفق مع جرس الحرف المختار؛ فكأن هناك اختيارا مقصودا للصوت يؤدي المعنى المختلف لما يؤديه الصوت الآخر، وهذه الظاهرة ليست محدودة في ألفاظ قليلة في العربية.

• إن الجمال اللغوي للقرآن الكريم يتمثل في رصف حروفه، وترتيب كلماته الجامعة بين اللين والشدة، والخشونة والرقة، والجهر والخفية، على وجه دقيق محكم، وضع كل من الأصوات وصفاتها المتقابلة في موضعه بميزان حتى تآلف من المجموع أساليب تعبير امتزجت فيها جزالة البداوة في غير خشونة، برقة الحضارة من غير ميوعة، ومن نتيجة الجمال اللغوي والنظام الصوتي أن يسترعي الأسماع، ويثير الانتباه، ويحرك داعية الإقبال في كل إنسان إلى القرآن.

• هناك علاقة تلازمية بين الصوت والمعنى فبتغيره يتغير المعنى وذلك يرجع إلى خصوصية كل حرف وإيقاعه الموسيقى على الأذن؛ ومن ثم فاللغة أصوات وهي المادة الأولية في نشوء أي إنتاج كلامي وتركيبي، والصوت ودلالته يجتمعان في تخطيط المنهج واتجاه النص.

• إن الانسجام قائم بين العربية والقرآن؛ فالعربية في طبيعتها تقوم على التوازن في مجموع أصوات حروفها بسعة مدرجها الصوتي سعة تقابل أصوات الطبيعة في تنوعها وسعتها، وتمتاز من وجهة أخرى بتوزعها في هذا المدرج توزعا عادلا يؤدي إلى التوازن والانسجام بين الأصوات

• إن للصوت اللغوي أهمية في دراسة النص القرآني من حيث إنه البنية اللغوية الصغرى المكونة للكلمات والتراكيب والآيات؛ إلى جانب ذلك فهو عنصر أساسي في الإعجاز القرآني، والقرآن ينتقي الأصوات اللغوية بحسب الدلالات بهدف تجسيد المعاني في أحسن صورة.

• يحمل النص الأدبي عوامل صوتية من شأنها أن تؤثر إيجابا أو سلبا في أسلوبه وأدائه؛ ويتمثل ذلك في الملامح التمييزية لأصوات هذا النص؛ كالجهر، والهمس، والتفخيم، والترقيق، والتكرار، والنبر والتنغيم، إلى جانب مقاطعه الصوتية التي تنتظمه، كما تتمثل في الاختيار الصوتي للكاتب وفي التنظيم الذي يحكم هذا الاختيار.

• وأخيرا فإن الباحث يرى إمكانية الإفادة من خصوصية الأصوات العربية في تعليم وتعلم العربية لما تتميَّز به من إيقاع لغوي، وجرس موسيقى تألفه الآذان، وتميل إليه النفوس؛ فالأصوات العربية تدل على معانيها بمجرد سماع صوت الكلمة ويمكن استثمار هذا البعد في المجال التعليمي للغة العربية.

الهوامش

(١) انظر: أسرار البلاغة، الجرجاني، ص:١٥

(٢) انظر محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية. دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد. دار الفكر للنشر التوزيع،١٩٦٤، دمشق

(٣) الرحمن:٦٦

(٤) الأنبياء: ١١

(٥) فسر القرطبي الآية الكريمة قائلا: كم في موضع نصب ب (قصمنا. (والقصم الكسر ؛ يقال: قصمت ظهر فلان وانقصمت سنه إذا انكسرت والمعني به هاهنا الإهلاك. وأما الفصم (بالفاء) فهو الصدع في الشيء من غير بينونة ؛ قال الشاعر: كأنه دملج من فضة نبه في ملعب من عذارى الحي مفصوم، ومنه الحديث فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا. وقوله: كانت ظالمة أي كافرة؛ يعني أهلها. والظلم وضع الشيء في غير موضعه، وهم وضعوا الكفر موضع الإيمان. وأنشأنا أي أوجدنا وأحدثنا بعد إهلاكهم قوما آخرين

(٦) البقرة:٢٥٦

(٧) انظر ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ١/ ١٥٠، (ت ٦٣٧هـ)، قدمه وحققه وعلق عليه: د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، منشورات دار الرفاعي، الرياض

(٨) انظر المحتسب لابن جني ٢/ ٥٥-٥٦، تحقيق على النجدي ناصف وعبد الحليم النجار، وعبد الفتاح شلبي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،١٩٩٩م.

(٩) يقول البغوي في تفسيره لكلمة قبضت: فقبضت قبضة من أثر الرسول) أي: من تراب أثر فرس جبريل أما ابن كثير فيقول في تفسيره: فقبضت قبضة من أثر الرسول) قال: من تحت حافر فرس جبريل، قال: والقبضة ملء الكف، والقبضة بأطراف الأصابع.

(١٠) طه:٩٦

(١١) المزمل: ١٤

(١٢) انظر تفسير ابن كثير للآية :١٤ من سورة المزمل حيث يقول:» أي: تصير ككثبان الرمل بعد ما كانت حجارة صماء، ثم إنها تنسف نسفا فلا يبقى منها شيء إلا ذهب، حتى تصير الأرض قاعا صفصفا، لا ترى فيها عوجا، أي: واديا، ولا أمتا، أي: رابية، ومعناه: لا شيء ينخفض ولا شيء يرتفع. وكذلك القرطبي في تفسيره للآية «كانت الجبال كثيبا مهيلا أي وتكون. والكثيب الرمل المجتمع -قال حسان:

عرفت ديار زينب بالكثيب كخط الوحي في الورق القشيب

والمهيل: الذي يمر تحت الأرجل. قال الضحاك والكلبي: المهيل: هو الذي إذا وطئته بالقدم زل من تحتها، وإذا أخذت أسفله انهال.

(١٣) البقرة: ٥٤

(١٤) راجع شاكر الأسدي: سورة الناس. دراسة صوتية دلالية، مجلة آداب ذي قار، العدد:٣، المجلد، ١، جامعة ذي قار، العراق، ٢٠١١م.

المراجع:

- أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، مكتبة عالم الكتب، الطبعة السادسة، القاهرة، ١٩٨٨م.
- أحمد مختار عمر: الصوت اللغوي عند العرب، مكتبة عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٧م.
- أحمد كشك: من وظائف الصوت اللغوي، مطبعة المدينة بدار السلام، الطبعة الأولى القاهرة،١٩٨٣م.
- إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الخامسة، القاهرة، ١٩٧٩م.
- ابن جني أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق عبد الحميد هنداوي، الطبعة:٢، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ٢٠٠٣م.
- ابن سيده أبو الحسن: المخصص، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٧٨م.

▼ ابن سينا، أبو علي الحسين: رسالة أسباب حدوث الحروف. تحقيق محمد حسان الطيّان، ويحيى مير علم. دمشق: مجمع اللغة العربية. د. ت.

▼ ابن منظور أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، الدار المصرية، القاهرة.

▼ الجاحظ: البيان والتبيين، دار الكتب العلمية، د.ت، ج ١ بيروت.

▼ الجاحظ: الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، الجزء الثالث، الطبعة الثانية، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٦٥م.

▼ العقاد: اللغة الشاعرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م.

▼ الزرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق، فواز أحمد زمرلي، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.

▼ بلقاسم دفة: نماذج من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم. دراسة دلالية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، عدد: يونيو ٢٠٠٩م.

▼ تحسين عباس: البحث الصوتي وجمال الأداء، الدار المنهجية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، ٢٠١٥م.

▼ تحسين الوزان: الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب، دار دجلة، عمان، الأردن، ٢٠١١م.

▼ تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، ١٩٩٤م.

▼ حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨م.

▼ حسام النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠م.

▼ حازم إسماعيل: اختلاف المعنى لاختلاف الحروف والحركات في القرآن الكريم، بحث منشور بمجلة التربية والعلم، المجلد:(٥)، العدد:(٤)، كلية التربية بجامعة الموصل، العراق، ٢٠٠٨م.

- رمضان عامر: الشعر الجاهلي من الإيقاع إلى الدلالة، معلقة عمرو بن كلثوم أنموذجا، مكتبة الآداب، ط:١ القاهرة، ٢٠١٢م.
- ربيح عمار: بنية الكلمة العربية والقوانين الصوتية، مجلة الحكمة للعلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، العدد: ١١، مايو ٢٠٠٧م.
- رينيه ويليك وأوستن وارين: نظرية الأدب، المجلس الأعلى للفنون والآداب، دمشق،١٩٧٢م.
- سليمان خان القنوجي: اتفاق المباني وافتراق المعاني، (١٣٠٧)، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٧٨م.
- شاكر الأسدي: سورة الناس. دراسة صوتية دلالية، مجلة آداب ذي قار، العدد:٣، المجلد، ١، جامعة ذي قار، العراق، ٢٠١١م.
- صلاح عبد القادر: في العروض والإيقاع الشعري، دراسة تحليلية تطبيقية، الايام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط:١، الجزائر، ١٩٩٦م.
- صفية مطهري: الدلالة الإيحائية في الصيغ الإفرادية، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣م.
- عبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة، مكتبة الكيلاني، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٦٨م.
- عبد القادر حسين: أثر النحاة في البحث البلاغي، دار النهضة، القاهرة،١٩٧٥م.
- عبد العزيز فهمي: الحروف اللاتينية لكتابة العربية، دار العرب، الفجالة، القاهرة، ١٩٤٤م.
- عمر السلامي: الإعجاز الفني في القرآن، تونس، ١٩٨٠م.
- عبد الصبور شاهين: علم الأصوات، مكتبة الشباب، القاهرة، مصر، ١٩٨٥م.
- عبد العزيز الصيغ: المصطلح الصوتي، دار الفكرن دمشق، سوريا، ١٩٨٨م.
- عبد الحميد السيد: دراسات في اللسانيات العربية، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ٢٠٠٣م.

- غالب المطلبي: في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد العربية، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق، ١٩٨٤م.
- قاسم البريسيم: منهج النقد الصوتي في تحليل الخطاب الشعري، دار الكنوز الأدبية، ط:١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.
- كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- منير شنطاوي وعمر خليل: الإيقاع الصوتي في نسق الألفبائية العربية، مجلة جامعة دمشق، المجلد:٢٦ العدد الأول والثاني، سوريا، ٢٠١٠م.
- مهدي عناد: التحليل الصوتي للنص. بعض قصار سور القرآن الكريم أنموذجا، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، رسالة ماجستير نابلس، فلسطين، ٢٠١١م.
- محي الدين درويش: إعراب القرآن الكريم وبيانه، ط:٩، دار ابن كثير، دار اليمامة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م.
- محمد المبارك: فقه اللغة وخصائص العربية. دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد. دار الفكر للنشر التوزيع، دمشق،١٩٦٤م.
- مبارك حنون: في التنظيم الإيقاعي للغة العربية. نموذج الوقف، الطبعة الأولى، الدار العربية للعلوم الجزائر، ٢٠١٠م.



عالمية الأبجدية العربية وتأثيراتها الإيجابية على اللغات الأوروبية المعاصرة

د. نصر عبد ربه

أستاذ مشارك بمعهد الدفاع للغات-كاليفورنيا بالولايات المتحدة الامريكية.

إن الخلية الأولى لأية لغة هي أبجديتها التي تبنى عليها منظومتها اللغوية. ولا شك أن بزوغ نجم اللغة العربية على خريطة الأحداث العالمية في الآونة الأخيرة غدا أمراً جديراً بالبحث العلمي ارتكازاً على أسس أكاديمية عالية المصداقية مبنية على حقائق موثقة.

يسعى الباحث من خلال هذه الدراسة إلى المساهمة في إبراز القيمة اللغوية للأبجدية العربية وتأثيراتها الإيجابية على اللغات الأوروبية المعاصرة، انطلاقاً مما توصلت إليه بعض البحوث والدراسات الحديثة المتخصصة ذات المصداقية العالية، مضيفا إليها ما في جعبته من خبرات في حقل تدريس اللغة العربية للناطقين بالإنجليزية سواء في طُرق واستراتيجيات تدريس العربية لغة ثانية، المساهمة في وضع مناهج تدريسها، أو تقييم برامجها.

يهدف الباحث من هذه الدراسة إلى إلقاء بصيص من الضوء على ستة محاور:

- أولاً: التعريف المقارن بالأبجدية العربية.
- ثانياً: وصول اللغة العربية إلى أوروبا.
- ثالثاً: ظاهرة استعارة المفردات اللغوية.

- رابعاً: تأثير الأبجدية العربية على اللغة الإسبانية.
- خامساً: تأثير الأبجدية العربية على اللغة الإنجليزية.
- سادساً: استراتيجيات تدريس اللغة العربية للناطقين بالإنجليزية.

يختتم الباحث هذه الدراسة ببعض التوصيات لمعلمي اللغة العربية لغة ثانية في كيفية توظيف الخصائص الإيجابية للغة العربية وأبجديتها عند تدريسها للناطقين باللغات الأوروبية المعاصرة، متخذاً من اللغة الانجليزية نموذجاً قابلاً للتطبيق عند تدريس العربية لغير الناطقين بها من أبناء هذه الدول.

أولاً: التعريف المقارن بالأبجدية العربية

يستهل الباحث هذه الدراسة بمناقشة أصول اللغات الإنسانية ونشأتها، أو كما يشير إليها الدكتور موسى حامد بالعوامل التي دعت إلى ظهور اللغة في صورة أصوات مركَّبة ذات مقاطع مميَّزة، والكشف عن الصورة الأولى التي ظهرت بها هذه الأصوات، أي البحث في الأسلوب الذي سار عليه الإنسان في وضع أصوات معينة لمسميات خاصة ومحددة، وتحديد الأسباب التي وجهته إلى هذا الأسلوب دون غيره من أساليب، وليس البحث عمن أنشأها (حامد، م. ٢٠١٢).

يسعى الباحث من خلال تقديم نبذة عن أصول اللغات الإنسانية ونشأتها إلى الولوج إلى كيفية اهتداء الانسان إلى التعبير عن نقل المخرجات الصوتية التي تفوه بها عند الإشارة إلى مفاهيم معينة خاصة بصورة أو شكل ما متفق ومجمع عليه بينه وبين أقرانه بحيث لا يختلف عليه اثنان، ألا وهي فكرة نقل الرسالة الصوتية –التي سرعان ما تتلاشى بعد التفوه بها –إلى رسالة مرئية، أي التعبير عن اللغة المنطوقة بتسجيلها كتابة باستخدام حروف وكلمات متفق عليها بين جميع أصحاب اللغة، حتى يمكن الرجوع إليها بقراءتها فيما بعد.

كانت اللغة العربية حتى القرن السادس ق.م لغة تخاطب غير مكتوبة استخدمها العربي للتواصل مع بني جلدته على المستوى الشخصي، كما استخدمتها أيضاً القبائل العربية التي كانت تعيش في آسيا الوسطى وجنوب العراق وسوريا للتواصل فيما بينها تحت مختلف الظروف المعيشية. استخدم العرب بدءاً من القرن السادس الميلادي نوعاً

من الحروف الآرامية التي استخدمها الأنباط، حيث كانت اللغة الآرامية هي اللغة الرسمية المستخدمة في الإمبراطورية الفارسية الغربية التي كانت تضم بعض أجزاء من الجزيرة العربية، غير أن استخدام اللغة العربية المكتوبة سرعان ما ازداد وانتشر مع انتشار الدين الإسلامي (Said, 1990) ولاسيما عندما باتت هناك ضرورة ملحة إلى تدوين القرآن الكريم بعد موت واستشهاد عدد كبير من حُفاظه، إلى أن تم كتابته في عهد ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان.

تم دراسة المنظور العام لأصول نشأة اللغات الإنسانية بشكل عام من خلال عدة نظريات يكتفي الباحث هنا بمناقشة أربع منها دون التطرق إلى تأييدها والزود عنها أو معارضتها والتقليل من مدى مصداقيتها، حتى وإن كان الباحث يميل إلى إحداها كما سيتم توضيح ذلك لاحقاً اعتماداً على أسلوب بحثه المجرد عن أي هوى أو تحيز يفتقر إلى الرؤية الأكاديمية العلمية الموضوعية التي تسعى إلى طرح جميع الحقائق أمام القارئ الواعي المستنير، ثم ترك له حرية اختيار ما يراه ملائماً ومقبولاً بإعمال العقل البشري والتحليل المنطقي ورفض ما دون ذلك.

١) النظرية التوقيفية:

تعرف هذه النظرية بعدة أسماء: «النظرية التوقيفية» (عباس، ح. ١٩٩٨)، «نظرية الوقف» (حامد، م. ٢٠١٢)، «نظرية الوحي والالهام والتوقيف» (شامية، أ. ٢٠٠٨)، و «نظرية التوقيفي» (Asy›ari, ٢٠١٥).

طبقاً لهذه النظرية فإن أصل اللغة إنما هو «توقيف»، أي من خلال وحي إلهي (عباس، ح. ١٩٩٨)، وأن الفضل في نشأة اللغة الإنسانية إنما يرجع إلى إلهام إلهي هبط على الإنسان الأول آدم فعلمه النطق وأسماء الأشياء (حامد، م. ٢٠١٢)، وأن الله الخالق أوحى إليه وأوقفه على أسماء الأشياء بعد أن علمه النطق (شامية، أ. ٢٠٠٨)، أو أن اللغة غريزة وإلهام وموهبة فطرية أو توقيف من الله تعالى: علم آدم الكلام واللغة، أو إلهام هبط عليه فعلمه النطق، وأسماء الأشياء، أو غريزة انفعل بها الإنسان فتكلم (Asy›ari, ٢٠١٥).

يعتمد مؤيدو هذه النظرية من المسلمين على نص من القرآن الكريم (سورة البقرة) وهو قوله تعالى: «وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) فَقَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣)».

أما مؤيدوها من غير المسلمين، فيعتمدون على نص من التوراة في تفسير إصحاح(٢) من سفر التكوين جاء فيه: «وجبل الرب الإله من الأرضِ كل حيوانات البرية وكل طيور السماء، فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها، وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها، فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية «

٢) النظرية التوفيقية:

تنادي هذه النظرية بالتوفيق بين التوقيف والاصطلاح، بمعنى أن الله قد قدر الإنسان على أن يصطلح الكلمات تعبيراً عن معانيها (عباس، ح. ١٩٩٨).

٣) النظرية الاصطلاحية:

أشار علماء اللغة إلى هذه النظرية بعدة أسماء: «النظرية الاصطلاحية» التي تقول بأن أصل اللغة هو الاصطلاح والتواضع. أي أن الأسماء هي مصطلحات قد تواضع الناس على معانيها (عباس، ح. ٩٩٨)، «نظرية التواضع والاتفاق» التي تقرر بأن اللغة أُبتدِعتْ ابتداعاً، وأن ألفاظها أُرْتُجِلتْ ارتجالاً. وقد أيدها كثير من العلماء والفلاسفة الغربيين والمسلمين (حامد، م. ٢٠١٢)، و»نظرية المواضيع والاصطلاحات» التي يرى أصحابها أن اللغة نشأت من اتفاق بين الأفراد في المجتمع، وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا، فيحتاجون إلى الإبانة عن الأشياء، فيضعوا لكل منها سمةً، ولفظاً يدل عليه (Asy›ari, ٢٠١٥).

٤) النظرية الفطرية:

تعرف هذه النظرية بعدة أسماء: فهي «النظرية الفطرية» التي تقول إن أصل اللغة فطري ويرى مؤيدوها أن اللفظة قد اقتبست من الطبيعة بالمحاكاة، وأن الألفاظ بدأت

بتقليد الأصوات في الطبيعة، وأن ثمة علاقة ذاتية بين الفكر والكلمة، بالإضافة إلى الكثير من التعاريف التي يمكن ضمها تحت لواء المدرسة الواقعية القائلة بأن «اللغة جزء من الواقع الطبيعي» (عباس، ح. ١٩٩٨).

يشير الدكتور أحمد شامية إلى هذه النظرية بـــ «نظرية محاكاة أصوات الطبيعة» التي تذهب إلى أن أصل اللغة محاكاة أصوات الطبيعة، كأصوات الحيوانات وأصوات مظاهر الطبيعة، والتي تحدثها الأفعال عند وقوعها، ثم تطورت الألفاظ الدالة على المحاكاة، وارتقت بفعل ارتقاء العقلية الانسانية وتقدم الحضارة (شامية، أ. ٢٠٠٨).

أما «أسياري» Asy'ari فتعرفها بـــ «نظرية المحاكاة» التي ترى أيضاً أن الإنسان أنشأ بدايةً اللغة عن طريق تقليده للأصوات التي كان يسمعها حوله في الطبيعية، كأصوات الرياح والحيوانات والمياه والأشياء، ذلك المفهوم الذي يعرفه علماء الغرب بـــ «محاكاة الأصوات» Onomatopoeia، وقد أشار «ماكس ميلر» Max Miller – من أكبر علماء اللغة في القرن التاسع عشر -إلى هذه النظرية باسم نظرية الـــ «بو – واو «bow-wow (Asy›ari), ٢٠١٥).

يرى الباحث أن «النظرية الفطرية» أو «المحاكاة» لا تفتقر إلى الكثير من الأسانيد العلمية لإقناع العقل البشري بمصداقيتها والأخذ بها عند دراسة أصول ونشأة اللغات الإنسانية، ويستند الباحث في رؤيته هذه إلى ما يلي:

١ . قام قدماء المصريين بالتعبير عن لغتهم الهيروغليفية المنطوقة باستخدام حروف هي في مكوناتها مجموعة من الصور والأشكال انفعلوا بها وتفاعلوا معها من واقع البيئة ومظاهر الطبيعة المحيطة بهم، فعلى سبيل المثال عندما أراد المصري القديم تسجيل المنطوق الصوتي لحرف «الميم» استوحى هذا الصوت من طائر «البوم» الذي يخرج الصوت «مممممم»، وبالتالي نجد حرف «الميم» في اللغة الهيروغليفية – التي تكتب من اليمين إلى اليسار، من اليسار إلى اليمين، أو من أعلى إلى أسفل – ممثلاً بطائر البوم كما يظهر في اسم الملك «أمنمحات»، كما استوحى المصري القديم المنطوق الصوتي لحرف «الفاء» من الثعبان الذي يخرج الصوت «ففففف» عند فحيحه، والمنطوق الصوتي لحرف «الواو» من فرخ الدجاج (الكتكوت) الذي يخرج الصوت «صوصوصو»، وتظهر حروف «الميم» و «الفاء» و»الواو» بوضوح في اسمي الملك «أمنمحات» و الملك

«خوفو» كما يظهر في شكل (١).





امنمحات **خوفو**

شكل (١)

٢. يكتسب الطفل الرضيع لغته الأم في المرحلة الأولى من حياته - منذ ولادته وحتى يبلغ عشرين شهراً تقريباً - فطرياً ودون حاجة إلى معلم من خلال محاكاته لأصوات المحيطين به وتفاعله معهم، ثم يبدأ بعد ذلك في ربط هذه الأصوات والكلمات بالحركات والصور والأشكال المعبرة عنها من خلال مراقبته لتصرفات المحيطين به إلى أن ترسخ لديه القدرة على استيعاب وفهم تصرفات الأخرين من خلال ربطه بين ما يسمعه وما يراه إلى أن تكتمل قدراته اللغوية وينتقل إلى مرحلة التواصل مع الآخرين، فمن المعروف أن مهارة الاستماع هي أولى مراحل النمو والتطور الإدراكي للإنسان cognitive development، فلاعجب إذاً أن يجمع كافة متخصصي تدريس اللغات لغير الناطقين بها على أن ناطقي اللغة الأولى «يكتسبون» لغتهم لا إرادياً في منظومة الحياة اليومية لتلبية احتياجاتهم الحياتية، في حين أنهم «يتعلمون» اللغة الثانية إرادياً وبوعي كامل منهم (Abdrabo, ٢٠١٦).

٣. رغم اختلاف إنسان العصر الحديث عن إنسان العصور القديمة في مستوى تمدنه وتحضره وسلوكياته الحياتية وما إلى ذلك في كافة النواحي المعيشية، فإن هذا الاختلاف لم يَطُلْ تفاعله مع الطبيعة أو تفسيره لكافة الظواهر الأخرى الحديثة التي تستجد في حياته. ولعل هذه الرؤية تتفق مع تعبير إنسان العصر الحديث في تعريفه بالصوت الصادر عن الطائرة بـ «أزيز الطائرة»، أو بالصوت الصادر عن سير القنابل أو القذائف بسرعة فائقة بـ «الصفير»، وما إلى ذلك بما يتفق بين ترجمة الذبذبات الصوتية التي تستقبلها الأذن وبين التعبير عنها بمدلولات كتابية ويعني الباحث بها «الحروف».

جذور أصوات الحروف العربية

ترتبط جذور أصوات الحروف العربية بحاجات الإنسان العربي ومعانيه على مر التاريخ، وقد قسم علماء اللغة العربية هذه الجذور إلى ثلاث مراحل: «غابية» و»زراعية» و»رعوية» (عباس، ح. ١٩٩٨).

١. المرحلة الغابية:

تمتد هذه المرحلة حتى الألف الثاني عشر ق.م واعتمد فيها الإنسان العربي على الأصوات الهجائية والحركات العفوية للتعبير عن حاجته المحدودة، ويرى عباس حسن (١٩٩٨) أننا ورثنا عنه أحرف (الهمزة والألف والواو والياء).

٢. المرحلة الزراعية:

تمتد هذه المرحلة من الألف الثاني عشر حتى الألف التاسع ق.م واعتمد فيها الإنسان العربي على كيفية النطق ببعض أصوات الحروف العربية للتعبير (إيماءً وتمثيلاً) عن حاجته ومعانيه، ويرجح عباس حسن (المرجع السابق) إننا ورثنا عنه أحرف (الفاء واللام والميم والثاء والدال).

٣. المرحلة الرعوية:

تمتد هذه المرحلة من الألف التاسع ق.م حتى العصور الجاهلية الأولى واعتمد فيها الإنسان العربي على صدى أصوات الحروف العربية في النفس للتعبير (إيحاءً) عن شتى الحاجات والمعاني، ويرى عباس حسن (المرجع السابق) أن هذه الطريقة هي أرقى ما وصلت إليه الإنسانية في دنيا التواصل اللغوي التي لم يعد لها مثيل في أي لغة من لغات العالم.

تصنيف الحروف العربية بحسب مخارجها

صنف علماء اللغة العربية أصوات الحروف في مجموعات كثيرة، تارة بحسب مخارجها وتارة بحسب كيفية النطق بها، وتارة ثالثة بحسب سهولة النطق بها أو صعوبته (عباس، ح. ١٩٩٨)، وتارة رابعة بحسب قوتها أو ضعفها، وبالتالي تأثيراتها في قوة الألفاظ والكلمات وما إلى ذلك. يكتفي الباحث هنا بمناقشة ثلاث منها:

١. الأصوات الصامتة والصائتة:

تعد جميع الحروف الهجائية صامتة consonants باستثناء ثلاثة أحرف تعرف بالأحرف الصائتة vowels وهي الألف والواو والياء، والتي تعرف أيضاً بحروف اللين، أو الحروف الهوائية أو الجوفية.

٢. مخارج الحروف العربية وصفاتها:

إن تحديد المخرج الصوتي لكل حرف بدقة يلعب دوراً أساسياً في المحافظة على أصالة أصوات الحروف العربية وبذلك لا يختلف عما نطقت بها الأجيال العربية الأولى، فكانت محافظة كل حرف على صدى صوته البكر في نفس العربي الذي استوحى منه معانيه الأصلية، فيظل هذا الحرف يوحي لنا نحن أصحاب اللغة بذات المعاني، فتحافظ اللغة العربية بذلك على فطرتها (عباس، ح. ١٩٩٨)، ناهيك عن أهمية الدور الذي يلعبه النطق الصحيح للحروف العربية عند تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها فيساعدهم إلى حد كبير على فهم واستيعاب ما يسمعونه من أصحاب اللغة، ومن ناحية أخرى يرفع من قدراتهم على تنمية مهاراتهم اللغوية الأربعة: الاستماع، الكلام، القراءة، والكتابة، بل يعينهم على فهم اللغة العربية فهماً صحيحاً بحيث لا تختلط عليهم الأمور في فهم واستيعاب لغة تكتظ بما لا يحصى من كلمات اتفقت أو تشابهت في حروفها ذات المنطوق الصوتي الواحد، أو تلك ذات المنطوق الصوتي المتقارب، ناهيك عن استخدامها في معانٍ عدة فأضحت بذلك لغزاً أمام دارسي العربية من الناطقين بلغات أخرى بعيدة كل البعد عن العربية بخصائصها الفريدة.

أ. مخارج الحروف العربية:

تتكون الأبجدية العربية من ثمانية وعشرين حرفاً مؤلفة من سبعة عشر شكلاً مختلفاً من الحروف، وقد تطورت الأبجدية العربية واستخدمت في كتابة العديد من اللغات الأخرى كالفارسية، الأوردو، الداري، والتركية (حتى عام ١٩٩٨م)، كما استخدمت أيضاً في كتابة اللغة الإندونيسية والماليزية، وهذا عائد بالطبع إلى الضرورة الملحة لمعرفة اللغة العربية لمن يدينون بالدين الإسلامي من غير العرب وخاصةً عند قراءتهم القرآن

الكريم (Said, ١٩٩٠). وتعد اللغة العربية اليوم واحدة من أكثر اللغات انتشاراً في العالم، فلا غرو أن كثيراً من الكلمات العربية لازالت تستخدم في العديد من اللغات الأخرى إلى يومنا هذا.

يذكر تركستاني (تركستاني، م. ١٩٨٤: ٧٩-٨٣) أن مخارج الحروف المعدودة خمسة عشر مخرجاً لتسعة وعشرين حرفاً هي: الحلق واللسان والشفتان.

(١) **الحلق**: يخرج الحلق سبعة أحرف هي: الهمزة، والألف، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء.

(٢) **اللسان**: يخرج اللسان ثمانية عشر حرفاً هي: القاف، والكاف، والجيم، والشين، والياء، والضاد، واللام، والطاء، والدال، والتاء، والصاد، والسين، والزاي، والظاء، والثاء، والذال، والنون، والتنوين، والراء.

(٣) **الشفتان**: تخرج الشفتان أربعة أحرف هي: الفاء، والميم، والواو، والباء.

قام حسن عباس (عباس، ح. ١٩٩٨: ٤٨) بوضع التصنيف التالي لمخارج أصوات الحروف العربية وفق ما اتفق عليه قدامى اللغويين قريبو العهد بالنطق العربي الأصيل (شكل٢) وهي:

(١) **الأحرف الحلقية**: الهمزة الهاء، العين، الحاء، الغين، الخاء.

(٢) **الأحرف اللهوية**: القاف، الكاف (اللهاة تقع بين الحلق والفم).

(٣) **الأحرف الشجرية**: الجيم، الشين، الياء غير المدية، والضاد (وسط اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى).

(٤) **الأحرف الزلقية**: اللام، النون المظهرة، الراء (زلق اللسان طرفه).

(٥) **الأحرف النطعية**: الطاء، الدال، التاء (النطع هو سقف غار الحنك الأعلى).

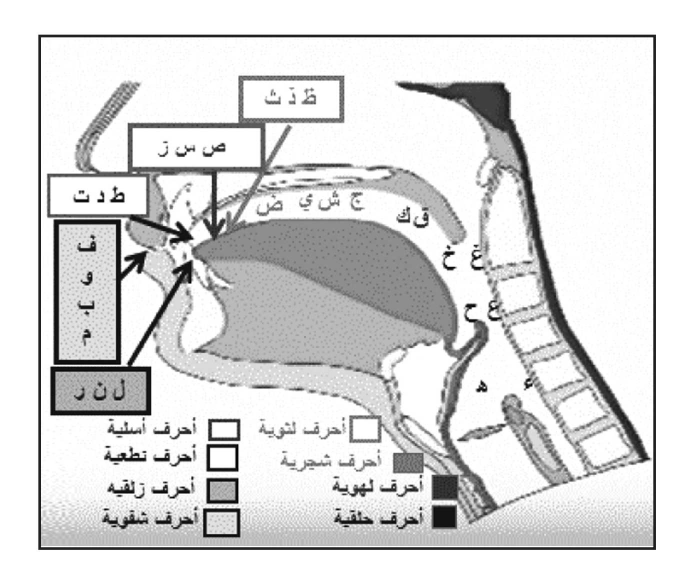
(٦) **الأحرف الأسلية**: الصاد، السين، الزاي (ما بين رأس اللسان وصفحتي الثنيتين العلويتين).

(٧) **الأحرف اللثوية**: الظاء، الذال، الثاء (لخروجها من قرب اللثة).

(٨) **الأحرف الشفوية**: الفاء، الباء، الميم، الواو غير المدية.

(٩) **الأحرف الخيشومية**: النون الساكنة، النون والميم المشدتان.

(١٠) **الأحرف الجوفية أو الهوائية**: الألف، الواو الساكنة المضموم ما قبلها، الياء الساكنة المكسور ما قبلها (الجوف هو فراغ الحلق والفم).



شكل رقم (٢)

ب. تصنيف الحروف العربية بحسب قوتها وضعفها

قسم العلماء الحروف العربية إلى قوية وضعيفة بحسب صفتي القوة والضعف:

١. **صفات قوية**: الجهر -الشدة -الاستعلاء -الإطباق -الإصمات -الصفير -القلقلة - الانحراف - التكرير - التفشي - الاستطالة.

٢. **صفات ضعيفة**: الهمس -الرخاوة -الاستفال -الانفتاح -الإذلاق -اللين -الخفاء.

اختلف العلماء على تقسيم الحروف من حيث القوة والضعف، فمنهم من قسمها تقسيماً ثلاثياً: قوية ومتوسطة وضعيفة، ومنهم من قسمها تقسيماً خماسياً: الأقوى،

القوية، المتوسطة، الضعيفة، والأضعف (جدول رقم ٢) بحسب الصفات الأتية:

(١) **الحروف الأقوى**: كل صفاتها قوية أو بها صفة واحدة فقط ضعيفة.

(٢) **الحروف القوية**: صفاتها القوية أكثر من صفاتها الضعيفة.

(٣) **الحروف المتوسطة**: تتساوى صفاتها القوية والضعيفة.

(٤) **الحروف الضعيفة**: صفاتها الضعيفة أكثر من صفاتها القوية.

(٥) **الحروف الأضعف**: كل صفاتها ضعيفة أو بها صفة واحدة قوية.

الأقوى	القوية	المتوسطة	الضعيفة	الأضعف
ض	أ	ب	س	ف
ط	ج	ز	ك	ح
ظ	د	ر	ت	ث
	غ	ع	ا	ه
	ص		ل	م
	ق		ش	ن
			ي	
			خ	
			ذ	
			و	

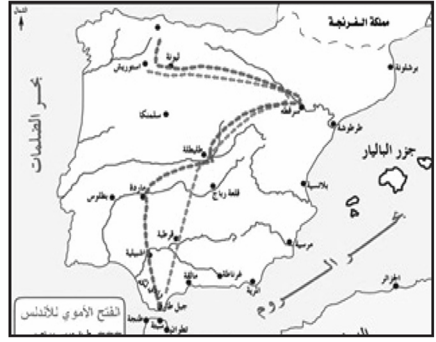
جدول (١)

ثانياً: وصول اللغة العربية إلى أوروبا

إن انتشار اللغة العربية ووصولها إلى بقاع كثيرة وبعيدة في العالم، بل وتفوقها على نظيراتها من اللغات الأخرى في تنوع معانيها وتركيباتها المتقنة لمن الأحداث الجليلة التي دونت في تاريخ البشرية (Alshhre, ٢٠١٦, p. ٣٥).

بدأ انتشار الدين الاسلامي خلال حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) وخلال حكم الخلفاء الراشدين من مكة إلى أجزاء من منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وكان

من الطبيعي أن يواكبه انتشار اللغة العربية وثقافتها، وبلغ الانتشار أوجه خلال حكم الدولة الأموية، ومن بعدها الدولة العباسية (شكل ٣).





شكل (٣)

يذكر أنور شحنه Anwar Chejne –نقلاً عن ابن منذر (القرن الرابع عشر) في مقدمة كتابه «ليزان Lisan »– أن الله مَيَّزَ اللغة العربية عن سائر اللغات الأخرى، بل وفَضَّلها بجعلها لغة القرآن الكريم، ولذا جعلها لغة التخاطب في الجنة، ويضيف ابن منذر بذكر قول النبي (صلى الله عليه وسلم): «أَحبَ الناسُ العربَ لثلاثةِ أسبابْ: لأنني عربي، ولأن القرآن نزل باللغة العربية، ولأن العربية هي لغة الجنة» (Chejne, 1967).

وصل البربر إلى إسبانيا عام ٧١١ م بعد عبورهم مضيق جبل طارق، حاملين معهم الدين الإسلامي واللغة العربية صنوان لا يتجزآن وأعقب ذلك تأسيس إمارة قرطبة التي أصبحت القاعدة التي انطلق منها الدين الإسلامي بلغته العربية وثقافتها إلى سائر أجزاء إسبانيا باستثناء أجزاء قليلة منها (Rorabaugh, 2010) كما يتضح في شكل رقم ٣.

تلى ذلك وصول أعداد كبيرة من المهاجرين الجدد إلى إسبانيا من العرب والمصريين والبربر وتزوج منهم ما يزيد عن ثلاثين ألف امرأة إسبانية، مما مهد الطريق أمام غرس جذور اللغة العربية هناك، والتي انعكس تأثيرها بقوة على السكان الأصليين من الإسبان (Le Bon, 2012, In Alshhre, 2016, p. 36). وأصبحت اللغة العربية بلسانها السامي ومفرداتها اللامحدودة أحد العوامل الهامة التي حملت معها ثقافة الشرق إلى أوروبا التي كانت لاتزال تغط في سبات عصورها المظلمة، واندفع معتنقو الدين الإسلامي من السكان الأصليين (الإسبان) بقوة إلى تعلم اللغة العربية إيماناً منهم بأن

هذه اللغة هي أم كل اللغات التي تعلمها آدم في الجنة (Salloum, 2016).

كانت قرطبة Cordova وتوليدو Toledo وإشبيلية Seville من أهم المراكز الإسلامية الفكرية والروحية والعلمية التي ذاع صيتها أثناء عصر الفتوحات الإسلامية والتي برز فيها عدد كبير من علماء الدين الإسلامي الذين حظوا بتشجيع وكرم ودعم حُكام الإمارات الإسلامية بإسبانيا والذين كانوا يفخرون دوماً بدعمهم للثقافة العربية. وبرغم الصراعات والمشاكل السياسية التي تميزت بها تلك الحقبة، ظل المجتمع الإسلامي متمسكاً بالدين الإسلامي وبلغته وثقافته، ولعل إسبانيا أحد النماذج الطيبة التي تجلت فيها هذه الوحدة الثقافية (Chejne, 1967, p. 76). ويضيف حوراني Hourani أن أعمال الفلاسفة والعلماء والأطباء العرب ترجمت إلى اللغة اللاتينية، وأنه حتى القرن السادس عشر ظلت كتابات العالِمْ العظيم «ابن سينا» من أهم المراجع الطبية التي استخدمت في المدارس الطبية في أوروبا(Hourani, 1989, p. 226) .

انسلخت الأندلس إدارياً وسياسياً عن بقية العالم الإسلامي عام ٧٥٠ميلادية، أي بعد مرور أربعة عقود فقط من بداية الفتح الإسلامي لإسبانيا. ولم يترك الفاتحون العرب إدارة الشئون الإدارية في الأندلس لأصحاب البلاد الأصليين، كما لم يسمحوا باستخدام اللغة الإسبانية كلغة رسمية هناك -كما كان الحال بعد الفتوحات الإسلامية لفارس -بل جعلوا اللغة العربية اللغة الرسمية هناك منذ بادئ الأمر، فكانت المستندات والوثائق تكتب باللغة العربية، إضافة إلى صك النقود باللغة العربية، بل إن الخُطب والمواعظ الدينية كانت تلقى باللغة العربية أيضاً.

لم يأت القرن التاسع إلا وكانت اللغة العربية بثقافتها قد وطدت أقدامها في الأندلس، ولاسيما بين سكان المدن الذين تشكلوا من عدد كبير من الطبقة المتأسلمة Islamized والذين عرفوا في اللغة العربية باسم «المولدون» Muwalldûn وعرفوا في الإسبانية باسم Muladís، بالإضافة إلى عدد كبير من «المسيحيين المستعربين» الذين عرفوا باسم Mozarabs (Chejne, 1967, p. 76).

أصبحت اللغة العربية – من القرن الثامن الميلادي وحتى القرن الثاني عشر – اللغة العلمية في الأندلس حتى أن كل من سعى إلى المعرفة ورغب في التميز عن أقرانه في تلك الفترة اتجه إلى تعلم اللغة العربية، تماماً كما هو شأن اللغة الإنجليزية في وقتنا الحاضر

التي تفتح الأبواب أمام الطموحين من شبابنا ممن يسعون إلى إثراء معرفتهم وتميزهم في المجالات التقنية والعلمية.

وهكذا، زاد استخدام اللغة العربية باضطراد في الأقاليم الإسلامية من إسبانيا (الأندلس) حتى إنه مع بدايات القرن العاشر الميلادي أصبحت اللغة العربية تُدَّرس بشكل عام في المرحلة الابتدائية، وفي أقل من قرن سادت اللغة العربية هناك (Salloum, ٢٠١٦).

ثالثاً: ظاهرة استعارة المفردات اللغوية loan words phenomenon

قام حسام درويش بعمل دراسة شيقة حول ظاهرة استعارة الكلمات العربية في اللغة الإنجليزية أشار فيها إلى الجذور التاريخية لهذه الظاهرة، إضافة إلى العوامل والمؤثرات والحاجة التي دعت إليها مستشهداً بالعديد من دراسات وأبحاث نخبة من المتخصصين في ظاهرة «استعارة المفردات اللغوية» كظاهرة ليست بجديدة (Darwish, 2015)، ذلك أن أي لغة لا تخلو من كلمات تم استعارتها من لغات أخرى (Jesperson, 1922). ويشير علماء اللغة إلى ظاهرة الاستعارة لبعض المفردات اللغوية بين حوالي سبعة آلاف لغة يتم التحدث بها على مستوى العالم كظاهرة تحدث نتيجة الاحتكاك والتواصل بين متحدثي هذه اللغات (Kachru, 1994). يضيف «كريستال» أن اللغة الإنجليزية تعد لغة «مستعيرة غير مستقرة»(instable borrower (Crystal, 2010، ويؤكد «كلين» إن عدد الكلمات ذات الأصول الإنجليزية الموجودة في اللغة الإنجليزية لا يتجاوز ٣٠٪ بها في حين أن الغالبية العظمى المتبقية تم استعارتها من حوالي ١٢٠ لغة أخرى (Klein, 1966).

يشير علماء اللغة إلى الدور الحيوي لظاهرة «استعارة المفردات اللغوية» بين اللغات منوهين إلى أهمية ذلك في إدخال كلمات جديدة أو مفاهيم صرفية morphemes إلى لغات أخرى، لافتين النظر إلى أن نطق الكلمات المستعارة يتم تعديله في معظم الأحيان حتى يناسب النظام الصوتيphonological system للغة المستعيرة (Fromkin, 2003)، ويرى درويش أن السبب الرئيس لاستعارة المفردات اللغوية إنما يكمن في الحاجة إلى اكتساب مفردات أو تركيبات لغوية متميزة للدلالة على أسماء أماكن، أشياء، أو مفاهيم جديدة (Darwish, 2015) ، ولعل استعارة لقب «أمير البحار» – الذي استخدمه العرب في إشارتهم إلى قائد الأسطول البحري إبان الفتوحات الإسلامية –

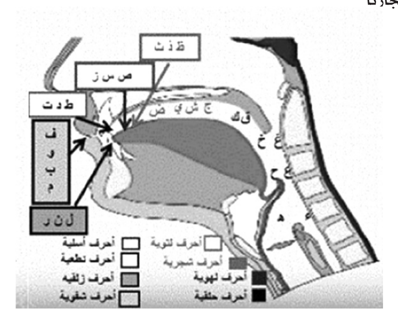
من العربية إلى الإنجليزية والذي تم تحويره إلى كلمة admiral كرتبة عسكرية تعادل في المفهوم العسكري العربي الحديث رتبة «لواء بحري»، لهي خير دليل على ذلك.

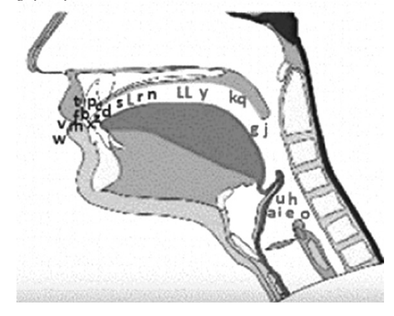
رابعاً: تأثير الأبجدية العربية على اللغة الإسبانية

خلال الفترة الأولى من حكم البربر سُمح للسكان الأصليين من المسيحيين الإسبان من أصول رومانية Hispano-Roman Christians ولليهود بحرية ممارسة شعائرهم وطقوسهم الدينية، مما أدى إلى بروز ظاهرة «ثنائية اللغة العربية-الرومانسية» -Arabic Romance Bilingualism بين المسيحيين المستعربين Mozarabs (Rorabaugh, ٢٠١٠). يضيف «حبيب سلوم» أن هؤلاء المستعربين أولوا اللغة العربية كل اهتمامهم وأتقنوها إلى حد كبير على حساب لغتهم الأصلية (Salloum, 2016)، بل أن «دوزي» Dozy يزيد بأنهم تذوقوا اللغة العربية وافتتنوا بالأدب العربي حتى أنهم انصرفوا عن الكُتاب اللاتينيين واستخدموا اللغة العربية في كتابتهم و مراسلاتهم بدلاً من اللاتينية ، ويستشهد «دوزي» ببعضٍ من كلمات «ألفارو» Alvaro - كاتب معاصر لهذه الفترة - الذي كتب يتأسف على هذه الحقيقة ويستنكرها بقوله: «إن أصدقائي المسيحيين ابتهجوا كثيراً بالشعر والرومانسية العربية ودرسوا أعمال علماء وفلاسفة الدين الإسلامي، ليس من أجل تفنيدها أو دحضها، بل من أجل اكتساب دقة ورشاقة الأسلوب العربي في الكتابة» (Dozy, 1861, Trans. Stokes, 1913).

شهدت إسبانيا في الفترة ما بين القرن الثامن والقرنين الحادي والثاني عشر الميلاديين انتشاراً ملحوظاً للغة العربية التي سادت وحلت محل اللغة اللاتينية، إضافة إلى الانتشار الواسع للحضارة العربية، بل إن تأثير اللغة العربية وحضارتها ذهب إلى أبعد من ذلك بكثير حين قام «يوحنا» John أسقف إشبيلية Bishop of Seville بترجمة الإنجيل إلى اللغة العربية (Wilson, 2001).

ولمعرفة مدى تأثير الحروف العربية على نطق الكلمات الإسبانية المنقولة من العربية، قام الباحث بمقارنة مخارج الحروف العربية بمثيلاتها الإسبانية (شكل ٤) مستنداً على بعض الكلمات الإسبانية التي تم استعارتها من اللغة العربية والواردة في جدول رقم ٢.





شكل رقم (٤)

الكلمة العربية	الإسبانية	ملاحظات
جبل طارق	Gibraltar	إهمال حرف «القاف» في نهاية الكلمة لصعوبة نطقه
الغرب	Algrbe	صعوبة نطق «الغين» وتعويضها بحرف g المتيسر
المدينة	Almedina	اتفاق اللغتين في نطق الحروف الحلقية السفلية «الهمزة» و«الهاء»
القلعة	Alcala	اختفاء «العين» كحرف حلقي وسطي لصعوبة نطقه
قلعة النسور	Calatañazor	اختفاء «العين» لصعوبة النطق كحرف حلقي وسطي
قلعة أيوب	Calatayub	اختفاء «العين» لصعوبة النطق و»الهمزة» لكونها في وسط الكلمة
الأندلس	Andalusia	صعوبة نطق «الهمزة» في وسط الكلمة
وادي الحجارة	Guadlajara	دمج «الهمزة» و«الحاء» في حرف "J" المنطوق كالخاء في الإسبانية
بقعة	Vega	اختفاء «العين» وتعويضها بحرف "g" في محاولة لمحاكاة العربية

جدول (٢)

بمقارنة شكل (٤) وجدول رقم (٢) يمكن الخروج بالآتي:

١. تتفق كلتا اللغتين في نطق الحروف اللهوية (في بدايات الكلمات فقط)، الشجرية، النطعية، اللثوية، الزلقية، الشفوية، والأسلية.

٢. لا يجد اللسان الإسباني صعوبة في نطق الحروف العربية اللهوية «القاف» و«الكاف» عند وقوعهما في بدايات الكلمات، في حين يجد استحالة عند نطقها في نهايات الكلمات كحروف إيقاف كما يتضح عند نطق «جبل طارق» والتي تنطق بالإسبانية Gibraltar.

٣. تتفق الإسبانية مع العربية في نطق حرف «الخاء» كحرف حلقي علوي، بينما تفتقر إلى نطق حرف «الغين»، ويتضح ذلك عند نطق كلمة «الغرب» في العربية، والتي تنطق Algrbe في الإسبانية.

٤. تتفق الإسبانية مع العربية في نطق الحروف العربية الحلقية السفلية «الهمزة» و«الهاء» في بدايات الكلمات، والتي تماثلها حروف a, i, e, o, u, h في الإسبانية كما يتضح عند نطق كلمة «المدينة» والتي تنطق Almedina في الإسبانية، إضافة إلى «ال» التعريفية في العربية والتي تماثلها أدوات التعريف في الإسبانية el , al.

٥. يواجه اللسان الإسباني صعوبة بالغة عند نطق «الهمزة» كحرف حلقي سفلي في أواسط الكلمات كما يتضح عند نطق كلمة «الأندلس» التي تتميز بوقوع «الهمزة» بين حرفي «اللام» و«النون»، ولذلك تنطق Andalusia في الإسبانية.

٦. تفتقر الإسبانية بشكل واضح إلى نطق الحروف العربية الحلقية الوسطى «العين» و«الحاء» ويتضح ذلك عند تعديل كلمة «القلعة» إلى Alcala ، و«وادي الحجارة» إلى Guadlajara.

رغم أن إسبانيا كانت نقطة الانطلاق الرئيسة التي بدأت منها اللغة العربية رحلتها إلى أوروبا وما تمخض عن ذلك من تأثيرات إيجابية على اللغات الأوروبية الأخرى، كان لجزيرة صقلية هي الأخرى دور فعَّال في إتمام مسيرة اللغة العربية وثقافتها إلى القارة الأوروبية، ذلك الدور الذي تبع غزو العرب لصقلية وما تلاه من ترسيخ اللغة العربية وثقافتها هناك.

لم تكن الفتوحات الإسلامية لإسبانيا وصقلية هي القناة الوحيدة التي عبرت منها اللغة العربية وثقافتها إلى أوروبا، بل كانت هناك أيضاً الحروب الصليبية التي لم تكن لها نتائج عسكرية وتاريخية فحسب، بل كان لها نتائج لغوية وثقافية أيضاً، فالصليبيون لم يأتوا من دولة أوروبية بعينها، بل جاءوا من العديد من دول شمال أوروبا ممن شاركت في الحملات الصليبية التي لم تقاتل في المشرق العربي فقط، فبعض الحملات الصليبية وجهت إلى إسبانيا وصقلية لطرد العرب المسلمين منهما.

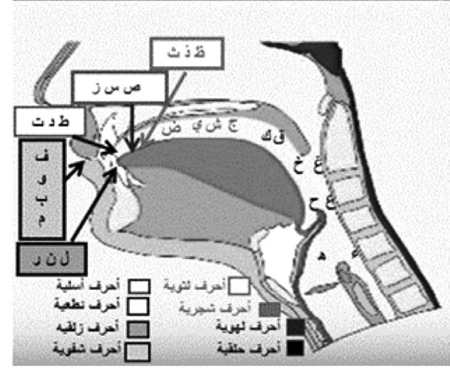
عاد الصليبيون إلى بلادهم بعد انتهاء الحملات الصليبية المتعاقبة على الشرق ومعهم تراث عربي حضاري وفكري زاخر في كافة المجالات العلمية والفكرية أنار ظلمة العصور المظلمة dark ages التي كانت أوروبا تتخبط فيها وقتذاك، مما كان له من تأثيرات إيجابية على إثراء اللغة الإنجليزية واللغات الأوروبية الأخرى من خلال استعارة كلمات ومفردات عربية لم تكن معروفة من قبل في هذه اللغات عن طريق ما يعرف بظاهرة «استعارة المفردات اللغوية» loan words.

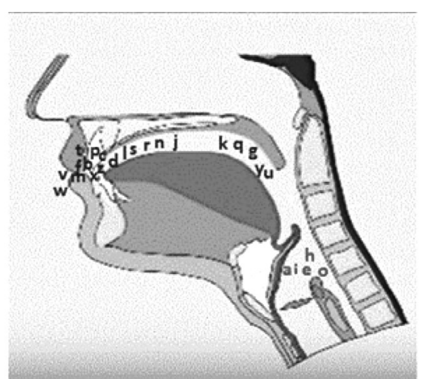
خامساً: تأثير الأبجدية العربية على اللغة الإنجليزية

كانت اللغة الإنجليزية إحدى اللغات الأوروبية التي استعارت العديد من الكلمات والمفردات العربية منذ العصور الوسطى؛ ويمكن للقارئ ملاحظة ذلك من خلال قراءة كتابات «شكسبير»، وإن تصفحنا قواميس اللغة الإنجليزية لوجدنا العديد من الكلمات ذات الأصول العربية هنا وهناك تحت كل حرف من حروف الأبجدية الإنجليزية، ناهيك عن تلك الدراسة التي قام بها بعض العلماء اللغويين ممن شاركوا في وضع «قاموس سكاتس الاشتقاقي» Skeats Etymological Dictionary وأفادوا بأن اللغة العربية تحتل المركز السابع بين اللغات المشاركة في إثراء مفردات اللغة الإنجليزية وهي اليونانية، اللاتينية، الفرنسية، الألمانية، الاسكندنافية، ومجموعة اللغات السلتية Celtic وهي مجموعة من اللغات الهندية الأوروبية (Salloum, ٢٠١٦).

ولمعرفة مدى تأثير الحروف العربية على نطق الكلمات الإنجليزية المأخوذة من العربية، قام الباحث بمقارنة مخارج الحروف العربية بمخارج الحروف الإنجليزية (شكل ٥)، مستنداً على بعض الكلمات الإنجليزية التي تم استعارتها من اللغة العربية

والواردة في جدول رقم ٣، ثم قام بعد ذلك بعمل مقارنة تحليلية بين ما جاء في شكل ٥ وما جاء بجدول رقم ٣.





شكل (٥)

الكلمة العربية	الإنجليزية	استراتيجية المُتحدث بالإنجليزية عند نطق الكلمات العربية
قطن	cotton	استبدال حرف «القاف» اللهوي القوي بـــ «الكاف» الضعيف
قفطان	caftan	استبدال حرف «القاف» اللهوي القوي بـــ «الكاف» الضعيف
قيثارة	guitar	استبدال «القاف» اللهوي بحرف «الجيم» الشجري الأقرب
جَمَلْ	camel	استبدال «الجيم» الشجري بـــ «الكاف» اللهوي المتيسر
عَرَقْ	arrack	استبدال «العين» المُعَجِزّة بالهمزة المتاحة في الانجليزية
برقوق	plum	تحاشي «القاف» المكررة بالتحوير إلى كلمة plum المبدوءة بحرف «الباء» والقريبة في النطق من كلمة palm بمعنى نخلة في الإنجليزية
كُرْكُمْ	turneric	تحاشي «الكاف» المكررة والتحوير إلى كلمة قريبة في النطق
خرشوف	artichoke	استبدال حرف «الخاء» الصعب بالهمزة المتاحة
خروب	carob	استبدال «الخاء» الصعبة بـــ «الكاف» المتاحة

الكلمة العربية	الإنجليزية	استراتيجية المُتحدث بالإنجليزية عند نطق الكلمات العربية
زرنيخ	arsenic	استبدال حرف «الخاء» الصعب كحرف إيقاف بـــ «الكاف» المتاحة
تمر هندي	tamarind	إهمال حرف «الهاء» في وسط الكلمة
مِكرَمة	macrame	إهمال حرف «الهاء» في آخر الكلمة
أمير البحار	admiral	التحايل بإهمال حرفي «الهمزة» و «الحاء» الحلقيين
كيمياء	chemistry	إهمال «الهمزة» الإيقافية آخر الكلمة
مومياء	mummy	إهمال «الهمزة» الإيقافية آخر الكلمة
بُرقُع	baroque	إهمال «العين» الحلقية الوسطى الإيقافية آخر الكلمة
عود	lute	إهمال «العين» الحلقية الوسطى أول الكلمة
عِطْر	attar	إهمال «العين» الحلقية الوسطى أول الكلمة
زعفران	saffron	إهمال «العين» الحلقية الوسطى وسط الكلمة
سحلب	salep	إهمال «الحاء» الحلقية الوسطى وسط الكلمة
حشيش	hashish	استبدال «الحاء» الحلقية الوسطى بـــ «الهاء» المتاحة في الإنجليزية
الكحول	alcohol	استبدال «الحاء» الحلقية الوسطى بـــ «الهاء» المتاحة في الإنجليزية

خرج الباحث من هذه المقارنة التحليلية بالآتي:

١. تتفق كلتا اللغتين في نطق معظم الحروف اللهوية (في بدايات الكلمات فقط)، الشجرية، النطعية، اللثوية، الزلقية، الشفوية، والأسلية.

٢. يشكل حرف «القاف» صعوبة في النطق عند وقوعه في بداية الكلمات لدى

متحدث الإنجليزية الذي لا يجد مفراً سوى استبدال حرف «القاف» القوي بحرف «الكاف» الضعيف كما في كلمات «قطن» cotton و»قفطان» caftan، أو استبدال «القاف» اللهوي بأقرب حرف شجري قريب في النطق من «القاف» وهو حرف «الجيم» كما تم في تحوير كلمتي «قيثارة» و «جَمَلْ» إلى كلمتي guitar و camel في الإنجليزية.

٣. وقوع حرف «القاف» في أواخر الكلمات يربك متحدث الإنجليزية الذي يتحايل على ذلك باستبدال «القاف» بحرف لهوي آخر أخف وطأة في النطق وهو «الكاف» كما في كلمة «عَرَقْ» التي صارت في الإنجليزية arrack ناهيك عن التهرب الواضح من نطق حرف «العين» والذي سيقوم الباحث بتوضيحه لاحقاً.

٤. يواجه متحدث الإنجليزية صعوبة بالغة عند توالي حرفي «القاف» و «الكاف» اللهويان كما في كلمتي «برقوق» و «كُرْكُمْ»، ومن ثم يضطر إلى تحوير هذه الكلمات إلى كلمات مشابهة بحروف أخف وطأة على مخارج حروفه، فقام بتحوير كلمة «برقوق» إلى plum وكلمة «كُرْكُمْ» إلى turneric.

٥. نطق حرفي «الخاء» و»الغين» كحرفين حلقيين علويين، أيضاً يربك متحدث الإنجليزية الذي يعجز عن إخراجهما من منطقة الحلق العلوية، ومن ثم يضطر إلى تحويرهما بما يتفق مع قدراته، فقام بتحوير كلمات «خرشوف» و «خروب» و «زرنيخ» إلى artichoke و carob و arsenic على التوالي، كما قام أيضاً باقتراض حرف «الجيم» الشجري ليحور كلمة «غول» إلى ghoul وكلمة «غزال» إلى gazelle.

٦. في حين لا يشكل حرف «الهاء» الحلقي السفلي صعوبة تذكر لمتحدث الإنجليزية عند وقوعه في بداية الكلمات، يشكل هذا الحرف صعوبة ملحوظة عند وقوعه في أواسط أو أواخر الكلمات. يتضح ذلك في نطق كلمتي «تمر هندي» و «مِكْرَمة» اللتين قام متحدث الإنجليزية بتعديلهما إلى tamarind و macrame.

٧. لا يواجه متحدث الإنجليزية أي صعوبة في نطق حرف «الهمزة» الحلقي السفلي في بداية الكلمات، ولكنه يعجز عن نطقه في أواسط الكلمات وأواخرها كما يتضح عند نطق كلمات «أمير البحار»، «كيمياء»، و «مومياء». وهنا اضطر متحدثو اللغة الإنجليزية إلى التهرب الكلي من هذ المشكلة فقاموا بتحويل الرتبة العسكرية التي عرفت في العصور

الوسطى من «أمير البحار» إلى admiral، كما قاموا بالتعديل الجزئي لكلمتي «كيمياء» و «مومياء» لتصبحا chemistry و mummy في الإنجليزية.

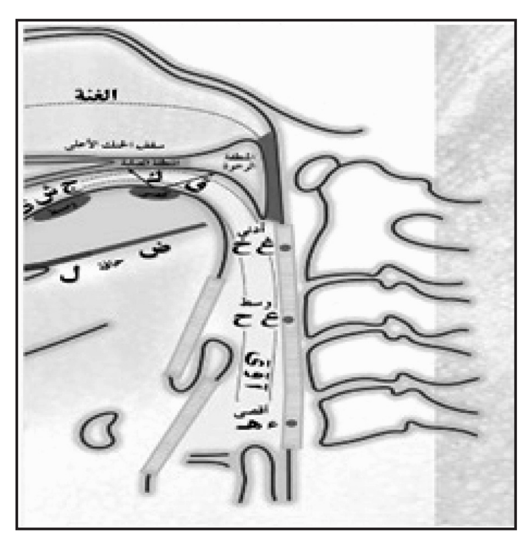
٨. من أبرز مشاكل نطق الحروف العربية التي تواجه متحدثي الإنجليزية نطق الحروف الحلقية الوسطى «العين» و«الحاء». بعض من الكلمات التي عجز أولئك عن نطقها وتحتوي على حرف العين كلمات «بُرْقُعْ»، «العود»، «عِطْر»، و «زعفران» فاضطروا إلى التغاضي عن حرف العين كليةً في هذه الكلمات وقاموا بتحويرها على التوالي إلى baroque و lute و attar و saffron. أما الكلمات التي تضمنت حرف «الحاء» مثل «سحلب، «حشيش»، و «الكحول» فلم يجدوا أمامهم إلا تجاهل حرف «الحاء» عند تحوير «سحلب» إلى salep، أو إبدال حرف «الحاء» بـ «الهاء» عند تحوير كلمة «حشيش» إلى hashish و «الكحول» إلى alcohol، فبالنسبة لأولئك إخراج حرف «الهاء» من منطقة الحلق السفلى يكون أيسر بكثير من إخراج حرف «الحاء» من منطقة الحلق الوسطى.

يرى الباحث أن هذه المقارنة التحليلية يمكن أخذها بعين الاعتبار عند تحديد أسباب التحديات التي تواجه الناطقين بالإنجليزية عند تعلمهم اللغة العربية لغة ثانية، مما ييسر للمهتمين بتعليم العربية للناطقين بالإنجليزية وضع الاستراتيجيات المناسبة لتذليل التحديات التي تواجه هؤلاء الدارسين الذين زاد عددهم بدرجة ملحوظة في السنوات الأخيرة.

سادساً: استراتيجيات تدريس اللغة العربية للناطقين بالإنجليزية

ترى الدكتورة اليزابيث بيرجمان – أستاذة اللغة العربية بجامعة ميامي بولاية أوهايو – أن دارسي العربية من الناطقين بالإنجليزية يعانون كثيراً عند إخراج الأصوات الحلقية guttural sounds (شكل ٦)، وذلك لاحتواء الأبجدية العربية على حرفين بلعوميين احتكاكيين pharyngeal fricatives وتعني بهما «العين» و «الحاء» وإن كانت «العين» أقل احتكاكاً بالبلعوم من «الحاء»، كما تشير أيضاً إلى صعوبة إخراج حرف «القاف» اللهوي عديم الصوت كحرف إيقاف عند وقوعه في آخر الكلمة voiceless uvular stop كما في كلمات مثل: «مغلق»، «مطبق»، «مفترق» وتضيف بأن تعليم إخراج هذه

الحروف للناطقين بالإنجليزية من الدارسين الأمريكيين يتطلب مجهوداً ووقتاً ليس بالقليل (Bergman, 2009, p. 5).



شكل (٦)

أشار الباحث في دراسة سابقة (Abdrabo, 2016) إلى أن اكتساب الأطفال لمهارة التحدث بلغتهم الأولى إنما يرجع إلى مرونة عضلات التكلم لديهم speech muscles في سنوات طفولتهم المبكرة، تلك المرونة التي تتيح لهم اكتساب مهارة التحدث بأكثر من لغة واحدة وبيسر، بل ويمكنهم وهم في هذه المرحلة العمرية من محاكاة النطق الصحيح لأصحاب اللغة.

هذا، ويعزي الباحث معاناة الدارسين البالغين للغة العربية من غير الناطقين بها في اكتساب مهارة النطق السليم لبعض الكلمات والحروف العربية إلى قلة مرونة وأداء عضلات التكلم لديهم بدءاً من السنوات الأخيرة من مرحلة طفولتهم المبكرة، مروراً بمرحلة المراهقة والتي تعد بمثابة بداية الخط التنازلي لظاهرة اضمحلال مرونة عضلات التكلم، ثم تستفحل هذه الظاهرة بمنحنى تدريجي يتزايد كلما تقدم الدارسون في العمر (Abdrabo, ٢٠١٦, p. ٤) ، فإن كان هذا هو الحال بالنسبة لمهارة التكلم بالعربية بشكل عام، فلنا أن نتخيل مدى المعاناة التي يواجهها هؤلاء الدارسون في نطق الحروف الحلقية الوسطى «العين» و»الحاء»، تلك الحروف التي لم يسبق لهم سماعها،

وبالتالي إخراجها أو التفوه بها خلال تفاعلهم مع المحيطين بهم في مجتمعات لا تستخدم لغة الضاد.

يرى الباحث أن مدرسي العربية للناطقين بالإنجليزية يمكن أن يكون لهم دور إيجابي في تخفيف حدة معاناة أولئك الدارسين عند تعلمهم لغة الضاد، وذلك باتباع استراتيجيات تم استخلاصها من عدد من الدراسات المتخصصة، بالإضافة إلى الخبرة الميدانية الطويلة للباحث في هذا المجال. ويشير الباحث هنا إلى أربع استراتيجيات يمكن تطبيقها في صفوف تدريس اللغة العربية لغة ثانية:

١ . تقوية جهاز النطق للدارسين

يمكن تقوية جهاز النطق للدارسين (اللسان، الفك السفلي، الجهاز التنفسي، الشفتين، و سقف الحلق الرخو واللهاة والحلق) والتدريب على نطق أصوات الحروف باتباع التمارين الآتية:

أ. تمارين لتقوية عضلات اللسان

- تحريك اللسان بطريقة دائرية داخل الفم
- رفع وخفض اللسان لأقصى ما يستطيع الدارس الوصول إليه من سقف الحلق الرخو.
- لف اللسان بحركة دائرية حول الفم بأقصى ما يستطيع الدارس.
- حركة الثعبان وتتمثل في مد اللسان لخارج الفم وإرجاعه بسرعة.
- مد اللسان خارج الفم بسرعة وإعادته ببطء والعكس.
- دفع الصدغ بطرف اللسان من داخل الفم بقوة والضغط عليه باليد من الخارج.
- النطق المنغم والمكرر لصوت لا لا لا لا لا.

ب. تمارين لتقوية الفك السفلي

- تحريك الفك يميناً ويساراً.
- تحريك الفك السفلي لأسفل.

ج. تمارين لتقوية الجهاز التنفسي

• تدريب الدارس على أخذ نفس سريع وإخراجه ببطء والعكس وأخذ نفس سريع وإخراجه بسرعة والعكس وتدريبه على حبس أنفاسه فترة من الزمن.

د. تمارين لتقوية الشفتين

• ضم الشفتين ومطهما للإمام.

• تحريك الشفتين تجاه الجانب الأيسر والأيمن وأسفل وأعلى وفتح الشفتين وغلقهما بطريقة تكرارية.

• نطق الأصوات المهموسة والمجهورة بالتبادل ببطء.

هـ. تمارين لتقوية سقف الحلق الرخو واللهاة والحلق

• نطق الأصوات الحلقية بطريقة مستمرة وبالتبادل وبالبيئة وبالحركات الطويلة (خا – خي – خو) (غا – غي– غو) (عا – عي –عو) (حا – حي – حو).

و. التدريب على نطق أصوات الحروف

• تدريبات لإخراج الحرف منفردا.

• تدريبات لنطق الحرف في بداية الكلمة، وفي وسطها، وفي آخرها.

• تدريبات لنطق الحرف مكررا في كلمة مثل: «حرحر»، «عرعر»، «هرهر»، «قرقر»، «كركر»...الخ.

• تدريبات لنطق الصوت في جملة، ويبدأ الدارس بجمل قصيرة ثم تزداد في الطول تدريجياً.

٢. التمييز بين المنطوق الصوتي المتقارب

من الأهمية بمكان تهيئة دارسي اللغة العربية من الناطقين بالإنجليزية في المرحلة الأولى من تعلمهم هذه اللغة لتقبل واقع تغير المنطوق الصوتي لبعض الحروف العربية المتقاربة في أصواتها عن نظائرها في اللغة الإنجليزية، ذلك أن المتحدث بالإنجليزية – شأنه في ذلك شأن باقي المتحدثين باللغات الأوروبية المشتقة من اللاتينية – يواجه بعض التحديات عند تعامله مع بعض الحروف العربية ذات المنطوق الصوتي الواحد بدرجات متقاربة، أو تلك ذات المنطوق الصوتي المتقارب.

هذه التحديات نابعة من أن بعض الحروف العربية لها منطوق صوتي متقارب مما تشكل تحدياً لا يستهان به لدارسي العربية من الناطقين بالإنجليزية مثل: «السين» و«الصاد»، «الدال» و«الضاد»، «الكاف» و«القاف»، «الهاء» و«الحاء»، «التاء» و«الطاء»، «الزاي» و«الظاء»، أو تلك ذات المنطوق الصوتي المتقارب مثل «الغين» و«الجيم» (عند نطقها بلسان مصري) و«القاف».

إن صعوبة التمييز بين هذه الحروف لا ينعكس سلباً على إتقان دارسي العربية لمهارات الكتابة والقراءة والاستماع والكلام فحسب، بل يؤدي إلى ما هو أسوأ من ذلك بكثير ألا وهو تلقي هؤلاء الدارسين لفكرة الجملة أو الفقرة بمفهوم خاطئ أو مختلف عن حقيقتها، وما قد يتبع ذلك من تفاعلهم غير المتوقع أو استجاباتهم غير الملائمة.

يورد الباحث في جدول رقم ٤ بعض النماذج من كلمات عربية متفقة في نطق حروفها باستثناء حرف متقارب بينها وبعض مشتقات لها. ولنا أن نتخيل مدى حيرة وارتباك وحرج دارس العربية عند تلقيه هذه الكلمات في سياق جملة مما قد يؤدي إلى صعوبة أو ازدواجية فهمه لها، أو عند نطقه لها خلال تواصله مع الناطقين بالعربية بنطق مغاير لنطقها الصحيح، وما قد يتبع ذلك من ردود أفعال قد تكون غير مستحبة في نفس الدارس الجديد من قبل محدثيه من أبناء العربية.

الحروف المتقاربة	كلمات ومشتقات
س / ص	سيْف –صيْف / سار –صار / يَسبَحُ – يُصبِحُ / تسليح –تصليح
د / ض	دِرْع – ضَرْع/ حاربوا بالسيوف والدروع – لا نتضرع إلا لله عز وجل رَدَعَ – رَضَعَ / يجب ردع الخارجين عن القانون – هل رضع المولود؟
ك / ق	احتكر – احتقر/ هو يحتكر الأسواق – هو يحتقر من يحتكر الأسواق تملك – تملق / تملكهم بكلماته الحلوة – تملقهم بكلماته الحلوة
هـ / ح	أهوال – أحوال / وقد عانى الأهوال في كافة الأحوال
ت / ط	أتاح – أطاح / أطاحوا بهم لأنهم أتاحوا لهم الفرصة لذلك

الحروف المتقاربة	كلمات ومشتقات
ز / ظ	زهور – ظهور / هي تحب الزهور – هي تحب الظهور
غ / ج / ق	تَقَّولَ الناس عليه بأنه تَجَّولَ وتَغَّولَ على كل من قابله

جدول (٤)

ومن هنا يلفت الباحث الأنظار إلى ضرورة تقديم جدول رقم (١) المختص بتصنيف الحروف العربية بحسب قوتها وضعفها للدارسين خلال المرحلة الأولى من تعلمهم اللغة العربية لتهيئتهم للتعامل مع المنطوق الصوتي المتقارب لبعض الحروف العربية خلال المراحل التالية من دراستهم للعربية.

٣. توظيف حروف الجر وتوضيح معنى الأفعال «اللازمة» و«المتعدية»

تتميز بعض أفعال اللغة العربية بوجوب اتباعها بحروف جر حتى تتضح معانيها، كما تتميز أيضاً باختلاف معانيها بحسب استخدامها كفعل لازم أو متعد. ويمكن لمعلمي العربية لغة ثانية الاستفادة من هاتين الخاصيتين لتيسير فهم الدارسين للمعنى الصحيح للجملة، فعلى سبيل المثال أفعال مثل:

(١) «سار» و«صار»:

نظراً لتشابه هذين الفعلين في المنطوق الصوتي، يمكن تقديم فعل «سار» للدارس على أنه فعل حركي لا يتضح معناه إلا بإتباعه بحرف جر مثل «إلى» أو «مِنْ» أو «مع» أو «في»، فنحن كناطقين بالعربية نقول: سار إلى عمله / سار من بيته إلى السوق / سار مع صديقه / ساروا في طريقهم ...الخ. ولكن عند تقديم فعل «صار»، يجب لفت نظر الدارس إلى أن هذا الفعل يتبع بـــ «فعل» أو «اسم» أو «صفه»، فنحن نقول: صار يفهم الآن، صار مديراً للشركة، أو صار شجاعاً.

(٢) «أتاح» و«أطاح»:

هذان الفعلان أيضاً متشابهان في المنطوق الصوتي، لذا فمن الضروري لفت نظر الدارس إلى أن فعل «أتاح» يتبع بالحرف «لـــ» فنحن نقول: «أتاحت له هذه الدراسة

فرصة ذهبية للمعرفة»، في حين أن فعل «أطاح» يتبع بالحرف «بـــ» كقولنا: «تكاثروا عليه وأطاحوا به من منصبه». يرى الباحث أنه يمكن إيصال هذا المفهوم اللغوي لدارسي العربية من الناطقين بالإنجليزية -ولا سيما خلال المرحلة الأولى من دراستهم للغة -من خلال الجدول التوضيحي رقم ٥.

سار ---- prepositon إلى / من/ مع / في
صار ---- adjective / noun / verb

جدول (٥)

(٣) «قضى»:

هذا الفعل متعدد المعاني في اللغة العربية عند اتباعه بحروف جر prepositions مختلفة، أو عند وقوعه فعلاً لازماً intransitive أو متعدياً transitive، ويرى الباحث ضرورة تقديمه للناطقين بالإنجليزية من خلال الجدول الآتي:

الجملة	خصائص فعل «قضى»	معناه
قضى المدير في حادث أليم.	intransitive فعل لازم	To die \ pass away
قضى المدير وقتاً ممتعاً معنا.	transitive فعل متعدي	To spend time
قضى المدير بأحقيتي في الترقية.	followed by بـــ preposition	To judge, decide
قضى المدير على خصومه.	followed by على preposition	To eliminate, overcome, defeat

(٤) «حَضَرَ:

هذا الفعل يختلف معناه طبقاً لكونه «لازماً» أو «متعديا» مما يشكل تحدياً للناطقين بالإنجليزية، ولذا يمكن تقديمه لهم من خلال الجدول الآتي:

الجملة	خصائص فعل «حضر»	معناه
حضرت مبكراً اليوم.	intransitive فعل لازم	To come
حضرت اجتماعاً هاماً أمس.	transitive فعل متعدٍ	To attend

(٥) «صمم»:

يختلف هذا الفعل في معناه عند وقوعه «متعديا» أو عند اتباعه بحرف الجر «أن» متبوعاً بفعل مضارع أو «على» متبوعاً باسم أو بمصدر verbal noun، ويمكن توضيح ذلك للدارسين من خلال الجدول الآتي:

الجملة	خصائص فعل «صمم»	معناه
صمم المهندس بيتاً جميلاً.	transitive	To design
صمم المهندس أن يبدأ اليوم.	followed by أن + present	To insist
صمم المهندس على قراره / اتخاذ قراره بمفرده.	followed by على noun or verbal noun	To insist on

ما يورده الباحث هنا ما هو إلا لمحات سريعة مختصرة الغرض منها طرح بعض الأفكار للمهتمين بتعليم العربية للناطقين بغيرها، وليس بهدف طرح كل ما ورد بلغتنا العربية في هذا الشأن، ولهم أن يضيفوا ما يرونه ملائماً لهم ولطلابهم مما من شأنه العمل على تيسير عملية تعلُّم العربية بشكل أكاديمي وموضوعي ميسر.

هذا التوجه يطرحه الباحث بعد سنوات من خبرة تدريس العربية للناطقين بالإنجليزية ممن يتسمون بالولع الشديد في تحليل كل ما يرونه أو يتعاملون معه تحليلاً منطقياً تقبله عقولهم التي اعتادت التعامل مع كافة الأمور بشكل مادي ملموس.

٤. الاستفادة من خصائص اللغة العربية

يذكر ابن خلدون أن اللغة العربية تعد بحق لغة فريدة من نوعها تتميز بخصائص لغوية لا تتاح لغيرها من اللغات الأخرى ألا وهي خاصية تحديد الـ «ما» والـ «كيف» اللتين يمكن اشتقاقهما من الحدث نفسه، أو بمعنى أدق اشتقاق الاسم والصفة والحال من الفعل، ذلك أن الفعل في اللغة العربية يكون أكثر شمولاً عن مثيله في اللغة الانجليزية (Salloum, ٢٠١٦). فعلى سبيل المثال، نقول في اللغة الإنجليزية:

Sawasn received her son who approached her carrying a mother's" ."day gift. She accepted the gift, and kissed him expressing her happiness

عند ترجمة هذه الجملة إلى العربية تصبح:

«استقبلت سوسن ابنها الذي أقبل عليها حاملاً هدية عيد الأم. قبَلَتْ سوسن الهدية وقَبَّلته معبرةً عن سعادتها».

وهنا يتضح البون الشاسع في التركيب اللغوي لأفعال كلٍ من الانجليزية والعربية كما يتضح في الجدول التالي رقم ٦.

الأفعال العربية	الأفعال الإنجليزية
استقبل	received
أقبَل	approached
قَبَلَتْ	accepted
قَبَّلتْ	kissed

جدول (٦)

بعد مقارنة الأفعال العربية بمقابلاتها الإنجليزية نجد أن الأفعال الإنجليزية اختلفت تماماً عن بعضها البعض في جذورها، بينما نجد أن الأفعال العربية وإن اختلفت في معانيها فإنها اشتقت من نفس المصدر وهو الفعل الثلاثي «قَبَلَ» الذي تم تصريفه في أربعة أوزان: فعل «استقبل» مصرف في الوزن العاشر وهو «استفعل»، الفعل «أقبل»

مصرف في الوزن الرابع وهو «أفعَلَ»، الفعل «قَبَلَ» مصرف في الوزن الأول وهو «فَعَلَ»، وأخيراً الفعل «قَبَّلَ» مصرف في الوزن الثاني وهو «فَعَّلَ».

وهنا يود الباحث أن يلفت إلى مدى ضرورة وأهمية معرفة دارسي اللغة العربية من الناطقين بالإنجليزية بمفهوم وتركيب واستخدام الأوزان العشرة الأكثر شيوعاً واستخداماً للأفعال العربية الواردة في جدول رقم٧.

الوزن	الفعل	المفهوم والاستخدام
الأول	فَعَلَ	يعبر عن المفهوم العام للفعل
الثاني	فَعَّلَ	يشير إلى الفاعل أو الحدث المسبب للفعل
الثالث	فاعَلَ	يشير إلى الفاعل المرتبط بالوزن الأول
الرابع	أفعَلَ	يماثل الوزن الثاني في إشارته للفاعل أو الحدث المسبب للفعل
الخامس	تفَعَّلَ	صورة انعكاسية للوزن الثاني ويستخدم في بعض حالات المبني للمجهول
السادس	تفاعَلَ	صورة انعكاسية للوزن الثالث ويشير إلى فاعلين مشتركين في حدث واحد
السابع	انفعل	صورة انعكاسية للوزن الأول ويعبر عن المبني للمجهول
الثامن	افتَعَلَ	صورة انعكاسية مشددة للوزن الأول
التاسع	افْعَّلَ	يعبر عن اكتساب الألوان أو اختلال الشكل أو الأداء الطبيعي للإنسان أو الجماد
العاشر	استفْعَلَ	صيغة مطالبة بتحقيق الوزن الأول

جدول (٧)

يرى الباحث أن دارسي العربية من الناطقين بالإنجليزية تنتابهم حالة من الحيرة والارتباك عند تعاملهم مع الأفعال العربية حال وقوعها في أوزان مختلفة، ذلك أنهم اعتادوا التعامل مع الأفعال الانجليزية المحدودة التصريف في أزمنة محددة والتي لا يتغير معناها بتغير الزمن المصرفة فيه، بعكس الفعل في العربية المتغير في معناه وفق

الوزن المصرف فيه، ولعل خير دليل على ذلك ما جاء في جدول رقم ٦ المحتوي على فعل «قبل» الواقع في أربعة أوزان مختلفة ولكل منها معنى مغاير تماماً للآخر.

ولتيسير مفهوم وكيفية استخدام الأوزان العشرة الأكثر شيوعاً واستخداماً في اللغة العربية، قام الباحث بوضع استراتيجية «تقديم الأوزان من خلال القصة القصيرة». قام الباحث بتطبيق هذه الاستراتيجية بتأليف «قصة الأوزان العشرة» التي قام فيها باختيار فعل «قَسَمَ» نظراً لقابليته للتصريف في الأوزان العشرة جميعها باستثناء الوزن التاسع المختص باكتساب الألوان أو اختلال الشكل أو الأداء الطبيعي للإنسان أو الجماد.

قصة الأوزان العشرة

«أحمد» يملك بيتاً ومزرعةً كبيرة ولديه أموالاً كثيرة وعنده ولدان: «حسن» الكبير القوي و«محمود» الصغير الضعيف. قبل أن يموت أحمد كتب وصيته واستقسم أبناءه ألا يفتحا الوصية قبل موته، وبعد شهرين مات أحمد. ظن حسن أن أباه قد خصص لأخيه قِسماً أكبر من قسمه. اِحْمَّرَ وجه حسن غضباً وأقسم أن يضرب أخاه. خاف محمود واصْفَّرَ وجهه واحْوَّلت عيناه من الخوف. بعد فتح الوصية، عرف الولدان أن اباهما قد قَسَمَ أمواله وممتلكاته بينهما بالعدل. انْقَسَمَ الإرث بين الأخين، قاسَمَ محمود حسن العمل في المزرعة، كما تقاسَمَ حسن معه الإقامة في البيت. وهكذا، تقسمت الأرباح بين الشقيقين بعد أن اقتسما كل شيء فعاشا سعيدين (Abdrabo, 2017B).

أثناء تطبيق استراتيجية «تقديم الأوزان من خلال القصة القصيرة»، يمكن لمعلم اللغة العربية تزويد طلابه بجدول أصم مع تكليفهم بالبحث عن معاني الأفعال الموجودة في القصة القصيرة التي قدمها لهم، ليقوم طلابه بالبحث عن المعاني الملائمة لهذه الأفعال بعد تحديد وزن كل منها، ثم تسجيل معنى كل فعل في الخانة المخصصة له، ولتيسير هذا العمل، قام الباحث بتصميم جدول ٨ كنموذج تطبيقي يمكن الاهتداء به أو محاكاته.

الوزن		الفعل	الفعل كما استخرجه الدارس الناطق بالإنجليزية
بالعربية	بالإنجليزية		
الأول	I	قَسَمَ	To divide, part, split
الثاني	II	قَسَّمَ	To subdivide, partition, break up into sections
الثالث	III	قاسم	To share with someone
الرابع	IV	أقسم	To take an oath, swear
الخامس	V	تقَسَّمَ	To be divided, parted, distributed
السادس	VI	تقاسم	To divide or distribute among themselves
السابع	VII	انقسم	To be divided, separated
الثامن	VIII	اقتسم	To divide or distribute among themselves
التاسع	IX	احمَّرَ	To turn red, to redden
		اصفَّرَ	To turn yellow, to become pale
		احوَّلَ	To be cross-eyed, to squint
العاشر	X	استقسم	To seek an oracle from the deity

جدول (٨)

٤ . استخدام قواميس عربية متخصصة لتعليم اللغة العربية للناطقين بالإنجليزية

تختلف عملية تدريس اللغة العربية للناطقين بها اختلافاً جذرياً عن تدريسها لغير الناطقين بها، فالناطقون بالعربية يواجهون تحديات محدودة في دراستهم للغتهم الأم التي اكتسبوها بشكل فطري منذ نعومة أظافرهم ومارسوها بشكل طبيعي إما لتلبية احتياجاتهم

الحياتية اليومية، للتواصل مع الآخرين الذين يتحدثون نفس اللغة، أو خلال مراحلهم التعليمية المختلفة لاكتساب معلومات ومعارف جديدة دُرِستْ لهم باللغة العربية.

أما دارسو العربية من غير الناطقين بها، فيواجهون تحديات جمة: فبالإضافة إلى مشكلتهم الرئيسة في نطق بعض الكلمات العربية، فهم يواجهون تحديات أخرى تتمثل في التركيب اللغوي للكلمة أو الجملة العربية التي تختلف كثيراً عما ألفوه في لغتهم الأم، ناهيك عن المعاني المختلفة للكلمة الواحدة أو التعبير عن المفهوم الواحد بكلمات مختلفة.

لعل أكبر التحديات التي تواجه دارسي العربية من الناطقين بالإنجليزية تتمثل في الكلمات العربية المركبة والتي تعبر عن حدث عناصره الفاعل والفعل والمفعول مدمجين في كلمة واحدة، والتي يمكن أن تعد من وجهة نظر الدارس «جملة كاملة المعنى». فحين نقول في العربية «أقابلهم» تشكل هذه معضلة للدارس الذي لم يألف دمج أو تداخل الضمائر الشخصية للفاعل والمفعول مع الفعل في الإنجليزية ككلمة أو تركيبة واحدة.

عندما يتعامل الناطق بالإنجليزية مع هذا النوع من الكلمات في القراءة يكون الأمر أيسر بكثير عن تعامله معها في الاستماع، ففي القراءة يمكن تجزئة الكلمة للدارس وشرح المفهوم القواعدي للكلمة له بأن «الألف» تشير إلى المتكلم، و»قابل» هو فعل الجملة، وأن «هم» هو ضمير عائد إلى المفعول، وبالتالي يمكن للدارس استيعاب أن كلمة «أقابلهم» إنما هي I meet them بالإنجليزية. أما عند الاستماع، فيشكل هذا النوع من الكلمات -وما أكثرها في لغتنا العربية - نوعاً من الإحباط للدارس لعجزه عن تجزئة عناصر الكلمة إلى فاعل وفعل ومفعول لتداخلها معاً التزاماً بقواعد اللغة العربية من ناحية، ولسماعه لها بسرعة خاطفة ephemeral من ناحية أخرى كما يراها هو. ويشير «هنريكسون» إلى ظاهرة تغير المنطوق الصوتي للكلمة نتيجة إضافة ملحقات زائدة التزاماً بتطبيق قواعد اللغة بالمصطلح sandhi ويعني التعديل الصوتي للكلمة الناشئ عن إضافة عناصر قواعدية لها (Henrichsen, 1984, In Abdrabo, 2017A).

وهنا تبرز الحاجة الملحة إلى تقليص الفجوة بين مفاهيم هؤلاء الدارسين وبين مفهوم اللغة العربية الغنية والتي تعد من أصعب اللغات قاطبة، فكان لابد من الاستعانة بقواميس متخصصة تخاطب أولئك الدارسين بمفهوم يتفق مع مفهومهم اللغوي الذي اكتسبوا به لغتهم الأم. فالناطق باللغة الإنجليزية بطبيعته الفطرية يفتقر

إلى الخيال العربي القادر على استيعاب كلمات مثل: «جامِعْ»، «جوامع، «جامَعَ»، «جِماعْ، «جامعة»، «جامعات»، «جمعية»، «جمعيات»، «مجموع»، «مجاميع»، «يوم الجمعة»، اسم «جُمعة»، «اجتماع»، و «اجتماعات» .... الخ، والتي اشتقت كلها من فعل واحد هو «جَمَعَ». فأين هؤلاء من كل هذه المفاهيم اللغوية المتعددة النابعة من الخيال العربي الثري؟

تعتمد قواميس اللغة العربية المتخصصة للناطقين باللغة الإنجليزية على توضيح مفهوم الأوزان العشرة الأكثر شيوعاً واستخداماً في اللغة العربية (جدول رقم ٧) وفقاً لمفهوم ورؤية أولئك الدارسين كما يتضح من جدول رقم ٨ والمأخوذ به في واحد من أشهر قواميس اللغة العربية للناطقين بالإنجليزية (Wehr, 1979).

الجدول التالي يوضح كيفية نقل مفهوم عمل الأوزان العشرة للناطقين بالإنجليزية بما يتفق ورؤيتهم هم، ذلك أنه من الضروري جداً التعامل مع فكر هؤلاء الدارسين وفقاً لما يرونه هم، وليس وفق ما نراه نحن كناطقين بالعربية منذ طفولتنا.

الوزن	الفعل	المفهوم والاستخدام للناطق باللغة الإنجليزية
الأول	فَعَلَ	Expresses the general verbal meaning of the root in question
الثاني	فَعَّلَ	Often is a causative version of the form 1 verb
الثالث	فاعَلَ	Usually gives an associative meaning of the form 1 verb, describes someone doing the act to or with someone else
الرابع	أفعَلَ	Similar to form 2 in that it is usually a causative version of the form 1 verb
الخامس	تفَعَّلَ	Often a reflexive version of the form 2 verb. .Sometimes an intensive version of a form 1 verb

الوزن	الفعل	المفهوم والاستخدام للناطق باللغة الإنجليزية
السادس	تفاعَلَ	Usually a reflexive version of the form 3 verb
السابع	انْفَعَلَ	Usually a reflexive and/or passive version of the form 1 verb
الثامن	افْتَعَلَ	Often a reflexive version of the form 1 verb
التاسع	افْعَّلَ	Relates to colors and\or defectives
العاشر	استفْعَلَ	Often a considerative version of the form 1 verb; means to consider or to deem someone to have the quality of the form 1 verb in question

حالات خاصة عند تصريف الفعل في الوزن الثامن

القاعدة العامة عند تصريف الفعل العربي في الوزن الثامن هي استباق «فاء الفعل» بألف مكسورة، وإدخال «تاءً» مفتوحة بين «فاء» الفعل و «عينه» بحيث يكون الفعل المصرف على وزن «اِفتَعَلَ» كما هو الحال عند تصريف فعل «نَصَرَ»، «قَسَمَ»، «حَمَلَ» ليصبحوا على التوالي «اِنتَصَرَ»، «اِقتَسَمَ»، «اِحتَمَلَ» وهكذا. ويمكن تطبيق هذه القاعدة على كل الأفعال العربية القابلة للتصريف في الوزن الثامن باستثناء الحالتين الآتيتين:

١ . وقوع «الصاد» أو «الضاد» أو «الطاء» فاءً للفعل

أ . إذا وقع حرف «الصاد» فاءً للفعل كما في أفعال «صَنَعَ»، «صَلَحَ»، «صَبَرَ» يتم إبدال «التاء» الضعيفة بـــ «الطاء» الأقوى وبذا تصبح الأفعال «اصطنع»، «اصطلح»، «اصطبر» على التوالي.

ب. إذا وقع حرف «الضاد» فاءً للفعل كما في أفعال «ضَر»، «ضَرَبَ»، ضَلَعَ» يتم إبدال «التاء» الضعيفة بـــ «الطاء» الأقوى وبذا تصبح الأفعال «اضطر»، «اضطرب»، «اضطلع» على التوالي.

ج. إذا وقع حرف «الطاء» فاءً للفعل كما في فعل «طلع»، يتم استبعاد «التاء» الضعيفة التي تستبدل بـ «الطاء» الأقوى التي تدمغ مع «فاء» الفعل ليصبح «اطّلَعَ».

٢. وقوع حرف «الزاي» فاءً للفعل

إذا وقع حرف «الزاي» فاءً للفعل كما في أفعال «زَهَرَ»، زَلَفَ»، «زَجَرَ»، يتم إبدال «التاء» الضعيفة بـ «الزاي» القوية وبذا تصبح الأفعال «اِزدهر»، ازدلف»، «ازدجر» على التوالي.

الخاتمة والتوصيات

• تهدف هذه الدراسة إلى المشاركة في إلقاء الضوء على عالمية الأبجدية العربية، تلك اللبنة الأولى التي بنيت عليها اللغة العربية العريقة، وما كان لهذه اللغة من دور تاريخي خلال عصورها الذهبية في نقل الثقافة والعلوم العربية إلى أرجاء واسعة من المعمورة.

• يأمل الباحث أن تكون هذه الدراسة المتواضعة بمثابة الناقوس الذي لا يفتأ أن يدق بين الفينة والفينة ليذكِّر من نسوا أو تناسوا الأمجاد العربية التي لم تَضنْ أيام قوتها ومجدها عن نقل الفكر والعلوم العربية الراقية في كافة المجالات إلى لغات أمم أخرى كانت لا تزال وقتها تتخبط في ظلام جاهليتها وضيق أفقها، فالتواصل بين الشعوب والأمم والحضارات لا يتأتى إلا بالحوار اللغوي الذي لا يمكن لسواه أن يحقق التبادل العلمي والثقافي والفكري.

• يطيب للباحث أن يدعو أقرانه من معلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها إلى مشاركته فيما توصل إليه من طرق وأساليب حديثة لتعليم العربية كلغة ثانية: استراتيجيات وتكتيكات استقاها الباحث من اطلاعه على أحدث ما سبقه إليه الآخرون، إضافة إلى ما توصل إليه من خلال تجربته العملية في تدريس اللغة العربية للناطقين بالإنجليزية في واحدٍ من أعرق المعاهد العالمية في تدريس اللغات الأجنبية للناطقين بغيرها، وانطلاقاً من هذا يدعو الباحث المهتمين بتعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى أن يولوا اهتمامهم لما يلي:

١ .إعادة قراءة الخصائص المتميزة للأبجدية العربية برؤى جديدة واستخلاص ما يمكن أن يكون أساساً لغوياً متيناً يمكن البناء عليه عند تدريس العربية كلغة ثانية.

٢ . عقد مقارنة تحليلية بين مخارج حروف اللغة العربية ومخارج حروف اللغة الأولى للدارسين للوقوف على المخارج المشتركة أو المتباينة بين اللغتين. إن ذلك ييسر على معلم العربية اكتشاف نقاط ضعف الدارسين عند نطقهم للكلمات العربية بشكل سليم، مما يُمَكِّنه من وضع أو تقرير الاستراتيجيات أو التكتيكات المناسبة للدارسين التي يمكن باتباعها تخفيف معاناتهم عند نطقهم الكلمات العربية مما يؤدي بالتالي إلى رفع معنوياتهم وزيادة استعدادهم وتقبلهم لدراسة اللغة العربية، حيث إن من مبادئ تعليم العربية للناطقين بغيرها: إيجاد عامل مشترك بين العربية ولغة الدارس بحيث يسهل «بناء غير المعروف على المعروف».

٣. البحث عن كلمات مستعارة في لغة الدارس لها أصول عربية، فذلك ييسر على معلم العربية معرفة الاستراتيجية التي لجأ إليها واضعوا لغة الدارس عند استعارتهم للكلمات العربية، وبالتالي يمكن وضع استراتيجيات خاصة لتقوية جهاز نطق الدارسين (اللسان، الفك السفلي، الجهاز التنفسي، الشفتين، سقف الحلق الرخو واللهاة والحلق) لتقوية مخارج نطقهم للكلمات العربية.

٤ . ضرورة الاهتمام بتقديم مفهوم «الأوزان العشرة» للدارسين، إذ أنه يعد حجر الأساس في منظومة تعليم العربية للناطقين بغيرها، فتذكير بما سبق: «إن اللغة العربية تعد بحق لغة فريدة من نوعها تتميز بخصائص لغوية لا تتاح لغيرها من اللغات الأخرى ألا وهي خاصية تحديد الــ «ما» والــ «كيف» اللتين يمكن اشتقاقهما من الحدث نفسه، أو بمعنى أدق اشتقاق الاسم والصفة والحال من الفعل».

٥ . تقديم مفهوم الأوزان العشرة كقصة قصيرة يحقق نتائج أفضل كثيراً من تقديمه بشكل فردي سواء على مستوى الكلمة، الجملة، أو الفقرة، فذلك من شأنه جذب انتباه الدارس لحرصه على معرفة «وماذا بعد؟». لذلك يوصي الباحث بضرورة الأخذ في الاعتبار انتقاء جذر فعل ثلاثي قابل للتصريف في الأوزان العشرة – باستثناء الوزن التاسع بالطبع – حتى تكون القصة متكاملة قواعدياً ومضموناً، مما ييسر للدارس سهولة عقد مقارنة عملية بين الأوزان المختلفة للوقوف على التغيرات التي تحدث عند

تصريف كل وزن، ويأمل الباحث أن تكون «قصة الأوزان العشرة» دليلاً عملياً يمكن الاهتداء به أو محاكاته عند تطبيق هذه الاستراتيجية.

أخيراً يتقدم الباحث بوافر الشكر والتقدير والامتنان لمركز الملك عبد الله لخدمة اللغة العربية والقائمين عليه على اتاحته هذه الفرصة للمشاركة الإيجابية في رسالتهم السامية.

والله ولي التوفيق ،،،

د. نصر عبد ربه

معهد الدفاع للغات

الولايات المتحدة الأمريكية



المصادر والمراجع

- Abdrabo, N. (2017A). Basis of teaching listening macroskill in teaching Arabic as a second language
- https://www.academia.edu/30058924/Basis_of_Teaching_Listening_Macroskill_in_Teaching_Arabic_as_a_Second_Language
- Abdrabo, N. (2017B). Story of 10 measures
https://www.researchgate.net/publication/315694671_Story_of_10_Measures
- Abdrabo, N. (2016). Promoting listening macroskills: The key to mastering L2 acquisition
- https://www.researchgate.net/publication/303752890_Promoting_Listening_Macroskill_The_Key_to_Mastering_L2_Acquisition
- Alshhre, A. M. (2016). Arabic language and civilization in the eyes of the European history. Studies in Literature and Language Journal., 12(5), 35-39.
- Arabic learning resources: The Arabic verb forms
- http://arabic.desert-sky.net/g_vforms.html
- Asy'ari, H. (2015). تعليم وتعلم اللغة العربية: نشأة اللغة وتفرع اللغات
http://sinau-bahasaarab.blogspot.com/2015/04/blog-post_11.html
- Bergman, E. M. (2009). Introducing Arabic: Meeting the Challenges. JNCOLCTL Journal, 6, 1-13.
- Brown, H. D. (1994). Principles of language learning and teaching (3rd ed.). USA: Prentice Hall Regents.
- Chejne, A. (1967). The Arabic language: Its role in history. USA: University of Minnesota Press. Minneapolis

- Crystal, D. (2010). The Cambridge Encyclopedia of Language. Cambridge: Cambridge University Press.
- Darwish, H.M. (2015). Arabic Loan Words in English Language. IOSR Journal Of Humanities And Social Science (IOSR-JHSS),20, 105-109.
- Dozy, R. (1861). Spanish Islam: A History of the Moslems in Spain. Routledge Library Edition: International Islam. (Trans. F. G. Stokes, London, 1913)
- https://books.google.com/books?hl=ar&lr=&id=2cvzDQAAQBAJ&oi=fnd&pg=PT16&dq=spanish+islam&ots=C28ntJGWvM&sig=jy6dQ-صFromkin RH (2003). An Introduction to Language. (7th Ed.) USA: Heinle.
- Henrichsen, Lynn E. “Sandhi-Variation: A Filter of Input for Learners of ESL.” Language Learning 34 (1984): 1003-26.
- Hourani, A. (1989). Islam in European thought: the tanner lectures on human value. USA: Clare Hall, Cambridge University.
- Jesperson, O. (1922). Language: Its nature and Development, Routledge, Abingdon.
- Kachru, B.B. (1994). The speaking tree: A medium of plural nouns. In Georgetown Round Table in Languages and Linguistics (GURT). Washington, D.C.: Georgetown University Press.
- Klein, E. (1966). A comprehensive etymological dictionary of the English language: Dealing with the origin of words and their sense development thus illustrating the history of civilization and culture (Vol, 1). Elsevier Amsterdam.

▾ Le Bon, G. (2012). Arab civilization (A. Zattar, Trans.). Cairo : Hindawi Corporation of Education and Culture.

▾ Rorabaugh, D. (2010). Arabic influence on the Spanish language. https://pdfs.semanticscholar.org/b210/52dc6239aac6afe0729e212d2fe41b96e539.pdf

▾ Said, K. R. (1989). British Museum: Discover the Arab World.

https://www.britishmuseum.org/PDF/Arab_World_Resource_Web.pdf

▾ Salloum, H. (2016). The impact of the Arabic language and culture on English and the other European languages. http://www.alhewar.net/Basket/Habeeb_Salloum_Spanish_Language.htm

▾ Wehr, H. (1979). Arabic-English Dictionary: Dictionary of Modern Written Arabic. Spoken Language Services, Inc., Urbana, IL.

▾ تركستاني، محمد يعقوب. ١٩٨٤. رسائل من التراث – ١-: مخارج الحروف وصفاتها للإمام أبي الأصبغ السماتي الإشبيلي المعروف بابن الطحان (المتوفي بعد سنة ٥٦٠ هـ)

▾ حامد، موسى. ٢٠١٢. نظريات نشأة اللغة: موقع الدكتور موسى حامد للدراسات اللغوية. http://www.musaa.net/lesson/lesson-215-1.html

▾ عباس، حسن. ١٩٩٨. خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات اتحاد الكتاب العرب: اتحاد الكتاب العرب.

▾ شامية، أحمد. ٢٠٠٨. نشأة اللغة الانسانية الأولى: أهم النظريات أو الفرضيات. http://salimprof.hooxs.com/t640-topic



خاتمة الكتاب

«النتائج والتوصيات»:

تأسيسا على ما سبق عرضه من بحوث تناولت موضوع الكتاب «منظومة الحروف العربية» من زوايا مختلفة؛ نوجز للقارئ الكريم أهم النتائج والتوصيات التي توصلنا إليها على النحو التالي:

أولا: النتائج

• إن قِدم إشكالات الحروف العربية ونظام كتابتها، وعدم النجاح حتى الآن في محاولات إصلاحها، لا يعني أنها مشكلات عصية على الحل، كما أن توحيد الجهود للوصول إلى قواعد موحدة معيارية لنظام الكتابة العربية، هو غاية مهمة يجب أن تتحقق بطريقة جديدة مختلفة عما عُرِف من طرق قديمة، وجهود مبذولة من قبل الهيئات الرسمية أو الأفراد، وكي يتسنى لنا التحديث والتغيير الإيجابي المرغوب وتحويله إلى تطبيق عملي ينفذ على أرض الواقع، فلا بدّ من قرار سياسي عربي موحد،

يسعى للنهوض بواقع اللغة العربية عامة والكتابة خاصة، ويعمل على توحيد نظامها في أرجاء الدول العربية؛ حرصا على التواصل والتبادل المعرفي فيما بينها، في وقت تعاني اللغة العربية في معظم بلداننا العربية من تهميش أهلها، ومزاحمة اللهجات العامية لها، وهيمنة اللغات الأجنبية على قطاع التعليم والإعلام.

• إن مهمة إصلاح الحرف العربي ونظام الكتابة رغم أهميتها ودورها الكبير في خدمة الكتابة العربية؛ كي تؤتي أكلها، وتنهض بعملية الكتابة شكلا ومضمونا، لا بد لها أن تترافق مع تكثيف الجهود لتيسير طرائق وأساليب تدريس اللغة العربية بمهاراتها المختلفة استماعا وتحدثا وقراءة وكتابة. فنحن بحاجة ماسة لا لتيسير كتابتها فقط، بل لتيسير إيصالها للمتعلمين بأفضل الطرائق والأساليب وأوضحها، فقد أشبع الأقدمون اللغة العربية دراسة وتمحيصا وتفصيلا، فليكن دورنا اليوم هو التركيز على تيسير ما هو شائك من قضاياها، متزامنا مع الاهتمام بطرائق إيصالها للمتعلمين بأفضل وأسهل الأساليب، وذلك بالابتعاد عن النمطية والتقليدية، ومسايرة روح العصر والاستفادة من تقنياته الحديثة وتغذيتها بالوسائل والبرامج التي تسهل على المعلمين إيصالها وعلى المتعلمين فهمها وإتقانها.

• للحروف دلالة صوتية طبيعية تمنحها قيمة تعبيرية، فكل حرف في اللغة له قيمة دلالية، تظهر من خلال الدور الذي يؤديه داخل الكلمة، ويمكن إدراك ذلك عن طريق التبديل، أو الحذف، أو الزيادة، حيث يؤدي أي إجراء من هذه الإجراءات الثلاثة إلى حدوث تغير في دلالات الكلمات. وأن الحرف يستمد قيمته الدلالية عن طريق رافدين: الأول: أن الحرف يكتسب دلالته من المخرج الذي يحدده، والصفات التي تميزه، والآخر: أن الحرف قد يستمد العديد من المعاني بحسب موقعه في الكلمة، وما يتصاحب معه من حروف أخرى.

• الحروف في الكلم، وجه البيان والمعاني للتواصل باللغة، تتآلف وتتنافر، مثل الأرواح في الأجساد «جُنودٌ مجنّدة ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف» فالحروف وجه التفاعل الإنساني بأصواتها في مهارتي المحادثة والاستماع، وبرموزها في مهارتي الكتابة والقراءة. وبالحرف وحده لا تظهر الدلالة المعنوية، وإن كان الفراهيدي أطلق أسماء للحروف مستقلة، إلا أن الحرف وحده يُضفي معنى جوهرياً للكلمة بائتلافه مع حرف آخر أو أكثر، ومع الحركة الملازمة له أو ساكناً.

• للحروف العربيّة قُدسية صبغتها ارتباطها بالنّصّ السماوي والكتاب المحفوظ، وهو ما يدعو أبناءها لتقدير خصوصيتها ورفع شأنها بمزيد مِن الاهتمام بنطقها نطقاً سليماً، وبإعطاء كل حرف حقّه في الكلمة، وبالعناية بكتابتها بأشكالها في رسم واضح وجميل، وبالإبداع في قراءتها قراءة تبرز أنغام أصواتها مع الحركات والسكون، وبالاستمتاع في الاستماع لألحانها على ألسنة متحدثيها مِن أبناء العالمين.

• الحروف سرّ مِن أسرار الخلود الإنساني، وبها نُعرف، وبها نتواصل، وبها نحفر إنجازاتنا لتُحدِّث عنّا مَن يأتي بعدنا فيقرأ آثارنا.

• في هذا الكتاب تم رصد الطرائق المختلفة التي عَرَفَتْها الثقافةُ العربيةُ لترتيب حروف لغتها؛ وهي طريقة الترتيب الأبجدي، تلتها في الظهور طريقة الترتيب الهجائي الألفبائي، ثم طريقة الترتيب الصوتي المخرجي. على أن الترتيبين الأبجدي والهجائي هما الأقرب لمجال الكتابة والإملاء، أما الترتيب الصوتي فارتبط – إلى جانب الدرس الصوتي وعلم التجويد – بحقبة من تاريخ تأليف المعاجم العربية ابتدأها الخليل بن أحمد بمعجمه «العين».

• ناقش الكتاب في أحد موضوعاته طرق الترتيب الهجائية، والأبجدية، والصوتية المخرجية، وتباين مراتبها وفقا لمنطلقات النظر إليها والغاية منها. وسعى لاستخلاص

معايير الترتيب؛ الصوتية المخرجية، والشكلية، والإيتيمولوجية / التأثيلية. كما ناقش التفسيرات المفترضة لمحتوى كل نوع من أنواع الترتيب وغاياته؛ التعليمية والبحثية، واستخداماته وتوظيفه على المستويين؛ البحثي النظري، والتطبيقي. فعلى المستوى النظري أسس الفصل لكل طريقة من طرق الترتيب؛ ليستخلص المعايير التي بنى عليها، وفلسفته، وجدواه. وعلى الجانب التطبيقي، قدم الكتاب فحصا لتوظيف ترتيب منظومة الحروف العربية في المجالات التطبيقية مثل تعليم اللغة للمبتدئين، والصناعة المعجمية، والفهرسة(indexing).

ومن أهم النتائج التي توصل إليها الكتاب في أحد موضوعاته:

• أن الترتيب الهجائي تميز بأنه الأشهر والأسير، وأنه مصنوع تطبيقا لسياسة لغوية، إضافة إلى أنه اعتُمِد في بنائه على الشكل بصورة كبيرة، كما أنه يعتبر ترتيبا عربيا خالصا. وقد أخذ الترتيب نصيب الأسد في الثقافة العربية. سواء في تعليم اللغة للمبتدئين، أو صناعة المعاجم، أو في مجال الفهرسة والببليوجرافيا.

• تم تطوير الترتيب الهجائي في السياق الثقافي العربي؛ بعد أن فرضه الواقع المجتمعي للغة العربية. ومن ثم يمكننا الربط بين الترتيب الهجائي والسياسة اللغوية التي أنجزت في إطارها الإصلاحات الممنهجة لمنظومة الكتابة العربية.

• إن طريقة الترتيب الهجائي هي الأكثر انتشارا وشيوعا في تاريخ الصناعة المعجمية العربية، وذلك بعد الاختفاء التام لطريقة الترتيب المعجمي المخرجي / الصوتي.

• يختلف الترتيب الصوتي عن الترتيبين الأبجدي والهجائي في كونه يعتمد أسسا صوتية، لا شكلية أو تاريخية؛ فهو ترتيب مخرجي يحدد رتبة الحرف في الترتيب العام لحروف اللغة بالنظر إلى موضع هذا الحرف على مدرج مخارج الحروف في الجهاز النطقي للمتكلم العربي. لذا يمكن القول إن هذا النوع من الترتيب ينتمي إلى علم الأصوات

لا إلى علم الكتابة Orthography. فالترتيب الصوتي للحروف العربية هو الأحدث ظهورا، إضافة إلى كونه الأقل شيوعا مقارنة بالترتيب الهجائي والترتيب الأبجدي؛ إذ يمكن اعتبارُه ترتيبَ الخواص، يستعملونه في مجالات بعينها ترتبط بالدرس الصوتي، مثل علم الأصوات، وعلم التجويد، والصناعة المعجمية؛ فظل هذا المنهج محصورا داخل هذه التخصصات العلمية، ولم ينتشر بين العامة لتعليم الكتابة العربية أو التهجي والإملاء؛ إذ لم يقصد به أن يكون طريقة لتنظيم حروف اللغة العربية لتعليمها أو تسهيل حفظها.

• إن لجوء الخليل بن أحمد إلى طريقة الترتيب الصوتي كان جزءا من نظريته المعجمية؛ فقد لجأ إلى الترتيب الصوتي لأسباب نظرية؛ لا رغبة في هجر الترتيب الهجائي أو الأبجدي؛ بل إن ما دفع الخليلَ إلى ابتكار هذا النوع من الترتيب لهو نظريته المعجمية، ومنهجه العام الذي اختطته لحصر كلمات اللغة المستعملة وتعيين الأبنية المهملة. فتطبيق التقليبات يحدد -إلى جانب حصر المستعمل والمهمل - القوانين الصوتية التي تحكم صياغة الكلمة العربية (Arabic Word Formation)؛ إذ يحكم ذلك عدد من العوامل هي طبيعة الحروف المكونة للكلمة، وطبيعة البنية أو طولها.

توصل الكتاب في أحد موضوعاته أيضا إلى أن:

• للحرف العربي قيمة تعبيرية موحية، وأن الكلمة العربية مركبة من هذه المادة الصوتية التي يمكن حل أجزائها إلى مجموعة من الأحرف المعبرة، وأن لكل حرف ظلا وإشعاعا وصدى وإيقاعا؛ ومن ثم فقد لاحظ علماء اللغة مناسبة حروف العربية لمعانيها ولمحوا القيمة التعبيرية الموحية للحروف العربية.

• مال العلماء العرب إلى الاقتناع بوجود التناسب بين اللفظ ومدلوله، في حالتي البساطة والتركيب وطوري النشأة والتوليد، وصورتي الذاتية والاكتساب، كما لجأ العربي إلى تقمص أشياء العالم الخارجي وأحداثه للاهتداء إلى أصوات حروفه ومعانيها

بوسيط من مشاعره.

• إن أول الطريق إلى معرفة بلاغة الكلام تذوّقُ أصوات الحروف، من حيث طبيعتها النغمية حتى يحصل بها تصوُّر ذهني لطبائع الأصوات، فلكلِّ صوت من الأصوات العربية طبيعتهُ النغمية الخاصة به، فتناسقُ أصواتِ العربية على نوعٍ من التشاكُل النغمي هو من طبيعة اللغة العربية في تقسيم أصواتها.

• اللغة قبل كل شيء أصوات تنتظم في كلمات وجمل، وتتوقف معرفة النظام الصرفي والنحوي للغة على معرفة دقيقة على معرفة نظامها الصوتي.

• أشار ابن جنى إلى «أن اختلاف الحرف الواحد في اللفظين يؤدي إلى اختلاف دقيق في المعنى المراد من اللفظ، وأن دقة المعنى تتفق مع جرس الحرف المختار؛ فكأن هناك اختيارا مقصودا للصوت يؤدي المعنى المختلف لما يؤديه الصوت الآخر، وهذه الظاهرة ليست محدودة في ألفاظ قليلة في العربية.

• إن الجمال اللغوي للقرآن الكريم يتمثل في رصف حروفه، وترتيب كلماته الجامعة بين اللين والشدة، والخشونة والرقة، والجهر والخفية، على وجه دقيق محكم، وضع كل من الأصوات وصفاتها المتقابلة في موضعه بميزان حتى تآلف من المجموع أساليب تعبير امتزجت فيها جزالة البداوة في غير خشونة، برقة الحضارة من غير ميوعة، ومن نتيجة الجمال اللغوي والنظام الصوتي أن يسترعي الأسماع، ويثير الانتباه، ويحرك داعية الإقبال في كل إنسان إلى القرآن.

• هناك علاقة تلازمية بين الصوت والمعنى فبتغيره يتغير المعنى وذلك يرجع إلى خصوصية كل حرف وإيقاعه الموسيقى على الأذن؛ ومن ثم فاللغة أصوات وهي المادة الأولية في نشوء أي إنتاج كلامي وتركيبي، والصوت ودلالته يجتمعان في تخطيط المنهج واتجاه النص.

• إن الانسجام قائم بين العربية والقرآن؛ فالعربية في طبيعتها تقوم على التوازن في مجموع أصوات حروفها بسعة مدرجها الصوتي سعة تقابل أصوات الطبيعة في تنوعها وسعتها، وتمتاز من وجهة أخرى بتوزعها في هذا المدرج توزعا عادلا يؤدي إلى التوازن والانسجام بين الأصوات.

• إن للصوت اللغوي أهمية في دراسة النص القرآني من حيث إنه البنية اللغوية الصغرى المكونة للكلمات والتراكيب والآيات؛ إلى جانب ذلك فهو عنصر أساسي في الإعجاز القرآني، والقرآن ينتقي الأصوات اللغوية بحسب الدلالات بهدف تجسيد المعاني في أحسن صورة.

• يحمل النص الأدبي عوامل صوتية من شأنها أن تؤثر إيجابا أو سلبا في أسلوبه وأدائه؛ ويتمثل ذلك في الملامح التمييزية لأصوات هذا النص؛ كالجهر، والهمس، والتفخيم، والترقيق، والتكرار، والنبر والتنغيم، إلى جانب مقاطعه الصوتية التي تنتظمه، كما تتمثل في الاختيار الصوتي للكاتب وفي التنظيم الذي يحكم هذا الاختيار.

• إمكانية الإفادة من خصوصية الأصوات العربية في تعليم وتعلم العربية لما تتميَّز به من إيقاع لغوي، وجرس موسيقى تألفه الآذان، وتميل إليه النفوس؛ فالأصوات العربية تدل على معانيها بمجرد سماع صوت الكلمة ويمكن استثمار هذا البعد في المجال التعليمي للغة العربية.

• سلط الكتاب الضوء في أحد موضوعاته على عالمية الأبجدية العربية، تلك اللبنة الأولى التي بنيت عليها اللغة العربية العريقة، وما كان لهذه اللغة من دور تاريخي خلال عصورها الذهبية في نقل الثقافة والعلوم العربية إلى أرجاء واسعة من المعمورة.

ثانيا: التوصيات:

• يمكن إيجاز أهم التوصيات التي أوصي بها كتاب «منظومة الحروف العربية» في النقاط التالية:

• التأكيد على أن يلتزم التجديد في الكتابة بأسس محددة، وبرؤى واضحة كي يصبّ في خدمة اللغة العربية وخدمة متعلميها.

• الانطلاق من الاستفادة من جميع المقترحات الصائبة في كل ما قدم من كتب وبحوث ودراسات وأوراق عمل قديمها وحديثها، مما لاقى قبولا واستحسانا.

• الاعتماد على الحروف العربية دون غيرها في أي تجديد يقترح، آخذين بعين الاعتبار جمالية الخط، ومساحة الكتابة به.

• الحرص على عدم ابتعاد النظام الجديد في الكتابة عن النظام الحالي، كيلا تنقطع صلة الأجيال بموروثها الفكري والثقافي.

• الاهتمام بالقضايا الإشكالية في الكتابة فقط، مع الاعتراف بعدم قدرة أي لغة لمطابقة المكتوب مع المنطوق.

• الابتعاد عن تعدد الأوجه باختيار وجه واحد وتعميمه، والاحتفاظ بما تبقى من وجوه وآراء وتفصيلات لأهل اللغة والمهتمين بشؤونها.

• إنشاء مدونة حاسوبية خاصة بالحروف العربية؛ تسهل على الدارسين والمتخصصين والباحثين عمليات البحث عن مخارج الحروف وخصائصها المختلفة دون عناء.

• تدريس خصائص الحروف العربية لطلاب اللغة العربية بالجامعات والمعاهد العلمية المختلفة، وعدم اقتصار دراستها على المتخصصين في علم اللغة.

• توفير معامل صوتية حديثة للطلاب والمتعلمين في الجامعات المختلفة؛ للتحقق من خصائص الحروف العربية ومخارجها الصحيحة.

• تشجيع المتخصصين وتحفيزهم للتأليف في مجال الحروف العربية؛ نظراً لقلة الكتب والمؤلفات في هذا الميدان العلمي المهم.

• تنشيط حركة الترجمة؛ للاستفادة من الدراسات الأجنبية الحديثة المتعلقة بخصائص الحروف وصفاتها.

• ينبغي درس مراحل تطوير منظومة الكتابة العربية، والإفادة منها باعتبارها نموذجا ناجحا للسياسة اللغوية التي قصدت إلى تغيير في منظومة الكتابة العربية وفرضه على المجتمع اللغوي.

• يمكن متابعة تطوير منظومة الكتابة العربية بالقياس على ما تم إنجازه في مراحل التطوير المختلفة.

• يمكن للأعمال التي تنتهج الترتيب المغربي (أبجديا أو هجائيا) أن يلمحوا إلى الاختلافات بين الترتيبين المشرقي والمغربي في مقدمة أعمالهم المحققة أو المؤلفة وذلك لآثار الاختلاف في الترتيب على تفسير وقراءة التراث والمنجز الثقافي.

• لا يحتاج المنجز التراثي التنظيري الذي يتناول منظومة الكتابة العربية والحرف العربي – وما أكثره –إلى فحص علمي تحليلي؛ باعتبار مادة هذا المنجز مدونة قابلة للبحث والتحليل لاستخلاص الأطر النظرية التي حكمت عمليات الترتيب الهجائي، ومنهجية الإعجام.

• ينبغي إيجاد اتفاق على طريقة ترتيب أشكال التنوعات الخاصة بكل حرف Allophones، سواء داخل مجموعة تنوعات الحرف الواحد، أو في إطار قائمة رموز منظومة الكتابة العربية؛ خصوصا بعد توظيف الحاسوب في عملية الفهرسة والترتيب الآلي.

• ينبغي أن يتم التمييز، لدى التحليل اللساني، بين الحرف بوصفه وحدة فونولوجية تنتمي إلى منظومة الفونولوجيا، والحرف بوصفه وحدة كتابية grapheme هو رمز أو

صورة بصرية يعبر عن الحرف / الفونيم. والحرف بهذا المفهوم يمكن اعتباره وحدة حرة لغويا؛ أي أنه يمكن أن يستخدم من قبل أكثر من لغة.

• إعادة قراءة الخصائص المتميزة للأبجدية العربية برؤى جديدة واستخلاص ما يمكن أن يكون أساساً لغوياً متيناً يمكن البناء عليه عند تدريس العربية كلغة ثانية.

• الاهتمام بتطوير منهجيّة مناهج تعليم العربيّة لكلٍّ مِن أبنائها وللناطقين بغيرها، وواجب على المتخصّصين في العربيّة لُغويّا واجتماعياً وتربوياً وعلمياً تيسير اكتساب الجوانب الصوتية في تقديم اللغة بمفرداتها وتراكيبها، والاستفادة مِن هذا التقدّم التكنولوجي بتوظيف الوسائل الحديثة داخل القاعة الصفية وخارجها، فالمنهج والمعلّم والطالب تمثّل الركائز الثلاثة الأساسيّة للعمليّة التعليميّة. فبإتقان متعلّمي العربية للحروف بدايةً وربطها في مفردات فجُمل ففَقرات يصلون للكفاية المبتغاة في مهارات الاستماع والتحدّث والقراءة والكتابة.

• عقد مقارنة تحليلية بين مخارج حروف اللغة العربية ومخارج حروف اللغة الأولى للدارسين للوقوف على المخارج المشتركة أو المتباينة بين اللغتين؛ إذ إن ذلك ييسر على معلم العربية اكتشاف نقاط ضعف الدارسين عند نطقهم للكلمات العربية بشكل سليم، مما يُمَكِّنْه من وضع أو تقرير الاستراتيجيات أو التكتيكات المناسبة للدارسين التي يمكن باتباعها تخفيف معاناتهم عند نطقهم الكلمات العربية مما يؤدي بالتالي إلى رفع معنوياتهم وزيادة استعدادهم وتقبلهم لدراسة اللغة العربية، حيث إن من مبادئ تعليم العربية للناطقين بغيرها: إيجاد عامل مشترك بين العربية ولغة الدارس بحيث يسهل «بناء غير المعروف على المعروف».

• البحث عن كلمات مستعارة في لغة الدارس لها أصول عربية، فذلك ييسر على معلم العربية معرفة الاستراتيجية التي لجأ إليها واضعوا لغة الدارس عند استعارتهم

للكلمات العربية، وبالتالي يمكن وضع استراتيجيات خاصة لتقوية جهاز نطق الدارسين (اللسان، الفك السفلي، الجهاز التنفسي، الشفتين، سقف الحلق الرخو واللهاة والحلق) لتقوية مخارج نطقهم للكلمات العربية.

• ضرورة الاهتمام بتقديم مفهوم «الأوزان العشرة» للدارسين، إذ أنه يعد حجر الأساس في منظومة تعليم العربية للناطقين بغيرها، فتذكير بما سبق: «إن اللغة العربية تعد بحق لغة فريدة من نوعها تتميز بخصائص لغوية لا تتاح لغيرها من اللغات الأخرى ألا وهي خاصية تحديد الـ «ما» و الـ «كيف» اللتين يمكن اشتقاقهما من الحدث نفسه، أو بمعنى أدق اشتقاق الاسم والصفة والحال من الفعل».

• تقديم مفهوم الأوزان العشرة كقصة قصيرة يحقق نتائج أفضل كثيراً من تقديمه بشكل فردي سواء على مستوى الكلمة، الجملة، أو الفقرة، فذلك من شأنه جذب انتباه الدارس لحرصه على معرفة «وماذا بعد؟». لذلك فمن الأهمية بمكان ضرورة انتقاء جذر فعل ثلاثي قابل للتصريف في الأوزان العشرة - باستثناء الوزن التاسع بالطبع - حتى تكون القصة متكاملة قواعدياً ومضموناً، مما ييسر للدارس سهولة عقد مقارنة عملية بين الأوزان المختلفة للوقوف على التغيرات التي تحدث عند تصريف كل وزن.

• نأمل أن يكون هذا الكتاب بمثابة الناقوس الذي لا يفتأ أن يدق بين الفينة والفينة ليذكِّر من نسوا أو تناسوا الأمجاد العربية التي لم تَضِنْ أيام قوتها ومجدها عن نقل الفكر والعلوم العربية الراقية في كافة المجالات إلى لغات أمم أخرى كانت لا تزال وقتها تتخبط في ظلام جاهليتها وضيق أفقها، فالتواصل بين الشعوب والأمم والحضارات لا يتأتى إلا بالحوار اللغوي الذي لا يمكن لسواه أن يحقق التبادل العلمي والثقافي والفكري.

وختاما؛

بالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن الأساتذة الباحثين نتقدم بوافر الشكر والتقدير والامتنان لمركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية والقائمين عليه على إتاحتهم هذه الفرصة للمشاركة الإيجابية في رسالتهم السامية.

د. زكي البغدادي
أستاذ اللغويات التطبيقية المشارك
معهد اللغويات العربية-جامعة الملك سعود

مباحث لغوية ٣٤

منظومة الحروف العربية

يُصدِر مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية هذا الكتاب ضمن مشروع (**نظام الكتابة العربية**) وهو مشروع طموح يندرج تحت سلسلة (**مباحث لغوية**)

وتتميّز هذه السلسلة بأنها تسير وفق خطة عمل مقسمة إلى مراحل، لموضوعات علمية رأى المركز حاجة المكتبة اللغوية العربية إليها، أو إلى بدء النشاط البحثي فيها، واجتهد في استكتاب نخبة من المحررين والمؤلفين للنهوض بعنوانات هذه السلسلة على أكمل وجه.

ويهدف المركز من وراء ذلك إلى تنشيط العمل في المجالات التي تُنَبِّه إليها هذه السلسلة، سواء أكان العمل علميا بحثيا، أم عمليا تنفيذيا، ويدعو المركز الباحثين كافة من أنحاء العالم إلى المساهمة في هذه السلسة.

وتودّ الأمانة العامة أن تشيد بجهد مدير مشروع نظام الكتابة العربية (د.هشام بن صالح القاضي) وجهد محرر هذا الكتاب ومؤلفيه، على ما تفضلوا به من رؤى وأفكار لخدمة العربية في هذا السياق البحثي.

والشكر والتقدير الوافر لمعالي وزير التعليم المشرف العام على المركز، الذي يحث على كل ما من شأنه تثبيت الهوية اللغوية العربية، وتمتينها، وفق رؤية استشرافية محققة لتوجيهات قيادتنا الحكيمة.

والدعوة موجّهة إلى جميع المختصين والمهتمين بتكثيف الجهود والتكامل نحو تمكين لغتنا العربية، وتحقيق وجودها السامي في مجالات الحياة.






9 786039 096498

ص.ب ١٢٥٠٠ الرياض ١١٤٧٣
هاتف:٠٠٩٦٦١١٢٥٨٧٢٦٨ - ٠٠٩٦٦١١٢٥٨١٠٨٢
البريد الإليكتروني: nashr@kaica.org.sa